









مؤلفات محمد بن تيمون

هذا الكتاب  
مكتبة  
محمد صادق  
م

الجزء الاول

وبعض الروح

لفقيه الادب والمسرح

المصر  
محمد بن تيمون



57423

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

١٣٤٠ الطبعه الاولى ١٩٢٢

---

مطبعة الإعتماذ بشارع حسن الأكرم

« يدك »  
محمد  
٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتاب « وميض الروح » الصرح الأول من مجهود الشاب  
الراحل فقيده الأدب والمرح المرحوم محمد تيمور ، أقدمه لجمهور الأدباء  
والفنيين صورة لشعلة نفسه ، وخلاصة لمجهود شبابه  
وقد ضمته شعره ونثره ، وصدرته برسالة عن تاريخ حياته وشرح  
مؤلفاته ، يفهم منها القارئ نفس المؤلف فيستطيع أن يفهم أعماله ؟

## اهداء الكتاب

الى محمد تيمور الصغير .

اليك يا بنى أهدي مؤلف أليك ، اليك أهدي خلاصة نفسه  
ووميض روحه ، ذلك الكنز الخالد والارث الذي لا يفنى .

ان روحك مكملة لروحه ، ونفسك متمعة لنفسه ، فانظر الى عمل  
أليك الذي بدأه بعزم صادق ، وحقق آماله العالیه التي كانت تخرج  
في فؤاده .

سر في سبيله مهتدياً برأيه مستنيراً بعطامه ، وابنٍ مستبلك على  
ذلك الأساس الثابت الذي أفنى شبابه في افامته .

كلا كما لم ير صاحبه ا

ولسكنك سوف تراه ، بين ثنايا مطوره ، وسوف يراك من خلف  
كلماته . سوف تشعر بنفسه فائضة من شعره ، وسوف يشعر بنفسك  
مشبعة بعواطفه . فامن النظر في هذه السطور والكلمات ، وأمزج  
بدمك جمال الفن وروعته ، وابدأ ، من حيث وقفت ، واتيه الى حيث كان  
يطمع .

هكذا ستعرف أباك خالداً ، وسيعرفك حاملاً من الخالص

محمد تيمور





محمد نيجور الصغير نجل المرحوم محمد بك نيجور  
الطفل الذي لم يره أبوه

## الى أخى

لم أقم يوم تأييدك لأقل كلمتى عنك لأننى فى كل يوم أؤيدك  
وأحدث عنك بمبرة فائضة مستديعة . ولم أكتب على صحائف الجرائد  
رثاء لك لأن نفسى مازالت الى اليوم تكتب على صحائف قلبى رثاءك  
الطويل .

كنت شقيقى فأمتعتنى حيناً بمحنوك وعطفك ، وكنت أستاذى  
فكونت نفسى بحسن ارشادك وتعاليمك ، وكنت صديقى فجعلت قلبى  
مستودع أسرارك ونفسى مستقر مطامعك .

فلن تبرح غيلى « يا شقيقى » ما دام فى الدنيا حنو وعطف ، ولن  
يتضاءل شبحك من رأسى « يا أستاذى » ما دامت نفسى هى نفسى  
وشعورى هو شعورى ، ولن تفن ابتسامتك من قلبى « يا صديقى »  
ما دامت أسرارك منقوشة على فؤادى ومطامعك ممزوجة بدنى .  
الوداع .

شقيقك الباكى

محمود



### محمد تيمور في المقعد الثالث من عمره

هيثوا لي في باطن الأرض قبراً      ودعوني أنام تحت التراب  
في ظلام القبور راحة تقسى      ومن النور شقوتي وعذابني  
وادفنوا في التراب ديوان شعري      فوق قلبي المملوء بالأوصاب  
فيه مكنون ما احتواه جناي      وعزير فراق ذلك الكتاب  
هو بمضي فهل أموت وأنسى      في ظلام الحياة نور شباني

محمد تيمور



# مجله سیمینار

حیات و اعمال

قلم شفیقہ

محمد زین العابدین



## تاريخ حياته

فى الرابع والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٢١ قضى الشاب النابه الاديب أمير المسرح المصرى محمد تيمور ولما يبلغ الثلاثين بعد . قضى وهو فى مبدأ حياة النضال والعمل وفى أول درجة من درجات مجده الذى بناه بعمله لا بحسبه . قضى وهو يسعى جهده فى سبيل تحقيق أمانيه الجلوة الطيبة أمانى الشباب العامل لاصلاح الادب المصرى والمسرح المصرى .

لم تكن تلك السنين القصيرة التى قضاها فى الحياة بكافية لان تنيله مبتغاه ولكنها كانت كافية لان تظهر شخصيته القوية النادرة التى كانت تنمو وريداً يفذيها ذلك الشعور العميق وتلك المواهب العقلية الثابتة . ان أهم ما يبنى به المترجم فى كتابته تواريخ الحياة هو معرفة أطوار حياة الشخص المراد ترجمة حياته وتأثير البيئات التى عاش فيها واطلاعه على امياله صغيراً وشاباً ورجلاً والأنساب التى ساعدت أو لم تساعد على نمو تلك الأميال فان مظاهر تلك الاميال فى حياة الشخص طفلاً كان أو غلاماً لملى جانب عظيم من الاهمية فى معرفة مواهبه العقلية وشخصيته الكامنة . ولملى لو نتبعت ذلك السبيل فى ترجمة حياة الفقيه أمكننى أن أعرض للقراء صورة حقيقية لحياته .

## أطوار حياته

أن حياة الفقيه تنقسم الى ثلاثة أطوار قصيرة الامد . الطور الاول منزله ومدرسته ( أى حياته الاولى فى مصر ) والطور الثانى حياته فى أوروبا وبالأخص فى فرنسا . والطور الثالث حياته الثانية فى مصر ( بعد رجوعه من أوروبا ) .

أما حياته الأولى فى مصر فحياتها تكونت مواهبه ونمت وساعدها على هذا النمو البيئة المنزلية . أما حياته فى أوروبا فحياتها فتحت أعينه للجديد النافع وتشربت نفسه بالديمقراطية العالية والمساواة وامتلا قلبه بالمطامع والآمال — آمال الهدم والبناء ، هدم تقديم الرث من المذاهب الاجتماعية كانت أو أدبية . وبناء الصالح النافع من الأنظمة والمذاهب الجديدة . وطوره الأخير كان طور العمل فحيه ظهرت كتاباته ورواياته التى سنأتى على شرحها ليعرف القارئ قيمة الفقيه ومقامه الادبى فى مصر وتأثيره الفعال فى تطور المسرح المصرى

## الطور الاول

### الفقيه نأزاً ونظماً

ان المواهب طبعية لا تزرع فى عقول الاشخاص بل تمنح لهم منحاً وتخلق معهم خلقاً ولعل للوراثة اكبر عامل فى تكوينها . وعلى هذا القياس أقول ان مواهب الفقيه الادبية تكونت بفعل الوراثة ثم نمت وكبرت بفعل البيئة المنزلية التى كانت أكبر مشجع ومساعد لها .



فكان يرى من أيه قدوة حسنة يقتدى به واماماً صالحاً يحتذى حذوه .  
وكان يسمع دائماً عن شهرة عمته السيدة عائشة هانم التيمورية ومقامها  
بين الشعراء وكان يحفظ وهو في الثامنة من عمره معلقة امرئ القيس  
وبعض مقطوعات نظميه من شعر العرب بإرشاد والده ومساعدته فبنت  
ملكة النظم وكبر ميله للأدب فاستطاع أن يقرض الشعر وهو في  
العاشر من عمره وبدأ يكتب المقالات في الجرائد وهو لم يرح المدرسة  
الابتدائية . وكان عجباً للصحافة يصرف وقت العطلة في تحرير الجرائد  
المزلية التي كان يعدها تسلياً له على تضييع الوقت . ولما انتقل إلى المدرسة  
الثانوية وتوسع في دراسة العلوم العربية من آداب ونحو وبلاغة وبيان ظهر  
على أقرانه وتفوق عليهم في الإنشاء . ولم يقصر نفسه على دراسة الآداب  
في المدرسة بل كان يطالع دواوين الأقدمين خصوصاً ديوان المتنبي  
والمرمرى وأبي نواس فتحسن أسلوبه في النظم وارتقى فجعل ينظم غير  
قصائده الخصوصية قصائد الترحيب والتكريم للاعبين الكرة من  
المدارس المختلفة وكان يلقيها بنفسه في المقاصف التي كانت تملأها المدرسة ،  
والفقيد وقتئذ أحد أفراد فرقة لاعبي الكرة لمدرسته ، وقصائد المدح  
والثناء والوداع لاساتذته في نهاية السنين الدراسية حتى لقبوه الجميع  
« بشاعر المدرسة الخديوية » أما كتاباته في الجرائد فكان يخص المؤيد  
بمعظم مقالاته

أما علاقته بالتمثيل فقد كانت قوية منذ الصغر فقد تمكن حب هذا  
الفن من فؤاده حتى صار جزءاً منه والذي ساعده على تقوية هذا الميل

تردده كثيراً منذ الصغر على جوق الشيخ سلامه حجازى لمشاهدة رواياته . ولكن علاقته بهذا الفن حينما كان صغيراً لم تكن قاصرة على مشاهدة الروايات فحسب بل على تأليف فرق تمثيلية عائلية كان هو بطلها ومؤلفها التمثيلى

هذا يجعل لتاريخ الفقيده في طوره الاول أما الكلام على ثمره ونظمه في ذلك الوقت فكما يلى : بمقالاته في الجرائد وبالاخص في المؤيد كانت حسنة الاسلوب ذات مواضع اجتماعية وأخلاقية تهم الناس تمتاز بتلك الروح المنبثة بمستقبل جميل في الكتابة والتحرير ونحن لا ننسى سلسلة مقالاته في الوطنية التى شرح فيها معنى الوطنية الحققة وكيف يكون المصرى وطنياً بعمله لا بقوله ، ولا سلسلة تلك المقالات الاشتغادية التى انتقد فيها كثيراً من عوائدنا الخبيثة . أما قصائده فكان يحتذى فيها حذو الاقدمين ويقيد نفسه بهم فلم تكن له شخصية ظاهرة فيها ولكنها كانت ذات أسلوب رشيق

كان ثمره ونظمه في ذلك الوقت يفوق كثيراً ما نراه اليوم من ثمر ونظم لكثير من الطلبة والمحربين ولكن الفقيده أهمله اهمالا كبيراً بعد عودته من أوروبا حتى لم نعر على شئ منه في أوراقه لانه كان يعمده عملاً ناقصاً لا أهمية له . والحقيقة أن البون كان شاسعاً بين كتاباته قبل سفره وبعد رجوعه وهذا يدل دلالة ساطعة على تأثير البيئة هناك على أفكاره وما اكتسبه من المطالعة في الآداب الفرنسية وتأثير امتزاجه بطبقة المتعلمين وغير ذلك مما سيأتى ذكره بعد حين

## الطور الثانى

ميامه فى أوروبا ( عهد الاستقلال )

مال الفقيد شهادة البكالوريا وقصد برلين ليتعلم الطب ومكث هناك شهرين ولكنه سافر منها الى فرنسا ليتعلم القانون لظروف خاصة لاداعى لذكراها . لم يكن فى الحقيقة ميالا لتعلم الطب أو القانون بل كان قلبه مشبعاً بحب الآداب ، وشهادة الآداب ليست بالشهادة التى ينظر اليها المصرى بعين الرضى . فاضطر الفقيد أن يدرس القانون بالرغم منه ولكنه فى الوقت نفسه كان يعمل للآداب فصرف جل وقته فى المطالعة ثراً ونظماً . مكث فى فرنسا متقلاً بين ليون وباريس ثلاث سنوات لم يتم فيها علم القانون وكان يصرف من كل سنة شهراً أو شهرين فى مصر بين عائلته فلما أن عاد ثالث دفعة وصرف كالمعتاد وقت الاجازة فى مصر وأراد الرجوع لاتمام دروسه أوقفت الحرب العظمى ( سنة ١٩١٤ ) أبواب البحر والبر فاضطر الى المكوث فى مصر صاغراً معللاً النفس بانتهاءها ليتيسر له الرجوع حيث كان ولسكن الحرب طالقت فداخلة اليأس والحزن على ضياع مستقبله وكانت هذه الفكرة متسلطة عليه لآخر أيام حياته ولكنه لم يكن يعلم انه كان يبني مستقبلاً زاهراً لنفسه بتأليفه . وان ذلك العمل الخالد الذى كان يقيمه — عمله فى الآداب لا فى الحقوق — كان سبب مجده وعظمته .

ان تلك السنين القليلة التي صرفها تيموز في أوروبا وبالاخص في فرنسا كانت ذات أهمية كبرى في تكوينه النفسى ولا نخطئ اذا عددناها بمصر انتقاله. ان البيئة التي عاش فيها — بيئة الحرية والديمراطية والمساواة، بيئة الاستقلال فى رأى والعمل والاعتماد على النفس ، بيئة الثورة الفكرية والعلم والتقدم الصحيح ممدوجة بتلك المناظر الرائعة التى لا عهد لها — قد أثرت فيه تأثيراً شديداً قامت على أثرها فى نفسه ثورة فكرية هائلة انتهت بذلك التطور الجديد الذى ظهر فى كتاباته ثراً ونظماً فيما بعد. والذى ساعد على تلك الثورة الفكرية انصرافه بشغف شديد للمطالعة فى آداب اللغة الفرنسية. كان قلبه فى ذلك الوقت يلتهب بنار الإصلاح للادب والمسرح المصرى وكانت خطباته الى "مفعمة بأرائه وأمياله فى سبيل ذلك، فتفتحت عيناه فرأى بين غير عين أمس ذلك النقص الهائل فى الادب العربى والمسرح المصرى فمير كثيراً من مذاهبه القديمة تيقن بخطئها وذلك مادعاها لاهمال كتاباته فى طوره الاول لانها كانت تحوى بعض آراء وأفكار دون فكره فى عصره الجديد. وان أهم فكرة اخترت فى رأسه وما زالت تكبر وتتسع « فكرة تمصير الآداب » أى أن تكون ذات صبغة مصرية والوان محلية بجته. والذى يقرأ قطعه الثرية ورواياته المسرحية يجد الصبغة المصرية فيها ظاهرة للعيان أما أفكاره وأرائه فى التمثيل فقد تطورت كتطور أفكاره فى الادب وازداد شغفه وميله اليه بعد أن رأى أهمية ذلك الفن فى فرنسا ومقام القائمين به ممثلين كانوا أو مؤلفين وأتمل أن يرى فى مصر عهداً

جديداً للتمثيل فكان يطلب منى دائماً أن أوافيه في خطاباتي عن الحركة التمثيلية في مصر والروايات الجديدة التي ألقت أو عرّيت فكنت أكتب له كثيراً عن ذلك خصوصاً عن الحركة الإصلاحية الكبرى التي قام بها الاستاذ جورج ايض وانضم له فيها الممثلان الاديبان الاستاذ عبد الرحمن رشدي الحامي والكاتب الاديب فؤاد اخندي سليم . فكان اعجابه بذلك شديداً . وحين عاد الى مصر تعرف بهؤلاء الابطال واتصل بهم

لم يأت تيمور بمجهود كتابي حينما كان في فرنسا بل اقتصر على المطالعة فكان يمد نفسه للعمل الجليل الذي بدأ به حين رجوعه الى مصر والذي منعه القدر من أن يتنه ، هذا اذا استثنينا بعض قطع نظمية في وصف مصر وشوقه وحنينه اليها وبعض مقالات في الاقتصاد السياسي نشرها في المؤيد في أول عهده بالاقامة في فرنسا ومقالة في الاهرام عنوانها الخوف من الحياة

## الطور الثالث

المرجع الى مصر ( طور العمل )

هو أهم أطوار حياته وأظهرها أثراً ، هو طور العمل الناضج ونتيجة تلك الايام والسنين التي قضاها في تكوين نفسه وتصفيتها ، هو الزمن الذي نضج فيه فكره وتهيأت فيه مواهبه للوثوب الى الحياة والعمل فيها ،

وبرزت فيه شخصيته القوية تامة كاملة . هو الوقت الذى خدم فيه  
الفقيد الادب والتمثيل خدماته الجليلة

ونحن اذا عددنا تلك الفترة الزمنية القصيرة بطور العمل فاعما  
نقصد طور البدء فى العمل لان تلك المجهودات العظيمة التى صرفها فى  
هذا الطور على كبرها وعظم نتيجتها لم تكن الا الخطوة الاولى التى  
خطاها فى سبيل مجده ، خطوة واحدة فى تلك الحياة خطاها وهو لم يتم  
المقد الثالث من عمره

لم يستطع الفقيد الرجوع الى أوروبا عند أوبته الثالثة الى مصر  
بسبب الحرب العظمى ولكنه كان موطداً العزم على الرجوع الى  
فرنسا فى زمن السلم فشغل وقته بالمطالعة فى الآداب الفرنسية والعربية،  
وكان أهمل الاخيرة حينما كان بفرنسا . ثم طرأت عليه فكرة الاشتغال  
بالزراعة فدخل مدرسة الزراعة العليا ولكنه لم يمكث بها غير بضعة  
شهور حتى تركها لانه وجد علوهما مخالفة لامياله الادبية والفنية  
كل المخالفة

وفى أول سنى الحرب تكونت فى مصر جمعية أنصار التمثيل أسسها  
المرحوم الامتاذ عبد الرحيم المدرس بمدرسة السعيدية سابقاً فانضم  
الفقيد اليها وكان صديقاً حميماً لـ عبد الرحيم ، وكانت الجمعية تعمل فى ذلك  
الوقت على اخراج رواية ( الممثل دافيد جرك ) فساعدوها فى تحضيرها  
وتمثيلها وأن لم يشترك بنفسه فى تمثيل أى دور فيها . وكانت حفلات  
السمر التى كان يقيمها النادى الاهلى فى بنشها ، فظهر فيها الفقيد بالقاء

منولوجات تمثيلية من نظمه فكان هذا بدأ عمله كممثل وأراد الاستاذ عبد الرحيم أن يحضر رواية هملت بعد أن نجح نجاحه المعروف في رواية الممثل وطلب من الفقيه أن يشترك معه في تمثيل الرواية فقبل وبدأت الجمعية تعمل على اخراج هملت ولكن مرض عبد الرحيم منهم من تمثيلها . ولما توفي عبد الرحيم وهو رئيس الجمعية وعمادها كادت الجمعية تنفكك لو لا سعى الفقيه وجماعته في لم شعثها . وأرادت الجمعية أن تخرج للجمهور ثمرة من ثمارها فاخترت رواية ( تيمون الاثيني ) لشاكسبير واختارت الفقيه لينقلها فنقلها الى العربية باشتراكه مع أحد أصدقائه ، ولما أتمها ناولها لذلك الصديق وكان عميد الجمعية في ذلك الوقت فأضاعها . وكانت بعد ذلك فترة سكون لم تأت الجمعية أثناءها بأى عمل تمثيلي بدأ تيمور في ذلك الوقت ينظم المقاطيع النظمية الرقيقة وخص جريدة السفور بنشرها ، وكان هذا بدأ نظمه للشعر بعد رجوعه من أوروبا ولكن غرامه بالتمثيل كان يملأ قلبه فكان التفاته اليه أكبر وعنايته بنظم منولوجاته التمثيلية أعم . وكثرت حفلات السمر للنادى الاهلى ونادى الموسيقى ونادى موظفى الحكومة وغيرها فكانت لا تخلو حفلة من تلك الحفلات من منولوج من نظم الفقيه والقائه ، فاشتهر ذكره بين غواة التمثيل والقائمين به ، ولعل هذا أقوى مظهر من مظاهر ديمقراطيته التي ظهرت آثارها الاولى حينما كان طالبا بالمدارس الثانوية ونمت وكبرت حينما عاش في فرنسا وتنسم نسيمها المشبع بالحرية والمساواة . أحب الفقيه الفن . والفن في مصر ناقص مبتور تشوبه الرزائل ومنزلته دون منزلة

الفقيد بمراحل عظيمة — فلم يعبأ تيمور الديمقراطي الجريء بكل هذا وأفصح عن رأيه جهاراً بحب الفن وعمل جصده على دفعه من مستواه وتهذيبه من شوائبه . ان الفن في مصر منحط تحيط به الرذائل ولكنه محتاج الى أيد شريفة قوية جريئة لتنهض به . ليس من العار أن تنزل حيث الفن ثم تصعد به ، ولكن العار أن تنظر وأنت في مكانك العالي الى الفن وهو في هوته السحيقة فلا تبادر — وأنت المحب له — لا تقاذه . ولا أعالى اذا قلت ان ذلك الالتفات الخاص نحو الفن في مصر وانضمام طبقة من المتعلمين العاملين على احيائه كان نتيجة ذلك المجهود العظيم الذي قلم به تيمور وأنصاره .

وقدّم الروائي الاديب ابراهيم افندي رمزي روايته الوجدانية الرقيقة « عزة بنت اخليفة » لجمعية أنصار التمثيل فتلها الجمعية لأول مرة على مسرح باتيه ، ومثل تيمور دور « سيف الدين » بطل الرواية فتجج في تمثيله . وكانت هذه الرواية أول رواية مثلها الفقيد على المسارح . ثم أعيد تمثيلها على مسرح الاوبرا في ليلة الجمعية الخيرية الاسلامية فمثل الفقيد دوره أمام المغفور له السلطان حسين كامل الذي حضر تمثيل الرواية في تلك الليلة . ثم أخرجت الجمعية بعد ذلك رواية المرائس لبيير ولف تعريب الاستاذ اسماعيل وهي الحاي رئيس الجمعية في ذلك الوقت فتجج الفقيد في تمثيل دوره نجاحاً عظيماً .

ولما توظف في السراى السلطانية أميناً للمغفور له السلطان حسين قبضت عليه الضرورة بترك المسرح فصرف جهده في الكتابة نثراً ونظماً .



وظهرت في السفور قصائده العديدة ، وكتب في ذلك الحين قطعه المشهورة « مآثر العيون » وغيرها . ثم استعفى في عهد عظمة مولانا السلطان قواد ورجع الى حياة المسرح وجدد عهده الأول في ليالى السمر المختلفة . ولكنه لم يكد يبدأ هذه الحياة حتى ختمها الى الابد اذ كان على أبواب الزواج فاضطرته الظروف المائتية أن يهجر المسرح ويحتم حياته التمثيلية . فبدأ من ذلك الحين يؤلف للمسرح وأتم روايته الاولى « المصفور في القفص » وأهداها الى فرقة رشدى فتمثلها بنجاح يغبط عليه وهتف له الجمهور في الليلة الاولى من تمثيلها اعترافا بفضلها . كانت رواية « المصفور في القفص » ذات ثلاثة فصول ، مكتوبة باللغة العربية القصصية ، ولكنه رأى فيما بعد ان يغير بعض حوادثها فكتبها باللغة العامية المصرية لانه وجدها أكثر انطباقاً لحوادث الرواية وأشخاصها ، ثم زادها فصلاً ختامياً .

ظلت فرقة رشدى تمثل الرواية ولكن تدهور التمثيل الجدى وقتئذ وعدم عناية الاجواق الجدية برواياتها حطت من قيمة الرواية كما حطت من قيمة كل الروايات الجدية الاخرى . ولم يستطع تيمور ولا خلافه ممن اهتموا باصلاح التمثيل وتهذيبه من مديد المساعدة لتلك الاجواق الجدية المهابطة بفنها الى الحضيض لان مرضاً قاسياً تشبى فيها وأصبح شفاؤها موكولاً للزمن . ولا يسمح لنا المقام هنا بشرح العوامل التي أدت الى انحطاط التمثيل الجدى <sup>(١)</sup> وانصراف الناس عنه ، فكلنا يعلم أن لاهمال

(١) انظر مقالات تيمور « التمثيل الفنى واللافنى »

مديرى الاجواق الجديدة، وجهلهم ميل الجمهور المصرى، وأنايتهم، وصلفهم فى بعض الاحيان، من أم العوامل التى أدت الى فشل تلك الفرق الجديدة. لم يقدم تيمور على التأليف المسرحى بعدما شاهد بنفسه نصيب روايته الاولى ولكنه انصرف فى هذه الآونة المصيبة الى خدمة التمثيل من طريق النقد، وكانت الاجواق الهزلية فى ابان مجدها وعلى رأسها نجيب الريحانى مبتكر شخصية «كشكشيك»، فبدأ تيمور كتابته بنقد نجيب الريحانى أظهر فيها بوضوح تام قيمة الروايات الاوبريت الهزلية التى يمثلها الريحانى وغيره وبعدها عن الفن الكوميدي الصحيح، ثم شرح العوامل الخفية التى أدت الى نجاح هذا النوع الخليع حتى تغلب على الفن الراقى. وكانت هذه المقالة التى كتبها تيمور عن الريحانى فاتحة لسلسلة مقالات أخرى نقدية عن أشهر الممثلين مثل الشيخ سلامة وأبيض ورشدى وعزيز وعكشه وآخرين غيرهم. وأحدثت هذه المقالات رجة كبيرة فأعجب بها الادباء والمشتغلين بالفن إعجاباً شديداً لاحتوائها على الحقائق، وبعدها عن التحيز، وخلوها من الدم، فقد سلك فى كتابتها مسلك النقاد الحر الجريء.

ولما رأى الفقيد اقبال الجمهور على التمثيل الاوبريت الهزلى الخليع وانصرافه عن الجدى بتراجيديه ودرامه وكوميديه ظن انه لو قدم للجمهور رواية كوميدى فنية خالية من الخلعة أمكنه أن يجتذبه اليه ويبدأ، فألف رواية «عبد الستار اخندى» باللغة العامية، وهى رواية قوية، متينة، محكمة، مزينة بالنكات الفكاهية والمواقف المجرىسية. هى صورة



اللاب وابنه  
محمد تیمور مع ابنته راویة (دیری)

حقيقية لاحدى العائلات المتوسطة، أظهرها الفقيه على المسرح وشرح فيها شرحاً وافياً أخلاق تلك الطبقة . مثلها الممثل القادر عزيز عيد بفرقة السيدة منيرة المهدي فأجاد عزيز وأفراد الفرقة تمثيل الرواية وقابلها الجمهور بما تستحقه من العناية، ولكنها لم تستطع الثبات طويلاً على المسرح الجدى نخلوها من الألقان والخلاعة ولاتقبال الجمهور عامة على المسارح الهزلية بشغف زائد. فلما رأى تيمور حظه ورايته من الإهمال امتنع عن التأليف المسرحى خوفاً على عمله من المهانة وجهده من الضياع وجعل يكتب فى السفور كمادته فكتب مقالات خواطر ثم مذكرات باريس وغيرها . ثم اشتركنا سوية فى تحرير السفور فكان هو عماده الأكبر، وأصدرنا خمسة عشر عدداً كان للفقيه فى تحريرها النصيب الأوفر، فكتب عدة مقالات فى الأدب والتقدم والاجتماع والتمثيل . ولعل مقالاته الفكاهية « محاكمة مؤلفى الروايات التمثيلية » هى أحسن ما كتبه فى ذلك الحين. ثم لما عاد الكاتب الفاضل عبد الحميد حمدى الى استلام زمام السفور انصرف تيمور ثانياً الى التمثيل . عز عليه أن يرى التمثيل يهوى بسرعة الى الخفوض ، وأن يرى الفن يلبس ذلك اللبوس المزرى الخليع، فأراد أن يأتى بآخر مجهود لاهياء الفن وأقدم بجماعة مدهشة واشترك مع نجيب افندى الريحانى رب التمثيل الهزلى ليؤلف لفرقة الجديدة بكازينو دى باريس روايات مجوزية فكاهية . تحول تيمور عن المسرح الجدى ومد يد المساعدة الى خصمه بالامس الذى انتقده وأفصح عن مساوئه . — اتجه تيمور الى المسرح الهزلى وبدأ يعمل له ، وما دفعه الى ذلك غير



محمد نجیب

طالب حقوق بیاریس



الجمهور الطفل الذي لم يكن يرضى الا بالهزل والمجون . فاضطر تيمور  
أن يرضيه وهو يسمى رويداً تهذيبه وتحويله لانه انما كان  
غرضه . الاساسى وضع روايات هزلية راقية يتوخى فيها بمض  
أصول الفن مقعمة بالالخان ثم يتدرج بالجمهور رويداً الى الكوميدي  
الفنى الراقى ثم الى الدرام الكوميدي وهلم جرأ . وكان بدء عمله رواية  
« المشرة الطيبة » وضعها عن الممالك فى مصر وكانت أول رواية من  
نوع الاوبرا بوف ظهرت على المسارح المصرية ، ولكنها لم تصب  
النجاح الذى تستحقه ، فقد انتقدها بقسوة جماعة من الكتاب وعابوا  
عليه موضوعها وهو « انتقاد هزلى وتهكم على حكم الممالك فى مصر » .  
وليس المقام هنا مقام شرح وافضة وانما تقتصر على شرح فكرة تيمور  
الاساسية التى توخاها فى عمله هذا . كتب تيمور روايته عن الممالك  
فى مصر لعدة أغراض أساسية أهمها : اظهار عصر من عصور مصر ابان  
حكم الممالك على المسرح بلون حقيقى وصبغة محلية قوية وأشخاص حية  
وذلك بقالب فك راق ولغة تناسب المقام . واذا علمنا أن المشرة الطيبة  
هى الرواية الفرنسية الهزلية ( ذو اللحية الزرقاء La Barbe blue ) لقمنا  
مقدرة تيمور فى تمثيل الاشخاص واختيار العصر المصرى الموافق للرواية ،  
ولعلمنا ما كان يرى اليه من وضع الرواية على هذا النمط وهو شرح حالة  
مصر فى عهد طغمة الممالك التى يعرف الجميع عسفها وظلمها رمزاً للقوة  
الاستبدادية المذلة .

اعتري تيمور اليأس من عمله لانه وجد مجهوده الفنى يضيع سدى .

على المسرح الجدى والهزلى على السواء وداخله حزن عميق لعدم توفيقه خدمة الفن الذى تعلق به وأحبه حباً عظيماً ، وأراد أن يحطم ذلك اليراع الذى شهره جهاداً فى سبيل التمثيل . ولكن ماهى الا فترة مضت حتى تجددت تلك الشعلة الكامنة وبدأت ترسل وميضها فى أفق الفن العابس المتهمج ، تحرك اليراع بعد أن هدأ برهة فخط رواية الهاوية . تحرك حركته الاخيرة التى سكن بعدها الى الابد .

بدأ تيمور يكتب « الهاوية » واليأس يملأ قلبه والنيوم الحالكة ما زالت ملبدة فى أفق التمثيل الجدى ، والمسرح الهزلى ينفث موموه القاسية الفتاك . بدأ تيمور يكتب الهاوية وهو لا يدري أى ريح تحملها وأى فرقة ستمثلها وهل يكون نصيبها السبات الميق فى درج مكتبه أو الاحتضار والموت على المسرح الجدى . كان يكتب تيمور « الهاوية » لاجل الفن فحسب . كان يكتب لانه يريد أن يكتب ، يريد أن يعمل ويساعد الفن بالرغم من الفن نفسه . بدأ تيمور روايته فى ذلك الجو العابس ولكنه لم يكدم يتما حتى رأى بوادر الانحلال والضعف قد بانت فى جسم التمثيل الهزلى . أجل لقد بدأ المسرح الخليع يهوى من تلقاء نفسه الى هوة القشل السحيقة لان الشيخوخة أصابته وهو فى عتفوان شبابه وعز سلطانه . لقد مل الجمهور الهزل والخلاعة ، وكل شئ اذا تكرر وزاد عن حده مجته النفوس وكرهته ، وتمطش ذلك الجمهور الى الجد بعد أن امتلأ جوفه من المجون والتهتك فأقبل يتلذذ المسارح يبحث فيها عن منالته . وتألفت فى ذلك الحين فرقة ترقية التمثيل



العربي (آل عكاشه وشركاؤهم) وشرعت تمثل روايات جدية بين قديمة وجديدة على مسرح الحديقة الجديدة الذى بناه خصيصاً للفرقة الرجل العامل النشط طلعت بك حرب . وانتهى تيمور من تأليف روايته فوجد فرقة جدية ناهضة ترحب بروايته وشاهد مسرحاً نخباً نظيفاً متقناً أهلاً لأن تمثل عليه الهاوية ، فقدمها للفرقة عن طيبة خاطر وكله أمل فى نجاحها .

كان تيمور شديد الاعجاب بروايته مبتهجاً بقرب تمثيلها فرحاً للنهضة الجديدة التى بدأت تشرق من مسرح الحديقة . ألا أن تكون « الهاوية » فاتحة الروايات المقبلة . بدأ تيمور « الهاوية » فى جو قاتم يخيم عليه اليأس وختمها فى جو صاف تشرق فى جوانبه الآمال ولكنها ، وباللحسرة القاتلة ، كانت آمال مكسوة . آمال سوداء يخيم عليها الموت . انتهى المؤلف من روايته فبدأ الموت يكتب روايته الرهيبة ، فلم يكدر يرمى تيمور القلم من يده حتى ماء المرض على سرير الموت . وعلى ذلك السرير حيث كان يتنفس النفس الاخير لم يفتر تيمور لحظة عن العمل فى سبيل اخراج روايته فقد كان المثلون يعودونه ويقرأون عليه أدوارهم وهو يرشدهم الى ما يهمهم منها ، وقد كان يوصى أصدقاءه لحضور تجارب (بروفات) الرواية وبراقبونها بالنيابة عنه . وكانت أيلم معدودة قضاها تيمور على فراش المرض وكان الجميع ومنهم الاطباء انفسهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً بسلامته لان اليرقان من الامراض السليمة الماقية ، وكانت الدلائل تدل على انه سائر فى طريق الشفاء الحتم . ولكن بغتة والكل مستبشرون مسرورون أصيب

الفقيد بنكتين قويتين لم تحملهما جسمه المريض فانطلقت تلك الشعلة  
المنهبة وتلاشت تلك الفكرة الواداة المنيرة، واتقل تيمور من قصره الى  
قبره ( القصر الذى لم يتم فيه شهور المسل الحلوة الجميلة ) . اختطف  
الموت تيمور من والد أفنى عمره فى راحة ابنه مجتزأ بذكائه غفورا بأعماله ،  
ومن زوجة حامل لم تكدرشف منه كأس السعادة حتى تحطمت ، ومن  
ابنة صغيرة بدأت ترنم وتغنى باسمه شاعرة بمعطفه وحنونه ، ومن شقيقتين  
أرواحهما متصلتان بروحه ، ومن عائلة كان هو ابتسامتها ، ومن أصدقاء كان  
هو الوفاء والمحبة بينهم ،

.....  
وقبل أن نختم ذلك الفصل نقول كلمة عن رواية « الهاوية » وعن  
مؤلفاته الأخرى التى كتبها ولم ينشرها . أما « الهاوية » فقد مثلتها فرقة  
ترقية التمثيل العربى بعد وفاته بشهرين تقريبا وكان نجاحها مدهشا حتى أن  
الجمهور هتف للمؤلف فى احدى لياليها . أما مؤلفاته الأخرى « رسائل  
مجبور افندى » التى لم أعثر الا على رسالتين منها الأولى تامة وقابلة للنشر  
وعنوانها « الرتب والنياشين » ، والثانية مبتورة لا تصلح للنشر . ورواية  
قصصية أخلاقية اسمها ( الشباب الضائع ) غير تامة . ورواية أخرى قصصية  
لم يكتب منها الا الفصل الأول وعنوانه « جلال الموت » . وكان الفقيد  
يريد أن يؤلف كتابا فى تاريخ مصر والنيل بأسلوب قصصى جديد نشر  
المقالة الأولى منه فى سفور السنة الخامسة ، ووجدت بين أوراقه  
مذكرات عديدة عن مراجع الكتاب وشذرات عنه . وقد طلب منه

الاستاذ عبد الرحمن رشدى حينما كان ممثلاً أن يعرب لفرقة رواية « الاب لبونار » فعرّبها وأهداها للفرقة لتمثلها ، ولكن من غريب الأمور أن الفرقة أهملتها ولم تمثل الرواية حتى اليوم على المسارح المصرية ، ولكن الاستاذ جورج أبيض استأذن الفقيه وأخذها من فرقة رشدى المتحلة لتمثلها في رحلته في الشرق . ورواية الاب لبونار من الروايات القيمة الدائمة الصيت التي أصابت نجاحاً عظيماً في فرنسا . وقد عرّب تيمور غير رواية « لبونار » رواية « اللز » وكان كلفاً بها وأراد أن يهديها ليمض الجمعيات الادينية لتمثلها ولكن الظروف لم تشأ ذلك فركت في درج مكتبه .

أما كتابات الفقيه الأخرى فلم ينظم الا قليلاً من الشعر بالفرنسية حينما كان في فرنسا حينئذ الى وطنه . وكان يشتغل قبل وفاته بكتابة رواية مصرية قصصية بالفرنسية عنوانها « الفتوة » ولم يتم منها الا الفصل الأول . ثم كان يعمل بالاشتراك مع أحد أدباء الفرنج على تأليف رواية تمثيلية مصرية لتمثل في أوروبا ، وأنجز منها ، مشاهد ومواقف عديدة . أما حياة الفقيه السياسية فأعرف عنه انه كان عضواً عاملاً في جمعية أبى الهول المصرية حينما كان في فرنسا ولما انتقل الى مصر كان من ضمن مؤسسى الحزب الديمقراطي . ومنهجه في السياسة مذهب كل وطني حر يطلب السعادة لبلاده في ظل الحرية الدائمة .

هذا موجز بسيط لحياة تيمور منه نعلم كيف كانت نشأته وكيف تطورت حياته وكيف كانت تأثيرات البيئة والوراثة في تكوين شخصيته

واظهار أمياله . ولمى أستطيع أن أظهر للقارئ شخصيته القوية ، وأن  
أشرح له نفسه وأمياله بشرح أعماله الكتابية ثراً ونظماً ، فما تأليف  
المرء الا المرأة الصقيلة التي تنمكس عليها نفسه وتنجلى عليها روحه ، فتحليل  
مؤلفات تيمور ماهو الا تحليل لتلك النفس الطاهرة ذات الشعور  
العميق والوجدان الجليل .

.....

## الفصل الثاني

### مؤلفاته

#### قطعة نظميه

لقد كتب العقيد نحو ستين قطعة نظميه هي كل ما نظمته من  
الشعر في طوره الاخير . أما ما كتبه قبلا أى قبل سفره الى أوروبا  
فكثير أعماله حين رجوعه ، أى في الوقت الذى وجد فيه نفسه قد  
تغيرت عن قبل . ففي شعره الأول كان لا يتحدث قصائد المدح والثناء  
والفخر وكان اذا مدح بدأ بالنزل ثم تخلص منه الى المدح شأن الشعراء  
الاقدمين فكان شعره لا يخلو من مسحة التكلف والتعمل . أما في  
طوره الاخير فبعد ان شاهد جمال الطبيعة في أوروبا وتشبعت نفسه بها  
وامتلاً فؤاده سحراً بنفثات الشعر الفرنسى وعرف أصول النقد فيز  
الث من السمين شعر بدافع داخلى كان يدفعه للنظم حينما يريد لا كما

تريد الظروف . فكان في هذا المهد شاعراً حقيقياً يكتب ما يشعر به ، وهذا أمميزات شعره الجديد ، بجميع قطعه خالية من المدح والذم والثناء ، ولكنها نعمة تلك المواطف الرقيقة وذلك الشعور العميق . وشعره في هذا الطور سهل العبارة فيض رقة وسعراً ، وهو على قسمين : شعر غزلى . وشعر وجداني وصفى .

أما شعره الغزلى فكتبه عن شعور حقيقى ، شعور قى أحب ولم يسمد فى حبه — حب لم يكن أهلاً لصاحبه . فأظهر فى شعره هذا عواطفه الصادرة عن قلب مكوم متألم ، ولكنه قلب طاهر يرنو دائماً الى المحب ويأنف من المذلة والمار . ولما تخلو قصيدة من قصائده هذه من تلك الالفة العالية التى لم يهزمها غرام عرف أن فيه مذلة .

ترى ذلك فى جميع قصائده الغزلية فنحس بالذكر منها قصيدة «أنا وهى» و«حبة الخاطر» و«أنت» الموجودة جميعاً فى المجلد الاول من تأليفه ، وقد ملأها بوصف رائع للحب ، وشكوى حزينة من الزام ، وصولاً عالية فى سبيل المجد ، نعلم منها عزة نفسه وبُعد عن اذلالها . أما شعره الوصفى والوجدانى فهو شعر رقيق أبدع فيه كل ابداع ، أملاه عليه وجدانه العالى وشعوره الصادق وأفرغ فيه حزناً مستفيضاً مما يملأ قلبه ، فأتى جميع شعره الا بعض قصائد معدودة ، سئد كرها فيما بعد ، مصبوحاً بلون الحزن تسيل منه الشكوى والآلام .

لم يكن تيمور بالفتى الحزين المهموم بل كان الشاب الضاحك اللامع الذى لا تفارق النكتة فيه ، حديثه ابتسامة ساحرة شبيهة تأخذ بمجامع

القلوب . ولكن تيمور الذى كان يجالس الناس ويسامرهم ويضاحكهم بحديثه الطلى الساحر لم يكن الا الفتى المتألم ، الكاره للحياة ، الواجد على الدنيا حينما يأتيه وحى الشعر الجليل . كانت له نفس باطنية خفية لم تكن تظهر الا اذا كان منفرداً ينظم عواطفه فى قصائده ويسكب نفسه على قرطاسه . ولذا تسمع من معظم شعره نفحة حزينة مبللة بالدموع هى رنين أوتار قلبه المتوجع . ولا ريب فى أنه هذا الحزن الذى كان يشعر به تيمور ويظهره دائماً فى نظمه كان حزناً خلقياً ، وليس عرضياً مسببته بعض الظروف .

. وما قصائده « ياموت » و « عرش الحداد » و « الشاعر الغضبان » و « القلب » وغيرها الا صوت قواده الذى يجادئك ويناجيك عن آلام خفية لم يعرف مصدرها ولكنه يشعر بها فى نفسه . هالك أوصافه أيها القارئ تصفحها فى غير هذا المكان . ألا تجد لها كلها أنة طويلة وشكوى من الحيلة . « فالبلبل الصامت » و « دموع الشفق » و « النجم الآفل » و « شجرة على شفا الموت » و « الطائر السجين » . وغيرها من قصائده الوصفية ليست الا مظهر ذلك القلب الدامى الحزين . أما قصائده « خوف » و « الهاوية » و « العجر الأول لحمد على » و « الحرم الاكبر » فلعلها القصائد الوحيدة التى خلت من نفحة الحزن . وهى وان كانت قوية الأسلوب ، رائعة الوصف ، خلاصة الرنات ، تشهد بقوة شاعريته ، إلا أننا نندمها فى الصف الثانى لشعره لخلوها من الانات والببرات التى كانت وحية الالهى فى النظم .

## نثره

لم يكن تيمور في نثره غيره في شعره فجميع قطعه الوجدانية والاجتماعية والتمثيلية والانتقادية والقصصية كتبها بدافع نفسى لا اضطرارى، فانت معظمها ان لم تكن كلها ناضجة متينة ذات تأثير غريب، لان النفس لا تتأثر الا بما هو صادر عن النفس

ونثره ينقسم الى ستة أقسام :

الاول : قطعه الوجدانية

الثاني : قطعه الاجتماعية والادبية

الثالث : قطعه القصصية « ما تراه العيون » و « قصة الشباب

الضائع »

الرابع : قطع « خواطر »

الخامس : قطع « مذكرات باريس »

السادس : قطع عن التمثيل .

هذه القطع تنفرع الى أربعة أقسام :

الاول : منولوجاته التمثيلية

الثاني : نقده على الممثلين

الثالث : محاكاة المؤلفين الروائيين

الرابع : مقالات عامة كتبها عن تاريخ التمثيل وغير ذلك .

### قطعة الوهرانية

هي مقالات من الشعر المنشور صاغ فيها عواطفه ووجدانه بأسلوب خيالي راق ، خال من التصنع ، ذي أفكار وآراء جديدة ، وهي تشبه بعض الشبه شعره ، فهي مظهر من مظاهر روحه .  
لم يكتب منها غير بضع قطع نخص بالذكر منها «الشاعر والليل» و «حديث زهرة» و «حب البقاء» . وكأنه استعاض بشعره عن هذا النوع فلم يكثر منه ولم يعن به عنايته بنظمه .

### قطعة الاجتماعية والادبية

هي مقالات طرق فيها مواضيع مختلفة ضمنها بعض آرائه الأدبية والاجتماعية والانتقادية تتنازع بحمية الإصلاح التي كانت تمتد في جوانحه . فثال ذلك مقالة « الأفكار الحديثة والقديمة » كتبها بدافع حبه للجديد النافع ، وكرهه للقديم البالي فأظهر فيها بعض تلك الشعلة التي كانت تذكو وتضطرم في قلبه .

كان يكتب مقالة هذه فكانه كان يتكلم . فاذا ما قرأت إحدى تلك المقالات فكأنك تسمع حديثاً طلبياً مفهوماً لا يصعبه المال ولا السأم . يحدثك تيمور أيها القارئ في مقالته بكلام عذب منطقي يدور حول نقطة واحدة ، خال من السفسطة والتكرار واللفو . في هذا الحديث أو بعبارة أخرى في تلك المقالات يكشف لك تيمور عن قواده ،



فيكلمك عن الرتب والنياشين في « رسائل مجبور افندي » ويشرح لك حالة هؤلاء النفر الجمال الماطلين الذين يسعون جهدهم لتيل رتبة أو نشان ولا يصرفون ذلك الجهد للعمل الصالح لأنهم ووطنهم ، وكيف انهم لو أتوا بعمل نافع مفيد سمت اليهم الرتب من غير أن يسعوا اليها ، فتعلم اذذاك ميل هذا الفتى للديمقراطية الحققة والمصايمية التي لا تعرف الانساب والاحساب ولكنها تعرف الأعمال فحسب . ويكلمك عن « المجمع اللغوي ومشكاة الالفاظ » فيوضح لك رأيه بلا تحيز أو تعصب ، فتعلم منه انه انما كان يسعى في سبيل احياء اللغة وتثيت مكانها . ثم تقرأ له حديثه عن « شوقي وجبران » فاذا فيه يمتدح شوقي في شعره الجديد الخالي من التكلف ، ويتغنى لك بقصيدة « أنس الوجود » و « حفلة الرقص » ثم يظهر لك ( نبوغ ) جبران شاعراً وناثراً فيوضح لك ضمناً رأيه عن الشعر فيقول : ما الشعر الا ذلك الفكر الناضج والشعور الحى يصيغهما الشاعر بلفظ ساحر متين مفهوم خال من التكلف والتعقيد . وما مذهبه في الشعر الامذهب الابعاد عن طريقة الأقدمين وانهاج مذهب الابتداع الذي تظهر فيه شخصية الشاعر مستقلة حرة غير مقيدة .

وقس على ذلك قطعه الاخرى .

## قطعة القصصية

### مآثره العيون

لا أغالى إذا قلت ان هذه القطع هى من أحسن ما جادت به قرائح الادباء فى هذا العصر . ولو كان الفقيه تفرغ لها وسمح لنفسه بوقت كاف لاتمامها لكان أتى لنا بالمعجز فيها .

« مآثره العيون » قصص صغيرة كتبها المؤلف عن الحياة المصرية واتبع فيها مذهب الحقائق ( الريالزم ) الخالى من الغلو أو الخيال فرسم فيها بقله صوراً ومشاهد حقيقية حية على مسرح الحياة المصرى . والتي امتازت به هذه القصص أوصافه الدقيقة وألوانه الحقيقية الناصعة ، وانتقاده الاخلاق الراق ذو المحزون الفكهى الساحر . فاذا ما قرأت له عن شخص من أشخاص قطعه أمكنك أن تتصوره فى ذهنك بصورة وقسه وأخلاقه حتى ورتة كلامه . واذا قرأت له قطعة بأكملها استطعت أن تتصور فى ذهنك روح تيمور الساحرة وحديثه الفكهى الجليل .

• امتاز الفقيه شخصياً بدقة الملاحظة وثبوت المشاهدات وانطباعاته فى ذهنه ثبوتاً تاماً ، وانطباعاتاً مدهشاً ، وكان بفطرتة ميالاً للتقليد ومتقناً له غاية الاتقان ، فاذا ما رأى مشهداً ملقناً للنظر استطاع أن يروى لك حوادثه بدقة واتقان مهما قدم عليه الوقت ، واستبطل أن يصور لك بحديثه صور الاشخاص وحركاتهم ويكلمك بكلامهم فكأنك ترى

وتسمع مارآه وماسمعه عن حقيقة ومن غير تكلف . فن ذلك نعلم سر تلك القوة المبتكرة التي ظهرت واضحة في « قصصه » و « خواطره » و « مذكراته عن باريس » و « رواياته التمثيلية » و « محادثاته للمؤلفين الروائيين » .

وانى أدعك أيها القارئ الكريم أن تقاب صحائف ذلك المؤلف الذى يبدك وأن تقرأ الآن قطعه « فى القطار » لتستطيع أن تتصور فى غيلتك صورة تيمور كما هو

هذا هو مذهب تيمور فى معظم كتاباته ، وهذا هو شخصه يبدو لك من بين سطوره يحدثك حديثه العذب الشهى .

ويحذر بنا فى ختام هذا الكلام أن نقول كلمة صغيرة عن روايته القصصية « الشباب الضائع » .

لم يتم تيمور هذه الرواية وان كان قد أتى فيها ببعض ماحوظات ختامية يعلم منها القارئ حوادث الرواية النهائية ، خطها المؤلف بلغة سهلة خالية من التكلف والتسل . والظاهر أنها أول عمل قصصى له . كتبها بعد خروجه من مدرسة الزراعة العليا ولم يكن قد كتب شيئاً من قصصه قبل ذلك الوقت فكانت بمثابة تمرين له على الكتابة القصصية ظهرت فيها مواهبه وتجلت تلك القوة الخفية المنبثة بمستقبل جميل فى هذا النوع .

فالشباب الضائع بأوصافها ومشاهدها وأحاديثها وأشخاصها وتحاليلها

النفسية صورة جليلة واضحة يعلم منها القارئ انبثاق عبقرية تيمور واشراقها،  
فهى فجر تأليفه ومقدمة ذلك العمل الجليل .

### نموذج

« مقالات خواطر حذا فيها حذو » ما تراه العيون » ولكنها أشبه  
بمذكرات ضمنها مشاهداته فى الحياة وملاحظاته عنها ، أوضح فيها كثيراً  
من آرائه وأفكاره وانتقد فيها نظم الحياة الاجتماعية القاسية . هى قطع  
اجتماعية ، أخلاقية ، انتقادية ، وصفية ، كتبها بأسلوبه القصصى الرشيق .  
فن خواطره الوصفية خاطرة عن « الكتّاب والعريف » وأخرى عن  
« رمضان فى قهوة ماتاتيا » ، فى الاولى وصف فيها كتاباً حقيقياً كان  
زاره صغيراً ، وروى واقعة حال جرت بين العريف وأحد الاطفال ، وفى  
الثانية رسم بقلمه التصويرى القادر قهوة ماتاتيا وما حوته من صائين  
ومدعين الصيام ومفطرين . أما فى قطعة « الطيب » و « عرس وماتم »  
و « لبن بقبوة وابن بالراب » و « سارق وسارق » فقد أظهر فيها  
عواطفه نحو الفقراء ومشاركته لهم فى آلامهم وانتقد فيها قوانين الحياة  
وعدالتها المشوهة ، ولا ريب أن هذا منظر من مظاهر حبه للمساواة  
وانصاف المظلومين ، وقد شرح فى قطعة « المرأة لم تخاق لهذا النعيم فى  
مصر » و « سر من أسرار تأخر المصريين » و « هنا وهناك » حبه  
لتحرير المرأة ، وكشفه عن عوامل قهقر المصريين ، والفرق بين التلميم  
الغربي والشرقي . فمقالته خواطر هى خواطر حقيقية دفعه الى كتابتها

عوامل المحيط الذى عاش وتنقل بين ارجائه ، جاشت بها نفسه فأظهرها خالية من التصنع والحشو وعرضها بصورة حية للمجتمع الانسانى



## مذكرات باريس

مذكرات باريس مماثلة لمقالات خواطر غير انها شخصية كتبها عن نفسه ، شرح فيها عصرآ من عصور حياته وما شعر فيه من ملذات وألم ، ومارآه فيه من مشاهد ومناظر وما وقع له فيه من حوادث . هى صحيفة من صحائف حياته كتبها بنفسه ، لم يخط فيها غير الحقائق ، فهى مذكرات بالمعنى الحقيقى

القطعة الأولى وصف فيها شعوره فى بلاد الغربة وتأثير تلك البيئة الجديدة التى انتقل اليها وشرح فيها أيضا رحلته من برلين الى باريس باختصار

والثانية وصف فيها مجلسا فرنسيا مكونا من بعض الاصدقاء وعرض للجمهور المصرى صورة من مباحثات ومناقشات ذلك المجلس الأدبى ونضوج عقل المرأة الفرنسية ورقى فكرها وتضلعا فى آداب بلادها ومقارنتها بامرأتنا الشرقية ليطلع المصرى الفرق بين تعليم نساثننا ونسائهم ودرجة رقى المرأة الافريقية وتأثير رقيها فى حياة الأمة

والثالثة وصف فيها ليلة فى تيارو الأديون وروى فيها حادثة وقعت فى تلك الليلة مضمونها أن رجلا من طبقة النبلاء قاطع أحد للمثلين وكان

يلقى متولجا بين الفصول عن كورنيل وسخر بهذا المؤلف الذائع الصيت فهاج عليه الجمع المحتشد وأخرجوه عنوة من قصورته وأهانوه بشتائمهم وصغيرم لأنه تجراً وأهان « كورنيل العظيم ». لم يكتب تيمور هذه القطعة ليروى حادثة خسب بل أثبتها ليظهر للمصرى كيف يعجبون العظماء وكيف يحامون عنهم أحياء كانوا أو أمواتاً، وما « كورنيل » الا عظيم من عظماء فرنسا وأحد مؤلفيها التمثيليين الذى عمل على بناء ذلك الركن الخالد المنير ألا وهو الادب الفرنسى . روى تيمور هذه الحادثة ليظهر روح الديمقراطية العالية التى تشربت بها النفس الفرنسية فساوت بين طبقة النبلاء والعامية . وقد ختم مذكرته هذه قائلا ( وعدت الى دارى وأنا أفكر فى هذه الروح الديمقراطية التى شاهدتها تجسم أمامى فى دار الادبىون والى أود من صميم قوادى أن تنتشر فى مصر بلادنا المحبوبة )

والرابعة كتبها وصفاً لصديقه الأمريكى « هويت » الذى عاشره برهة من الزمن فوجد فيه نعم الصديق . فى ذلك الوصف الحقيقى لنفسية ذلك الأمريكى وأخلاقه وعوائده، صورة حية للنفس الأمريكية الثابتة ذات الخلق الرزين

والخامسة قطعة كتبها عن عيشته فى ضيعة ( نوجان سيرمارن ) وما شعر فيها بسعادة الحياة فقال « .. شهرين كاملين ، را كما يمر الحلم المذب برأس النائم — شهرين كدت أنسى فيهما نفسى وأكذب حسى — شهرين عاشرت فيهما الطبيعة الساكنة المنعشة بعيداً عن ضوضاء باريس،

ولباريس الشتاء ولضواحيها الصيف». ثم روى حادثة محزنة وقعت لكليين أحدهما يدعى «خرطوش» والآخر «سكر» وكان خرطوش من فصيلة معروفة مشهوراً بمجدته وطيشه وقوته وأما الآخر «سكر» فكان كلباً ممتنناً لا تنظر إليه العين إلا بالاحترار لانه من الكلاب التي ليست لها فصيلة ولا نسب . ففي أحد الأيام أقدم خرطوش القوي البنية الشرس الاخلاق ذلك الكلب الوديع الهادئ فقضى عليه .

وقد ختمها قائلاً : ( لقد كنا نكره سكر في حياته فإذا بنا نحبه ونجمله بعد مماته . لقد كنا تتفاقل عن وداعته وطيبته ونهزأً بذلكه وضعفه ونقول ليس هذا الكلب من فصيلة معروفة فهو عديم الأصل ولكننا نعتقد اليوم بعد أن قضى ذلك الشهيد ان الأصل لا دخل له في الطيبة وأن مخلوقات الله سواء . وبأيت شعري أليس الحالة كذلك بين الناس فعلام يكون الحق للقوة وعلام تكون الطيبة والوداعة ضحية الظلم ومتى ينقشع عن العالم الانساني ذلك السحاب الاسود )

والسادسة مسألة مذكرات حياته في باريس لم يكتب منها إلا بضع مقالات لم يتمها . وجعلها في الظاهر تاريخاً لحياة غيره ولكنها في الحقيقة كانت لنفسه . نشر الاولى منها تحت عنوان « هو وهي » تضمنت هذه القطعة حديثه عن زيارة حفلة راقصة خصوصية . شرح فتح بدايتها : أميال نفسه بكل حرية وجلاء فأظهر علانية كيف كان يكابد الآلام في دراسة الحقوق — العلم الذي لم يعمل اليه ، والذي لم يكن يرى منه أى أمل

لتحقيق أمانيه في الحياة لانه كان شغوفاً يعلم الآداب وفق التمثيل شغفاً ملاك نفسه وملاً فراغ قلبه . وفي ذلك يقول : (جلس يجوار النافذة ونظر الى السماء القائمة كأنه يرى فيها عبودة نفسه ثم اطلق زفرة من بين جوانحه وقام يتمشى في النرفة ذهاباً وإياباً ثم أمسك بكتاب قرأ على صفحته الاولى هذا العنوان ( مبادئ القانون المدني ) ثم ما لبث أن التقى به على اللوان وهو يقول ساخراً ( مبادئ القانون المدني . مبادئ القانون المدني ) .

: الى أن قال : ( جاء الى باريس ليدرس الحقوق وما كان بنفسه ميل لعلوم الشرائع ولكن والده لم يسمح له بمغادرة القاهرة الا ليلقى بنفسه في أحضان تلك العلوم . فسافر وفي قلبه غصة ولكنه وطد النفس على الدأب والعمل جانبا بين علوم الحقوق التي كانت تجشم نفسه ما لا تستطيع احتماله وبين علوم الآداب التي يرى فيها مسكة الأمل وقررة العين . )

حقاً . لقد كان تيمور يري في الآداب « مسكة الأمل وقررة العين » ولذا رأيناه يميل للآداب حتى النفس الأخير :



## ما كتبه عن التمثيل

لنقل التمثيل في مصر . مترن دائماً باسم تيمور ، فهو من مؤسسى الفن الباشلين على رقيه . كان تيمور أول فنى ارستقراطى دخل غمار التمثيل كيمثيل وكؤلف وكنقاد . فكان لدخوله في هذا الغمار أثر ناجع وفضل لا ينكر . وجهود جلاله على قصر الوقت الذي صرفه فيه . التمثيل هو النعمة



الجميلة التي كان يطرب لها تيمور وترنم بها ويستعيد بها . هو الصورة  
الجليلة التي كانت مرتسمة دائماً في مخيلته لا تهارقها . أجل التمثيل —  
ولا أنفالى اذا قلت — هو محبوب تيمور الذى تشقه صغيراً وهام به شاباً  
وعمل له رجلاً . ما أحلى ذلك اللفظ على قلب ذلك الفتى الراحل ، فكم  
من حديث له عنه ، وكم من مباحث له فيه ، وكم من مناقشات ومجادلات  
من أجله . ولما كان على فراش المرض الاخير كانت روايات التمثيل  
يجواره على نفس القراش يطالها بشغف زائد كأنه كان يودعها الوداع  
الاخير . وهكذا قضى تيمور ولفظ التمثيل بين شفثيه ، وكتابه تحت يده ،  
وصورته في مخيلته . فلا غرو اذا تفوق تيمور على سائر كتّاب العصر  
بالكتابة عن المسرح والمبصر ، ولا غرابة اذا كانت أعماله المسرحية  
من نقد وروايات في مقدمة أعماله الاخرى من شعر ونظم الا فى بعض  
أشياء قليلة .

كتاباته المسرحية تنقسم كما يئنا سابقا الى أربعة أقسام . الاول :  
منولوجاته التمثيلية . والثانى : تقدمه على الممثلين . والثالث : محاكاة المؤلفين  
الروائيين . والرابع : مقالات عامة كتبها عن تاريخ التمثيل فى فرنسا ومصر .  
هذا غير رواياته التمثيلية الكبرى التى سنفردها باباً بعد هذا الحديث .  
اقسم الاول : منولوجاته التمثيلية : هى أول أعماله المسرحية نظماً  
وتمثيلاً . كان ينظم المنولوج ليتمثله بنفسه فى حفلات السمر الزاكية . فلما  
انقطع عن التمثيل انقطع عن نظم منولوجاته ايضا . ولما كان الوقت  
الذى صرفه حاملاً على المسرح تمثيلاً كانت منولوجاته قليلة العدد .

ولا أغالى إذا قلت انه لم يسبق تيمور في هذا المضمار ولم يفقه في تأليف  
التولوجات المسرحية أحد . كان تيمور عالما خيرا بما يؤثر على الجمهور  
دارسا أصول الفن الصحيح فنظم متولوجاته على هذا الاساس بجاءت  
متينة قوية تهز سامعيا بما حوته من قوة وتأثير . وكان القاؤه لهذه  
التولوجات بنفسه يزيد بها روعة وجلالا بما كانت تكسبه من حسن  
اللقاء ودقة تمثيله . ولكن هذه القبطع المسرحية اذا قارناها بمنظوماته  
الاخرى وجدناها أقل منها جمالا من حيث جمال الشعر ، لانه وجه كل  
مجهوده في تأليفها لتكون صالحة على المسرح زد على ذلك سرعته في نظمها  
فأغلبها ان لم تكن جميعها نظمت في الصباح لتلقى في المساء  
وعدد هذه التولوجات سبعة وهى :

(١) القاتل وطيف المقتول : محاوره بين قاتل وطيف مقتوله شرح  
فيه ما يشعر به القاتل من توبيخ الضمير الهائل الذى يقضى على حياته  
في النهاية .

(٢) المفوض عند المقدرة : محاوره بين متقم لأبيه وقاتل لهذا الأب .  
تتنازع هذه القطعة بما حوته من شرح شعور كل من القاتل والمتقم  
ونفسية كل منهما ثم شهامة المتقم وقوة ارادته « وعفوه عند المقدرة »  
(٣) المال : محاوره بين غنى وفقير وخدام . تجلئ في هذه القطعة  
النفس الديمقراطية العالية بأجل معانيها ، ففيها شرح المؤلف نفس الغنى  
المتكبر الجاهل ونفس الفقير الطاهر الشريف ثم كيف يتنازل ذلك  
المتكبر العانى ، العذخور بأمواله ، ويضافع يد الفقير الشريفة . ويضم نفسه

- الطاهرة . وهكذا انتصر الشرف على المال والحسب
- (٤) آلام شاعر : منولوج وجداني . ملأه سخطاً على الحياة وآلامها . لما حوته من قلوب مفعمة بالقسوة والظلم . كله يأس وأحزان على انظمة الحياة الفاسدة وتحسر على انعدام العدل الانساني وقيام دولة الطمع والجشع في النفوس البشرية
- (٥) ابن الوطن أو اللقيط : قطعة وطنية حماسية تنتصر فيها الأعمال الجليلة على الانساب والاحساب . يمجدها المؤلف الشخص المعصى صاحب العمل الشريف النافع
- (٦) الزوج القتال : قصة زوج قتل زوجته التي خانته مع صديق له . شرح فيها شعور ذلك الزوج ودفاعه عن نفسه دفاعاً أثبت في نهايته هذه الحكمة المعروفة :

لا يسلّم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

(٧) الوردة الدابة : قصيدة نونية تبلغ الثمانين بيتاً تمتاز بحال المحاوراة النظرية التي تتخلها وسلاسة الاسلوب وسهولة اللفظ ورقته . هي قصة فتاة سقطت في حماة الرذيلة عن طريق الفواية . صور فيها تيمور بصورة التنس والشعلة وما يحيط تلك النفس المسكينة من أنواع العذاب والمحن . فأصاب الحقيقة بهذا التصوير الفني لأنه أخرج للناس منظرًا من مناظر الحياة الذي يتكرر وإن اختلفت المصور والأزمنة

### القسم الثاني : نقره على المكتبين

هو سلسلة مقالات انتقادية عن أبطال الممثلين ظهرت في جريدة المنبر سنة ١٩١٨ فأحدثت رجة كبرى في عالم التمثيل وشخصت إليها أبصار الادباء المهتمين بالحركة التمثيلية المصرية فكانوا يتخاطفون أعداد الجريدة ويطالعونها بشغف كبير . ولا غرو فهذه المقالات كانت الاولى من نوعها لان الفقيده تونخى في كتابتها أصول النقد الصحيح الخالى من الاطراء والقدح . لم تنه الصداقة التى كانت تربطه بمن انتقد من اخفاء حقائقهم بل شرح بكل صراحة وبلا تحيز نقائصهم وفضائلهم على السواء . كتب ما كتب باخلاص . وصدق نية ساعياً وراء الحقيقة وعجاًهراً برأيه بحجراًة وحرية مدهشة . كل ذلك فى سبيل الفن الذى كان يسعى دائماً فى اصلاحه وتهذيبه . ولا ريب فى ان هذا العمل كان أكبر مظهر لاستقلال رأيه وحرية ضميره ونزاهته ، ولكن حرية الآراء مازالت وليدة الامس فى مصر . والحق الصريح اذا جاهر انسان به فى هذا البلد عده البعض جريمة لا تغفر . ذلك لان القلوب مازالت تحوى بدور الانانية والاعجاب بالنفس والمصلح دائماً لا يقابل عمله — بمن يريد اصلاحهم — بالتحديد والتشجيع ، ففضب بعضهم من هذا الانتقاد — وماحق لهم أن يفضبوا لان الكمال لله وحده والانسان مهما علا فقيه عيوب خافية عنه يجب أن يمرها ليجتهد فى اصلاحها .

ولذا رأينا تيمور الطيب القلب يوجه كلامه لمن غضبوا من انتقاده عليهم في مقدمة « محاكمة المؤلفين » مناشداً إياهم — هم وغيرهم — ممن سيتكلم عنهم — أن لا يقابلوه بوجوههم الفاضب اذا قرأوا شيئاً عن انتقدهم ولم يرق لهم . وهانحن نثبت المقدمة ليطالع عليها القارئ ويعلم منها تلك النفس الطيبة التي كانت تسعى جهدها للإصلاح في جو السلام والصفاء

المقدمة : ( اتقدم للقراء الكرام بنشر هذه القصة الخيالية بعد ان ترددت كثيراً في نشرها خشية اغضاب اخواني الممثلين واخواني المؤلفين . لم أقصد اهانة أحد منهم وحاشا أن أفعل ذلك بل انى أجل كل مؤلف وممثل عن أن يتسرب لرأسه هذا الرأي الضئيل )

الى أن قال : ( وأكمل أيضاً اذا قابلت أحداً منهم في الطريق أن لا يقابلنى الا بوجه بشوش لأننى لا أكتّم القراء وقد تأملت كثيراً بعد كتابة مقالائى عن الممثلين في جريدة المنبر وذلك لما كنت ألقاه من اخواني أبناء الفن من الاعراض )

وقد اشتمل نقده على الممثلين المرحوم الشيخ سلامه حجازى ونجيب افندى الريحانى وجورج افندى أبيض وعبد الرحمن افندى رشدى واخوان عكشه وعزير افندى عيد والسيدة منيرة المهديّة والآنسة روزا ليوسف والسيدة ميليا ديان وغيرهم . وكان بوده أن يتم هذا النقد ليشمل جميع أبطال التمثيل ولكن الظروف لم تمكنه من ذلك .

### القسم الثالث : محاكاة المؤلفين الروائيين

ان الغرض الذى رعى اليه تيممور فى محاكته هذه هو النقد الصحيح بشكل قصصى فكاهى جميل لا يمل القارئ منه وقد أجاد كل الاجادة فى هذا الموضوع وربما كان أحسن ما كُتب باللغة العربية فى النقد الهزلى الشريف . ومن كان له ميل للتمثيل وشاهد رواياتنا العربية واتصل بمؤلفينا وممثلينا ثم قرأ تلك المحاكاة وفهم ماحوته من الأساليب الجبونية البديعة والنقد الصحيح الشبه شهد لتيممور بتوفقه فى النقد وقدرته الفائقة فى تصوير الاشخاص بشكل هزلى جميل . من ذلك يمكننا أن نقول أن تيممور كان فى محاكته « يهزل ولا يقول الاحقا »

مضمون المحاكاة باختصار حكم المؤلف رأى فيه نفسه سائراً فى إحدى شوارع العاصمة ولاحظ أن مسارح التمثيل العربى مغلفة ثم اجتمع ببعض الممثلين المتوفين فأندهش لوجودهم فى الدنيا وهم من أهل الآخرة وسألهم عن ذلك فأخبروه انهم أتوا الى عالم الوجود ليحضروا محاكاة مؤلفى الروايات التى مستعبد فى الاوربا بمسرحين . فسار معهم الى دار الأوبرا وقابل هناك الممثلين ومؤلفى الروايات التمثيلية فشرع يصف الممثلين وصفاً هزلياً بديعاً ينم عن حقائق صحيحة ثم بدأ الكلام عن هيئة المحكمة المسكونة من أساطين رجال الفن الغابرين وهم (شاكسبير وموليير وكورنيل وروستان وجوته) ثم وصف قفص المهمين وما يحويه . وهنا

أرجو القارئ أن يقلب صفحات هذه المحاكمة الخالدة ليرى الصور المتقنة التي استطاع تيمور أن يرسمها بقلمه الهزلي ، ويسمع الاحاديث العذبة التي انطوت تحتها النكتة البهجة والمجون اللطيف ، ثم بدأ المؤلف بعد هذه المقدمة الطويلة المحاكمة نفسها

كانت رغبة المؤلف أن يكتب عن جميع المؤلفين الذين عرضهم في قصص المتهمين ولكنه لم يكتب الا عن فرح افندى أنطون و ابراهيم افندى رمزي ولطفي افندى جمه و خليل افندى مطران . وكان في ذلك الوقت يحرر السفور فلما أرجعه الى الصديق عبد الحميد حمدي حالت بعض الظروف الخصوصية بينه وبين الكتابة فاقطع عن العمل ولما زال المانع وأراد الكتابة في هذا الموضوع لم يجد من نفسه ذلك الباعث الاول الذي دفعه فأرجأ اتمام العمل الى الوقت المناسب وكان في نيته طبع هذه المحاكمة على حداثها كرسالة هزلية انتقادية ولكن القضاء لم يرد اتمام ذلك العمل فطواه الى الأبد

استطاع تيمور أن يعرض للقراء في محاكمة الاربعة ( أنطون ورمزي وجمه ومطران ) صورة حية لكل مؤلف وأن ينتقد بإيجاز أعمالهم المسرحية ويشرح طريقة كل منهم في التأليف وقيمة هذه المؤلفات في نظر المنتقد القتي . كل هذا بأسلوب قصصي أخاذ .

القسم الرابع : مقالات عن التمثيل مختصرة

هذه المقالات عديدة ومتفرقة ولكن أهمها وأحسنها قسمان :

القسم الأول: مقالات عن التمثيل الفنى واللافنى نشرها فى السنة الخامسة من جريدة السفور وشرح فيها أنواع الروايات التمثيلية الفنية واللافنية . وهى مقالات قيمة عن الفن تصح أن تكون مرشداً للمشتغلين بفن المسرح والقائمين بتأليف الروايات وتربيتها . أما القسم الثانى فمقالات أخرى نشرها فى السنة الرابعة من السفور وضمها تاريخ التمثيل فى فرنسا ومصر باختصار . وهذان القسمان يحويان زبدة آراء الفقيه عن التمثيل لانهما بلا ريب نتيجة أبحاثه الخاصة فى الفن المسرحى وملاحظاته الشخصية عن المسرح المصرى ومنهما يرى القارئ بعض ذلك الوميز الذى كان يملأ قلبه ويلعب فى عينيه ، وما ذلك الوميز غير ثنائيه فى المسرح ورغبته الشديدة فى اعلاء التمثيل المصرى واصلاحه

القسم الاول يتضمن أربع مقالات متتالية ، ففى المقالة الأولى تكلم الكاتب عن التمثيل الفنى فرّف أولاً ما هو التمثيل وماهى العوامل الاساسية لبناء الرواية ووضعها ، ثم تكلم عن تقسيم الروايات التمثيلية وشرّح كل قسم شرحاً وافياً

وفى المقالة الثانية تكلم عن أنواع الروايات فرّف التراجيضى والدرام والكوميضى الاخلاقية والكوميضى دراماتيك مع الافاضة فيما يتطلبه تأليفها من العوامل الاساسية

وفى المقالة الثالثة تكلم عن التمثيل اللافى فذكر أنواع الروايات اللافية وهى الميلودرام والجراندجينول والفودفيل والريفو ، ثم عرف كل نوع من هذه الأنواع وذكر عيوبها ، ثم ختم المقالة عن نبذة مفيدة شرح



فيها أسباب تدهور التمثيل الفني في مصر. وهي على قصرها تصح أن تكون درساً عالياً لمديرى الاجواق الفنية ليعتقوا بما فيها من الحقائق .  
وفي المقالة الرابعة شرح الكاتب باختصار أسباب نجاح التمثيل اللافى .

أما القسم الثانى فيشمل سبع مقالات متسلسلة : الاولى مقدمة .  
عن التمثيل ختمها بمحدث عن النهضة الاخيرة على يد أبيض . وفي  
المقالات الخمس المتتالية تكلم فيها عن تاريخ الدرام والكوميدي في القرون  
الوسطى ثم شرح أنواع الروايات التى كانت تمثلها الجمعيات التمثيلية  
الاولى في فرنسا ثم تكلم بعد ذلك عن التراجيديات والكوميديات في  
القرن السادس عشر . والمقالة السابعة تاريخ مختصر للتمثيل في مصر  
.....

## روايات التمثيلية

لقد ذكرنا في تاريخ حياة الفقيده ألفه وما عر به من الروايات  
التمثيلية وتكلمنا عن كل رواية باختصار واعدنا الإفاضة في باب التمثيل .  
والآن وقد أتممنا الكتابة عن نظمه ونشره ومقالاته عن التمثيل ولم يبق  
الا رواياته التمثيلية وهي خير شيء عمله في حياته وصرف فيه جهده بل  
هو الشيء الوحيد الذى كان يملأ ركناً من أركان قلبه حق علينا أن نهم  
بهذا العمل ونشره شرحاً وافياً ناصحين القارئ الكريم أن لا يهمل  
قراءة هذه الروايات في مجموعته لأننا مهما أفضنا في الكلام عنها فنحن

عاجزون عن اظهار روح المؤلف المتجلية فيها وذلك الجمال السحري  
المنتشر على صفحاتها

سيكون حديثنا في هذا الباب الحديث الختامى عن حياة وأعمال  
هذا الشاب العامل المجتهد الذى ضحى حياته القصيرة — حياة الشباب  
والمسرة — فى التأليف والكتابة والعمل الصالح الطيب الآداب والمسرح  
سيكون هذا الحديث عن ثلاثة روايات ألفها تيمور فكانت  
باصكورة أعماله ومنها عرف الجمهور نبوغه ورأى تلك الشعلة الممتدة  
فى قلبه شغفاً بالفن وحباً فى رقيه . ثلاث روايات خُصب كتبها تيمور  
الناسي نخلد بها اسمه فى تاريخ المسرح المصرى . وهى وان كانت قليلة  
العدد لكنها جليلة الأثر عظيمة النفع فليس البطل بطلا بكثرة أعماله  
بل بقيمتها . ورواياته الثلاثة التى سنتكلم عنها هى « الصغور فى القفص »  
و « عبد الستار أفندى » و « الهاوية » وقد أعملنا « العشرة الطيبة »  
وغيرها من مسرحياته لأن الأولى ليست من عمله وحده فقد اشترك معه  
فى وضع ارجائها الملحنة بديع افندى خيرى ، وقد تكلمنا عنها فيما سبق  
باختصار . ولأن الثانية مسرحيات لم يكن تيمور نفسه يهتم بها كثيراً

## مقدمة عن الثلاث روايات

كان تيمور من أنصار ومؤسسى مذهب « الروايات المصرية » أو  
كما يسميه البعض « المسرح المصرى » وهو تأليف الروايات المصرية

المصرية ذات الألوان المحلية، وإحلال هذه الروايات محل العربية ذات الحوادث والمناظر الأجنبية لأنه كان يرى أن نهضة التمثيل في مصر لا تأتي إلا من هذه الوجهة . وقد كتب عن تدهور التمثيل الفني في مصر فذكر أن من الأسباب المهمة التي أدت إلى هذا التدهور هو إهمال الأجواق تمثيل الروايات المصرية فقال في ذلك ما يأتي : ( ... والآن نريد أن نبحث عن أسباب تدهور التمثيل الفني وأول هذه الأسباب هو تهافت أجواقنا الفنية على تمثيل الروايات المترجمة التي لا يفهمها المصري ولا يرى فيها شيئاً من أخلاقه وعاداته . ليس التمثيل هو أن تقدم للجمهور روايات أجنبية قيمة ومحبوبة الوضع ولكن التمثيل هو أن تقدم للجمهور روايات تبحث في شؤونه المصرية ليأخذ منها درساً يستفيد منه ... ) هذا هو مذهب تيمور وقد سار عليه بأمانة وعمل على نشره وقد نجح فيه نجاحاً عظيماً . أما رواية الأب لبونار فلم يربها التقييد إلا للاحاح صديقه الاستاذ عبد الرحمن رشدي الذي كان طازاً على إخراجها في إحدى مواسم الاوبرا . وروايته اللغز عربها شغفاً بها فحسب . ولقد صدق ظن تيمور في مذهبه هذا فإن الجمهور المصري متعطش لروايات مصرية ذات جو مصري ومناظر مصرية وأشخاص مصريين وحوادث مصرية . والدليل على ذلك إقبال الجمهور اليوم على مثل هذه الروايات وتضييده لها بينما ترى أغلب الروايات الأخرى العربية منبوذة قليلة الأهمية .

ان من طالع روايات تيمور وشاهدها على المسرح يجدها متحد في ثلاث تقط أساسية :

الاولى : كتب تيمور رواياته الثلاث باللغة المصرية ( العامية )  
لأنه وجدها أكثر انطباقاً للحقيقة والواقع من اللغة العربية الفصحى .  
وقد حاول مرة فكتب روايته الاولى « المصنوع في القصر » باللغة  
العربية ومثلت بهذا الشكل ولكنه أعاد كتابتها باللغة العامية . وكان  
رأيه في مشكلة اللغة أن يكتب المؤلف بالعامية اذا كانت الرواية مصرية  
عصرية ، وبالعربية الفصحى فيما عدا ذلك كتأليف الروايات العربية  
والمصرية القديمة ( الكلاسيك ) وتدريب الروايات من اللغات الاجنبية  
وهلم جرا . ونظريته هذه غاية في الصواب لان الكاتب « الريالست »  
أى المتبع للمذهب الحقيقى اذا كتب رواية عصرية باللغة الفصحى كان  
هذا العمل مغالفاً للحقيقة التى ينشدها لأن بنيته من كتابة هذا النوع  
من الروايات هو عرض مشاهد حقيقية من الحياة المصرية ، عرض  
أشخاص يتكلمون بلغتهم ويبدشون فى جوهم ، عرض حقائق لا  
عرض خيال . وقد دلّ هذا العمل على جرة تيمور وشجاعته فى الافصاح  
عن رأيه لأننا لا نبالغ اذا قلنا أنه أول من كتب للمسرح الجدى  
روايات فنية باللغة العامية .

الثانية : لقد ذكرنا قبلاً أن تيمور كاتب تصويرى بالفطرة ، وقد  
ساعده فى ذلك ثبوت المراثى والحوادث فى ذهنه وقدرته على التقليد  
ولذلك رأيناه فى أغلب كتاباته مؤلفاً تصويرياً يصور لك الحقائق  
فكانها هى .

كتاباته صورة حقيقية من الحياة وأوصافه تامة ناصجة ، كاملة

ناطقة . فقد كتب « مآثر العيون » و « خواطر » و « مذكرات باريس » وقصة « الشباب الضائع » وغير ذلك فصور للقارئ صورة حية ذات لون حقيقى ، وكتب رواياته أيضاً فعرض على المسرح قطعة من الحياة بجوها وأشخاصها وكلامها وحوادثها .

الثالثة : قدرته على صياغة حوادث الرواية بدون مغالاة ولا حشو .  
فرواياته جميعها حية يقظة مملوءة بروح سحرية ورشاقة عذبة . وإن شئنا أن نزيد القارئ ايضاحاً نقول ان رواياته خالية من المشاهد المملة وهى كما يقولون « محبوكة » وحوادثها دائماً تأخذة تجعل المتفرج دائماً يقطاً متنبهاً متتبعا حوادثها . وهى فوق ذلك روايات فنية جليسة توخى فى تأليفها أصول الفن قبل ارضاء الجمهور وضمنها انتقاده الصحيح عن الأخلاق والمعادن المصرية

## العصفور فى القفص

رواية من نوع الكوميدي ذات أربعة فصول مكتوبة باللغة العامية وموضوعها عصرى عن الحياة المصرية . صحيفة من تاريخ عائلة من عائلتنا . حلل فيها المؤلف نفوس أشخاصه تحليلاً عجيباً وأظهر لكل منهم شخصية بارزة مهمة وانتقد فيها بعض النقائص الاخلاقية الشرقية التى تؤدى غالباً الى كوارث عائلية ربما انتهت بفاجعات مؤلمة .  
« أشخاص الرواية »

(١) محمد باشا على الزفتاوى : أحد أعيان الارياك الموسرين رحل

عن بلده بعد أن سقط في انتخاب مجلس المديرية — أمنيته المظمية في الحياة — وسكن القاهرة لينزل في لبشوات الحكومة وأعيانها ليتوسطوا له في الانتخاب الجديد . رجل له ثروة عظيمة لا ينفق منها الا النذر القليل على بيته وعائلته ، وإن أنفق شيئاً غير ذلك فجراً وراء الأبهة والمظمة الكاذبة يقول الناس عنه انه غنى . مقترج التغير على ابنه حسن ، يعطيه في الشهر ستين قرشاً ويحرم عليه جلوس القهاوى ليشرب المبردات مثل الكزوزة وخلافه . يقسو عليه كثيراً ظاناً منه أن هذه القسوة خير علاج لترية النفوس . هو رجل من رجال العصر الماضي كلف بالافكار القديمة متمسب لها ، كاره لكل شئ جديد نافع ، يمتن مثلاً مهنة المحاماة والطب ويقبحهما بينما يهلل بالقضاء ووظائف الحكومة

(٢) حسن بك علي بن محمد باشا على الزفتاوى : شاب في المدارس الثانوية حسن الاخلاق ذو اباة وعزة نفس . نشأ في بيت المذلة والالام فشب يائساً من حياته كارهاً لها . أساء والده ماملته وحرمه من عطفه وقر عليه تقيراً مخجلاً فسلم منه حب الابن لأبيه وزرع في قلبه النفور منه . لم يجد حسن في تلك البيئة العابسة التي تحيط به أحداً يشفق عليه ويشاركه آلامه الا فتاة غريبة خادمة ، فأحبها وأحبته ووجد فيها نفساً طيبة وقلبا طاهراً كريماً . أحدث ذلك الحب في حياته بهجة لمعت حيناً في ذلك انجور المظلم ثم أخذت تهب عليها العواصف الهوجاء حتى كادت تمحيها من عالم الوجود لولا عزيمته ذلك الشاب واباء نفسه . لم يكن ما أتاه حسن بحجب هذه الخادمة بالأمر الشريف ولكنه سقط

بالرغم منه في ذلك المكروه مدفوعاً بقسوة أبيه وسوء معاملته له  
وتقديره عليه ، ولو كان ممزراً بجانب محاطاً بالرعاية والمطف الابوى لما  
زلت نفسه الطاهرة هذه الزلة السيئة )

( ٣ ) محمود بك : شاب من أقرباء حسن ، عاقل مهذب كامل ، طالب  
في مدرسة الحقوق ورفيق حميم لحسن يفتنى له الاخير أسراراً ويعتمد  
على مساعدته . مثال الشهامة والاخلاص

( ٤ ) أمين بك : من أقرباء حسن ، فتى وارث استغنى من  
المدرسة حديثاً . وسلك طريق التبذير والسهر ولكنه خفيف الروح  
ضحك ينظر الى الحياة نظرة جميلة لا يرى فيها كدراً ولا حزناً فهو  
سعيد بالرغم من الحياة نفسها . يدعى أنه أصبح رب عائلة بعد وفاة  
المرحوم والده ولذلك وجب عليه التفرغ لمراقبة أعماله بنفسه لئلا يسرقه  
من تحت أمرته

( ٦٠٥ ) « عزيزة هانم ومرجريت » : الاولى والدة حسن ، أم  
منكودة الحظ في زواجها ، تقاسى عشرة زوجها البخل الجهمول وتحمل  
آلامه بصبر كبير — هي رمز المرأة الشرقية القديمة . لا تستطيع أن  
تمنع عن ابنها قسوة أبيه ولا تمنحه الا ما تقدر عليه من المساعدة الطفيفة .  
والثانية خادمة افرنجية عطف على حسن وأشفت عليه ثم أحبته  
كما أحبها . فتاة طيبة وطاهرة ولكنها فقيرة  
هذه أم أشخاص الرواية وسنتكلم الآن عن موضوعها باختصار

## موضوع ال رواية

يعيش حسن بك بن محمد باشا على الزفتاوى فى منزل والده عيشة الذل والتساسة محروما من عطف أبيه ومن مساعدة والدته فيهمم بحب فتاة أفرنجية خادمة فى منزله يرى فيها مثال الاخلاص والوفاء . تدفعه قوة البيثة التى يعيش فيها الى هذا الحب الحقيقى فيندفع فيه بلا روية ولا حساب راض من حياته التسعة ييمض أوقات غرامية وجد فيها ما يتممه من شفقة وحنان وعطف . فاستمر لذتها بنفس شغوفة محرومة من كل مصرات الحياة . يعيش حسن بك غارقا فى أحلام الحب غير عالم ما يجنيه له المستقبل المجهول من مصائب الأقدار ، فيصحو على ضجة هائلة وفضيحة نارها مستمرة فى أفق منزله اذ ينكشف هذا الحب الحقيقى لجميع أفراد عائلته فيطردوا أمامه من أحبها وأحبته يزيلوا ذلك الرجس الذى اتاه ويسدلوا الستار بينه وبين حبه . فيثور حسن ثورة يفصح بها عن آلامه ويتهم والده العنيد المجهول بأنه هو الذى دفعه الى حب هذه الفتاة ، ولكن سرعان ماتهدأ تلك الثورة فتخرج الفتاة من دار الحب ويسجن القى فى بيته يعيش عيشة الذل والمسكنة كالسابق . ويمضى على هذه الحادثة بضعة أشهر وحسن يجتهد فى نسيان الماضى عاملا على احياء مستقبله من طريق الدراسة ولكنه يفشل فى الامتحان فلا ينال شهادة البكالوريا ، وفيما هو ساكن هادئ اذ يحصل ثلاث خطابات متتالية فى



أوقات مختلفة كلها من عشيقته، مرغريت تخبره في أولها أنها حامل، وتهده في الثاني بإعلان ذلك إذا تركها بلا مساعدته، وتخبره في الأخير أنها عازمت على الحضور بنفسها في يوم عينته له لتفصح عن أمرها أمام عائلته وتطلب المعونة جهاراً لتربية طفلة. فتشتعل نار الثورة في رأس الفتى من جديد ولا يجد أمامه غير رفيقه الحميم محمود فيكشف له سره ويخبره بأنه عقد النزم على الخروج من هذا المنزل واللاحاق بالفتاة التي أحبها بالامس والتي يحتاج في أحشائها جنين هو من دمه لان شرفه يحمي عليه مساعدة الفتاة، وأتى له المساعدة في هذا المنزل وهو خالي الوفاض قفر اليدين من النقود. فلم يجد محمود غير وسيلة واحدة وهي افشاء ذلك السر المهائل لوالدة حسن عليها تنفق معهم على أمر يرضى حسن قبل أن تعظم المصيبة فيعلم الاب حقيقة المسألة من فم الفتاة التي عينت هذا اليوم ميعاداً لحضورها. فقرضى الأم بتقديم المعونة للفتاة وتكاد المسألة بهذا الحل تقترب من النهاية المحذوة ولكن حضور الباشا وحضور مرغريت بعد برهة وجيزة يفسدان الامر فتعرف الحقيقة وتعلن القضية على رأس حسن يسمعها الجميع بقلوب واجفة، فيزار الباشا زيراً مخيفاً ويهم بطرد الفتاة ولكن حسن يتصدى لوالده ويخبره بلهجة قاسية تخللها الارادة وعزة النفس انه لا بد لاحق بها اذا قضى أبوه أن يطردها وغل يده عن مساعدتها، لانه لا يرضى أن يكون خسيس النفس وضيعها فيتروك الوالدة بلا مساعدة ولا رجة وطفلة بين جوانحها. فيزجر الأب ويطرد الاثنين شر طرد وبذا تحتم أول مرحلة من حياة ابنه

ينتقل حسن الى السكنى فى منزل صغير مع حبيبته مرجريت التى تزوجها. يكسب عيشه من وظيفة متوسطة فى محل الجمل فيعيش عيشة صغار الموظفين قائما بزوجة حبة له محبوبة منه . وتغضى الايام سرا ما تكد له مرجريت طفلا وضاء الطالبة جميل الحيا يكسب حياة والديه بهجة وسرورا

تأتى والدة حسن لزيارة ابنها ومد يد المساعدة له والتمتع بمشاهدة حفيدها خلصة بدون علم زوجها الباشا وكذا يزوره صديقه أمين ومحمود . ففى يومٍ والكل مجتمعون فى منزل حسن ينتظرون أوته من محل عمله ينتظرون من نافذة الحجرة المطلة على الشارع فيرون حسن آيآ ومصطحبا معه رجل ملتجى يعرفونه بأنه عبد العزيز باشا رضوان عين أعيان الحكومة ، وقبلة محمد باشا على ومعبوده الذى يعتمد عليه ليساعده فى الانتخاب لمجلس المديرية

يدخل حسن ومعه الباشا فيقدمه لمحمود وأمين ويقدمهما له ثم يدهون الحديث فيخبرهم عبد العزيز باشا رضوان أن حسن أسدى اليه معروفاً لنفساه الى الأبد بأن نجاه من الموت تحت صجلات الترام ، وهو يريد أن يجازيه على هذا المعروف بمد يد المساعدة له فى التوسط بينه وبين أيه وقد كان يجهل الخصام المائل الواقع بينهما ، فيبال الجميع لهذه النكرة ويستحسنوا حضور الباشا والد حسن فى الوقت نفسه ليتم الصلح حالا ، ويذهب أمين بسيارته الى قهوة ... ويخبر والد حسن ان عبد العزيز باشا رضوان يريد أن يراه بخصوص موضوع انتخابه لمجلس

المديرية فيهرج الباشا معتزاً الى منزل حسن ويقابل الجميع . فينضم معه عبد العزيز باشا رضوان ويتعهد له انه اذا قبل اقتراحاته فان انتخابه يحقق هذه المرة فيقبل الباشا الاقتراحات جميعها وهي تتضمن مساعدة حسن ماليًا مساعدة شهرية جلييلة وابقاء الوقية التي كان الباشا عازماً على عملها وفيها يحرم ابنه من ميراثه . فيتم بذلك الصلح بين الولد وأبيه ونزول الضغائن من القلوب ولكن الذى يسبب الوثام الحقيقى وينشر ألوية السلام على أفراد العائلة ليس مجلس المديرية ولا إلغاء الوقية بل هو ذلك الطفل البرىء من كل ذنب فانه حالما يراه جده ويتمتع بتلك الانسامة المشرقة على جبينه الوضاح ينسى كل شئ ويحتل قلبه بالطف والحنان ويشعر بحبة لم يشعر بها من قبل وهكذا تتمكن روابط الألفة والمحبة وتزداد بين أفراد العائلة من أجل تلك الزهرة النامية ذات العبير الجميل

### ما يقصده تيمور من روايته

غاية تيمور الاساسية في كتابة رواياته هي ما ذكرناها آنفاً وكرناها عند الكلام على معظم ثمره ألا وهي عرض قطعة حية من الحياة المصرية بمناظرها وأشخاصها وأخلاقها وشرح تلك الاخلاق شرحاً يفهم منه القارئ أو المشاهد وجه النقد الذى يقصده المؤلف والحكمة الجلييلة التى أرادها وبني روايته من أجلها . ومن اطلع على الرواية أو ساعده الحظ فراحاها من الفرقة التى مثلتها لأول مرة لا بد وأنه أعجب بمهارة المؤلف في رسم اشخاص روايته وفي تقده الاخلاق وبته الحكمة الغالية

بين سطورها. أما الحكمة التي أرادها المؤلف. في رواية « المصفور في الققص » فقد قالها على لسان أحد أشغاعه (عبد العزيز رضوان) حيث جملة بمحادث الجميع قائلاً: « آه . أدى غلطة الأبهات . غلطتنا نشد الخناق على أولادنا حتى لما يصوننا نطردم » . وبالحا من حكمة جلية مازالت تتكرر على مسرح حياتنا المصرية ولن تزال تتكرر حتى يصحوا الآباء من خفلتهم فيعلمون أن الشدة والقسوة والاستبداد بأولادهم ليست مظهر من مظاهر الثرية الحقة بل هي مظهر من مظاهر الحق والجمل الذين طالما سببوا الشقاء الدائم لأفراد الأسرة . ولم يقتصر المؤلف على ذلك بل شرح أعمال حسن ولم يقره على ما أتاه ليعلم الناس أن ذلك الفتى قد أتى ما أتاه بحكم الضرورة وقسوة الظروف، فما زواجه لفتاته الافلة مستنكرة كان من الواجب أن يحجم عن عملها فجعل عبد العزيز باشا رضوان يخاطب محمود بك وأمين بك رفيق حسن بالنصيحة الآتية قائلاً: « ما تظنوش يا محمود بك ويا أمين بك ان حسن عمل طيب . الظروف كانت قاسية عليه جداً . فأنصحكم انكم ماتجوزوش إلا من جنسكم »

.....

## رواية عبد الستار أفندى

رواية عبد الستار ذات اربعة فصول من نوع الكوميدي الاخلاق . كتبها المؤلف في وقت أينعت فيه المسارح الهزلية

وكثر الاقبال عليها حتى كادت المسارح الجديدة ذات الدرام والتراجيذى تهوى بروايتها الى هوة الافلاس والهلاك . كتب تيمور روايته لغرض أساسى واحد هو اختبار ذوق الجمهور واجتذابه اليه برواية فنية اخلاقية ، ذات مشاهد هزلية ونكات طليية عذبة ، وروح خفيفة ضحوكة ، حتى اذا أفلح فى جذبته الى هذا النوع الجديد من الروايات الكوميديية أيقن بفوزه على التمثيل الهزلى الخليع المفسد للأخلاق . فجاءت رواية عبد الستار بدعة على المسرح جامعة لاصول الفن وسبببات الهزل والمجون - رواية لا أغالى اذا قلت عنها انها ابتسامة ساحرة من مبدئها لنهايتها ، أخاذة بمشاهدها ، طليية بحوادثها ، خفيفة بكلامها ، عذبة بهزلها ، قوية بنقدها ، تامة بتحاليلها

كان هنا غرض المؤلف من وضع رواية عبد الستار ولكن الظاهر أن تمثيل الرواية فى هذا الاوان كان سابقاً لوقته لان الجمهور فى ذلك الوقت لم يكن قد امتلأ من الهزل الخليع بأغانيه ورقصه ومدهشات مناظره . فلم تعش « عبد الستار » على المسرح وان كان نجاحها فى الليالى الاولى مدهشاً . لم تعش « عبد الستار » لهذا السبب ولاسباب أخرى أهمها ان الجوق الذى مثلها جوق غنائى على رأسه المغنية المطربة السيدة منيرة المهديية ، والرواية التى لبس للسيدة دور فيها أو بالحرى الرواية الخالية من أنشودة من أناشيدها كان محكوم عليها بالفشل . وهكذا كان نصيب رواية « عبد الستار » - رواية كوميديى راقية تمثل على مسرح لم يرن فى جوانبه غير غناء السيدة ولم يدو فى ارجائه غير تهليل الجمهور وتصفيقه

لها . ولعل هذه غلطة من غلطات المؤلف التي لم يكن يحسب لها حساباً ،  
وكثيراً ماتحطى\* ظنون المرء

## أشخاص الرواية

(١) عبد الستار افندى : رجل عالى من الطبقة المتوسطة ، موظف  
فى إحدى الوزارات براتب تسعة جنيهات ، متصابى ينازل النساء ويفتخر  
بذلك ، جبان القلب ضعيف الارادة الى حد جعله ألموبة فى يد امرأته  
القاسية وابنه الوقح ، يأتمر بأمرهما ونهيهما . ولكنه ذو قلب طيب ممتلى\*  
بالشفقة والحنان ، يحب ابنته فوق كل شئ\* ويطلب لها العيش الرغد  
والحياة السعيدة . ومن أجل تلك الابنة أراد عبد الستار الذليل المهضوم  
الجناح أن يرفع رأسه وينادى بخلاص ابنته من هوة الزواج السعيدة  
التي أراد أخوها وأمها ( أى ابنه وزوجته ) أن يرميها فيها . اختار  
عبد الستار افندى فتى شريف النفس ، مهذب الاخلاق ، كامل الطبع  
اسمه بليغ زوجا لابنته ولكن ابنه عفيفى لم يرض بهذا الزوج بل  
اختار شاباً صعلوكا ، دقء النفس ، مشهوراً بالنصب والاحتيال ، اسمه  
فرحات ، سعى عند عفيفى هذا المسمى واعدآ اياه أن يزوجه ابنة أحد  
العظماء الموصرين اذا تم له زواج أخته . فرفض عبد الستار هذا الزواج  
وتشبث بفتاه الذى اختاره لابنته من قبل . وبدأت معارضة من ذلك  
الحين وكان بالامس بعيش مطأطى\* الرأس راضيا بما قسم له خاشعاً أمام  
زوجته صاغراً لما أمر به ابنته . رفع عبد الستار عقيرته وتجرأ ان يسمع

صوته لأول مرة مدافعا عن ابنته وسعادتها . ولم تكن صدمات الزوجة والابن وقساوتهما بممانعة اياه من السعى المتواصل وراء بغيته ، كان يئن نارة ويهدد طورا ، كان يتراجع مرة ويهاجم أخرى . وهكذا جعل المؤلف شخصية عبد الستار مسرحا لتضال قائم بين الارادة والضعف ، بين العزيمة والوهن . وهل تنسى ما يقوله ذلك الاب المسكين الذى مادفه الى ذلك العناد القوي غير حب ابنته ورغبته فى إسعادها : ( والله طيب يا عبد الستار . قعدت تخاف وتستر على كل حاجة وعشان كده مموك عبد الستار . لكن عشان خاطر بنتك راح تعمل الى انت مايزه وبكره يسموك عبد القاهر ) وهل تنسى أيضا معارضته لنفوسة حيث يقول لها بقلب جرىء لم يتعود من قبل غير الرضى والاذعان : ( مستحيل ان فرحات ده يجوز بنتي . سامعين ؟ أنا سكت لكم كثير . لكن المرة دى راجع اعمل اللي ما يتعمل ) يقول عبد الستار هذا القول الذى يدل على تجدد العزيمة وازدهار الارادة وهو الذى ميمناه من قبل يقول ساخطا على حياته راضيا عن ذله : ( والله يا عبد الستار خليت بنفسك شوية من الكاينة اللي رماك ربنا بها « يعنى زوجته » . فى الديوان رئيسك موربك القلب وفى البيت أبناك مكفرك ومراتك مطلعة روحك ... القصد أديك بقيت لوحذك ) . ولكن شخصا بنت القل فى قلبه وأمضى عمره فى بيئة كلها فسوة وامتهان وخلت نفسه من بذور الارادة الصالحة يستحيل عليه أن يخلق له عزيمة ثابتة ويؤسس له ارادة قوية صلبة . ولذلك رأينا عبد الستار افندى يجهن ويتراجع القهقرى خصوصا بعد أن

حبسه ابنة وزوجته في المنجرة الرطبة حيث أفضى طول الليل على مقعد من الخشب . أثرت فيه تلك القسوة فالتلع ما تجدد من ارادته واستسلم لأوامر ابنة وزوجته فأرأينا جميلة ابنته تصرخ قائلة . وهي تحيب عم خليفه ، حليف أبيها وساعده الأيمن : « نرتب إليه ونعمل إليه اذا كان انت وأبويها مافيش فيكو قوه . لا ياعم خليفه أنا حاتكل من هنا ورايح على نفسى وربنا يساعدى » . تقول جميلة هذا القول بعد ان رأت ان أباهما يكاد يتخلى عنها وكانت تعرف حق المعرفة الى أى هاوية مُسافة

عفيفى : ابن حاق سبى الترية فاسد الأخلاق عاطل من أى عمل ، ولكنه يدعى انه عضو عامل فى الهيئة الاجتماعية . كيف لا وهو غاوى تمثيل وعضو فى جمعية الرفق بالحيوانات اوقع شرس يخافه كل من المنزل فهو السيد المطاع الذى لا يرد له أمر ولا نهى . يخافه أبوه وأمه ولا يجسر ان على معارضته فيما يريد ويطلب . دنى النفس شرير يتخذ له خادمة حقيرة فى منزله خلية له ، ويختار لأخته زوجا من المتشردين النصايين طمعا فى زوجة ثرية وعده بها ذلك الصعلوك الكذاب . مشغول بترية بعض الكلاب فى منزله ويكلف أهل المنزل من أيه الى خادمه — برعايتها وخدمتها . ولا تنسى حدته وغضبه على الجميع حينما يجد أحد كلابه مريضا ، اذ يقول : « ازاى الكلب فوكس يعبى واتم كلكم طيبين . أنا عارف السبب عارفه . » موجها الكلام لوالدته « حضرتك مانحيش كلابى وموش عايزه حد يعيش فى الدنيا إلا الارانب بتوعك . » موجها الكلام لأبيه « حضرتك عامل صاحب أشغال ، رايح فين ؟



على الديوان . جاى منين ؟ من الديوان ولا تسألنى أبداً عن الكلاب .  
« موجها الكلام لأخته » وخضرتك ماتتíš ساءله الا عن جوازك .  
لأ . أخذ ده . لأ . ماخذش ده ... )

نفوسة : امرأة عامية من الطبقة المتوسطة سيئة الاخلاق جبانة  
القلب تقسو على زوجها الضعيف وترهب ابنها الشرس . شخصية قوية  
أوجدها المؤلف فى هذه الرواية لشرح أخلاق نساء (أولاد البلد)  
وعوائدهن ومعاملتهن مع الغير ومبلغ رقى أفكارهن . لابنها عفىنى تأثير  
شديد عليها ، فداثما فى صفه تساعد على تنفيذ أوامره باطلة كانت أو  
حسنة . ولقد رأيناها ترضى بمن أتاها لها زوجاً لابنتها ، ورفضت ذلك  
الذى اختاره زوجها ، خوفاً من ابنها واعتقادها أنه أعلى فكراً وأرجح  
عقلاً من زوجها . ومن عاشت تلك المدة الطويلة وهى تنظر لابنها هذه  
النظرة المجردة عن الحق رهبة منه وخوفاً على نفسها من بطشه لا تجد فى  
شخصيتها مغالاة ولا ضعف . رضيت نفوسه بمن اختاره عفىنى زوجها  
بليلة وصممت الثناء المستطاب من فقه فقايلته بالفرح والاستبشار  
وتلقت كلامه كما يتلقى الانبياء الوحى فلا تقض هناك ولا ابرام .  
فكان حظ من اختاره عبد الستار الرفض والطرد والهزء والسخرية .  
ودام الحال على ذلك حتى انضمت الحقيقة وأكد لها زوجها أن  
اللقى فرحات شخص منخط الاخلاق نصاب لا يلىق ان يكون زوجها  
بليلة . وعززت كلامه ابنته التى كانت تمت هذا الشاب وتميل  
لبلىع الشاب المهنّب الذى اختاره أبوها . فبرهنت لامها يرهان قاطع

أن فرحات نصاب وهى ترفض الزواج منه . فرأينا الأم فى ذلك الوقت أما ينبض قلبها بحمجة ابنتها وتحلج نفسها بطلب السعادة لها فسه مناهات قول لابنتها : ( اوح يا حيتى يا بتى بخطر يالك أنى أجوزك الواد بتاع الازبكية ده « تعنى فرحات » خصوصا وأن جوزك بليغ بك بكره يسطك ويشوف كيفك ... ) يدل هذا الكلام على أن نفوسه اقتنعت بكلام زوجها وقبلت بليغ زوجها لابنتها . ولكن سرعان ما يدخل غيفى ويسمعه صوته حتى يتلشى ذلك الاعتقاد وترجع الى فكرها الأول معضدة إينها فى طلبه . والذى يساعد هذا الابن الشرى الوقح على التأثير على أمه أخلاق عبد الستار النسائية وسذاجته الكبيرة ، فينصب له الابن مكيدة يدبرها مع خليلته الخادمة « هانم » تظهر جميع خفايا قلبه ، فتسببها نفوسه زوجته بقلب حاقد ونفس شريره ، تسمع أقواله وهو ينازل ويحدث هانم بينما تكون غثبته وراء الستار فيزول ذلك الأثر الباقى من نفسها وتهال على زوجها تضربه بنملها ضرباً مبرحاً ين منه ثم تصدر قرارها هى وابنها بحبس عبد الستار فى المنذرة فيقضى المسكين طول الليل ين ويكى ويندب سوء حظه وعظم سذاجته . هذه أخلاق نفوسه زوجة وأماً .

عم خليفه : رجل كهل خدع المائلة من قديم ، فهو صديق أكثر منه خادم ، لا يسل من اهانات غيفى ونفوسه ولا من مكر الفتاة الخليفة هانم ، رجل طيب ساذج . وكثيراً ما شاهدنا الطيبة مع السذاجة ، والمكر مع الذكاء . لا يجب غير سيده عبد الستار لانها اشتركا فى السذاجة والبؤس . كلاهما ذليل ممتن يقبل الذل بصمت وصبر .

شخصية جميلة شرحها المؤلف شرحا وافيا أظهر فيها صورة ذلك العجوز الطيب القلب الصابر على بلواه المخلص لسيدته الذى تملأ البساطة نفسه قراها على وجهه وتسمعها من كلامه وتجدها ظاهرة فى معاملته

جميلة : شخصية جميلة ليست من شخصيات الرواية القوية لأن المؤلف أوجد فيها روحا غريبة تخالف بعض المخالفة روح بنات مصر . فتاة محبة محبوبية تجاهر برأيها فى رفض من اختاره أخوها وتعلن عن رغبتها فى من تريده زوجا لها . والمعلوم أن بنات هذه الطبقة ليست فىهن تلك الروح الجرئية خصوصا فى مسائل الزواج واختيار الزوج . فرحات : لانهج وصفها له أحسن مما قاله عبد الستار فى سياق كلامه

عنه : ( فرحات الواد الصايح الى عامل ديل لاولاد الزوات . دا واد صنعتته نخلى الوش يحمر . أنا ما أجوزشى بنتى أبداً من راجل فلاتى ، بتاع نسوان ، قارتى وحشاش ... وكان يخدم أصحابه ا ... )

بليغ : فتى مهذب ، كامل الاخلاق موظف فى احدى المصالح وثروته بسيطة ، يحب الجميلة يريد لها زوجة له . يتوفى عمه ويخلف له ثروة لا يستهان بها قدرها مائة فدان و ٤٠٠ جنيه ذهب فى البنك . بهذا المبلغ يفوز بليغ بأمنيته فهب لحاته نفوسه ونسيبه عفيفى بضع أفدنة وبضع دراهمات يسكت بها أصواتهما المعارضتين فيقلبان يسبحان بحمده ويلهجان بشكره هانم : فتاة خليعة مراوغة مأكرة . خلية عفيفى وساعده الأيمن فى شره . تمسك بمن فى المنزل جميعه ، لا تبقى على سيد ولا على خادم بل الكل فى قبضة يدها . وكيف لا يكون ذلك وسيدها عفيفى حاميا

الاكبر . رأينا تيمور يحلل أخلاق هذه الفتاة على المسرح تحليلًا مدهشًا من مبدأ الرواية لنهايتها . فكأنه أتى بفنائه جمعت تلك الاخلاق من ينشأ الصحيحة ( البلدية ) وأوجدها على المسرح لتمثل لنا الحقيقة التامة . فشخصية هلم شخصية قوية أودع فيها المؤلف نفس فتاة متهتكة خليعة من فتيات الطبقة البلدية

### موضوع الرواية باختصار

عبد الستار افندي رب البيت يعيش في منزله تحت سيطرة ابنه وزوجته . يختار لابنته فتى مهذبًا زوجًا لها ولكن زوجته وابنه يرفضان ذلك الزوج ويختاران زوجًا آخر من سفلة القوم يدعى فرحات . وكان فرحات هذا قد وعد عفيفي بأنه اذا تزوج أخته جميلة يسعى له في زواج كريمة المثرى الوجيه عزيز بك فينتزع عفيفي بهذا الوعد الكاذب أملًا أن يحقق آله الخيالية من طريق الزواج ويحتم على والده بقبول فرحات زوجًا لجميلة . ولكن جميلة تحب بليغ وتريده زوجًا لها وتكتشف عن طريق الصدفة خيانة أخيها لها بأن تسمع حديثا يدور بينه وبين فرحات تعلم منه سفالة أخلاق ذلك الخطيب ومكانته الوضيعة الساقطة في الحياة . وكان عبد الستار يجاهد في مسعاه جهاد الابطال ولكن بدون فائدة . وتوفي في هذه الاثناء عم بليغ فورث منه القى ثروة لا يستهان بها قدرها ١٠٠ فدان و ٤٠٠ جنيه ذهب في البنك قيم عبد الستار الفرح ويذهب الي زوجته يخبرها هذا الخبر السار ويرهن لها في الوقت نفسه بسفالة

أخلاق الفتى فرحات وقره المدقع. فيدق قلب نفوسه فرحاً ويزول ما بها من البغض لبليغ . ويأتى عفيفى فتشرح نفوسه له الامور بمسكنة وذل ليرجع عن رأيه ويرضى بليغ الشاب الغنى المهذب زوجاً لأخته جميلة . ولكن عفيفى لا يرجع عن رأيه ويخبرها بأن كل ما قاله لها عبد الستار كذب وبهتان . وهل تصدق كلام هذا الرجل الماكر الكذاب الذى لا يراعى لزوجته عهداً ولا وفاء، فتطلب منه المزيد فيتفق مع خليلته هانم لتمثل لها دوراً مع عبد الستار يظهر منه خفايا قلبه. فلما يأتى عبد الستار محتجاً الاتمان وراء الستار يريان بينهما تلك المهزلة الغريبة ويسمعان بأذنيهما اعتراف عبد الستار. تستدريج هانم عبد الستار بخلاعتها ومكرها فيقع فى شباكها ويفتح قلبه لها، فتسمع نفوسه من فم زوجها تلك الكراهية التى خصها بها — تسمع أخبار خيائته لها مع نساء تعرفهن — تسمع لهجته الغرامية مع هانم ، فتخرج من محبتها والنار تأجج فى قلبها وتمال عليه ضرباً بنعلها ثم تأمر بحبسه فى المندرة الرطبة فيقضى بها ليلة طويلة قاسية . كانت تلك الرواية التى قامت هانم بتتمثيلها أمام نفوسه خير برهان يثبت لها كذب عبد الستار وخيائته فأصبحت تده منافقاً كذوباً وازدادت ثقتها بابنها فأقرته من جديد على زواج فرحات بجميلة . وفى صباح اليوم التالى لحبس عبد الستار يأتى فرحات مع المأذون ليعقد العقد على الفتاة ويأتى فى ذلك الوقت بليغ مزوداً بالمال وحجيج الاطيان وتقام فى ذلك الحين حفلة مزائدة بدلاً من حفلة القران فيزيد كل من الخطيبين صداق الزوجة ويخص كل منهما نفوسه وعفيفى بأطيان ومال استمالة لها.

ولكن فرحات النصاب خالى الوفاض لا يملك الا الدفع مؤجلا فترجع  
كفة بلينج. وبينما الككل على هذا الحال اذ يدخل ضابط بوليس يلقي القبض  
على فرحات لانها مه بالنصب والاحتياى فيتم الفوز بلينج وتصفوا الاحوال

### ما يفصره المؤلف من رواية

كتب تيمور عبدالستار لا يشرح للجمهور نظرية أخلاقية أو يعرض  
عليهم حكمة غالية بل كتبها لمجرد التحليل النفسى لأشخاص الرواية ،  
وعرض قطعة حية على المسرح ظهرت فيها بأجلى بيان الأخلاق المصرية  
لطبقة من الطبقات . وهذا نوع الروايات التى تبحث فى درس الأخلاق  
فحسب « étude de caractère » . فعلى والحالة هذه الرواية الأولى من نوعها  
تجلت فيها دقة المؤلف فى الملاحظة وبراعته فى درس الاخلاق . فاب  
بعضهم على تيمور أخرج رواية خالية من أى معنى أو قصد ، ولكنهم جهلوا  
غرضه الأساسى من كتابتها كما جهلوا ذلك النوع الروائى من قبل لتعودم  
رؤية الروايات ذات المغزى سخيفة كانت أو جلية . وإذا هم دققوا النظر  
واعملوا الفكرة وعرضوا أمام أعينهم شخصية كل فرد من أفراد رواية عبد  
الستار لتجلت أمامهم قيمة الرواية وقوتها الفنية .

سوف يشرق أسم عبد الستار من جديد فى أفق المسارح المصرية  
حينما تتمدد أمثال هذا النوع فيقر المنكر بفضل هذه الرواية ويسترف  
لمؤلفها الراحل بمكانته الخالدة

## رواية الهاوية

سمعنا واحدا من أصدقاء الفقيذ يقول « لومات تيمور ولم يكتب الهاوية لقلنا أنه مات ولم يفعل شيئا، أما وقد ألف الهاوية فقد خلد اسمه في تاريخ التمثيل المصرى ». ومع ما فى هذا القول من المبالغة فهو لا يخلو من الحقيقة . لأن الهاوية خير رواية كتبها تيمور وربما كانت خير رواية أخرجها المؤلفون المصريون على المسرح المصرى

رواية الهاوية كوميدى درام ذات ثلاثة فصول صور فيها المؤلف سيرة لها أساس كبير بحياة العائلات المصرية. تضمنت هذه السيرة ما أناه المؤلف على لسان أحد أشخاصه يسرى باشا وهى : (مادام الراجل مشغول بالنسوان والخمرة والسهر والكوكايين طبعاً الست راجحه تشتغل أولاً بالشرابات والمناذيل ... وبعدين تشتغل بحاجات ثانية ... ١)

بنى المؤلف روايته على أساس داء الكوكايين — ذلك المرض القتال الذى شغفت به الشباب وأقبلوا عليه اقبالا ينذر بسوء المصير. فأتى بشاب من عائلة كبيرة متزوج وله ثروة عظيمة ورثها عن أبيه . شغف بشم الكوكايين ففسدت أخلاقه واندفع فى طريق مهلك سماه المؤلف فى روايته ( السكة اللى تودى ولا ترجعش ) وهو طريق السهر والمقامرة والنساء ، فيه تتدفق الثروة العظيمة فيخسر الشاب فى وقت قصير ماله وشرفه وربما خسر حياته أيضاً

حلل المؤلف أخلاق بطله — « أمين بك الشاب المتزوج الوارث

المعرم بالكوكابين ، - تحليلاً تاماً أوضحته مشاهد الرواية ومحدثاتها  
فأثني نموذجاً كاملاً لهذه الفئة الطائشة التي كثيراً ما أودت بأخلاقيها  
وحياتها مندفة في ذلك السبيل الفاسد بدون روية ولا عقل . ان شخص  
أمين بك يجدر أن يكون ماثلاً دائماً أمام متعاطي الكوكابين من الشبان  
ليأخذوا من حياته درساً نافعا يتقدم مما هم اليه مساقون .

رواية الهاوية هي تاريخ حياة أمين قسمها المؤلف ثلاثة أقسام هي  
عدد فصول روايته . القسم الأول شرح فيه المؤلف كيف يعيش أمين  
مع زوجته وكيف يعامل خاله وأمه ومأم أصدقائه . أما مبادئه مع  
زوجه فمباشرة رجل يمضي ليله خارج المنزل يقامر ويسكر ويفنى شبابه  
بين الكوكابين والنساء ، ويمضي نهاره هنا وهناك محاطاً بفئة طاغية من  
الأصدقاء - مبادئه جعلت زوجته المهملة النير محبوبة أن تتبع هواها ،  
قهارها في مخازن البيع ومصر الجديدة والجزيرة وليلها في المسارح المصرية  
والأفريقية . وهاك ما قلته يسرى باشا وصفاً لهذه الزوجة ، وهو يحدث  
أخته حكمت هانم ( والدته أمين بك ) : ( احنا اترينا تربية جنس  
تاني . عمرنا ماشفتنا البهرجة ولا الدلع ولا الزينة ولا الحر ولا لبيض ولا  
البشمك ولا حاجة من دى . احنا بناتنا ، تعلمين ومنيين يقضوا وقتهم  
في شغل بيتهم وفي تربية أولادهم وفي المطالعة ، مش في شكوريل ومعمان  
والجزيرة ومصر الجديدة والبيارات زى مرارة ابنك ! )

أما معاملة أمين لخاله فعاملة خشنة شديدة ، معاملة شاب طائش  
لا يرضى بغير رأيه ولا يتبع نصيحة من هم أكثر منه خبرة وحكمة وعقلاً .



تستدعى حكمت هانم والدة أمين يسرى باشا وترجوه أن ينصح ابنها ويهديه سواء السبيل ويحدثه عن ثروته وما يجب عليه أن يفعله ليحفظها من الدمار فلا يكاد يسرى باشا يفتح فيه ناصحاً ومحدثاً ابن أخته حتى تنهال عليه الشتائم والاهانات . أما معاملة أمين لوالدته فمائلة لمعاملته خالها وإن كانت أقل منها قليلاً . ووالدته أم قبل كل شيء . أحملت تربية ابنها شفقة وحناناً عليه فهي من فئة الوالدات الحنون اللاتي يلقين بجنانهن أولادهن في وهدة الشقاء ثم يشكون حالهن وسوء حظهن . وما أحسن قول يسرى باشا لها وهو يحذرها عن ابنها وعن شفقتها عليه : (أنا مش قلت لك أن سبب فساد الأولاد هيه شفقة الامهات . أعرف أن شفقة الأم كويسة . لكن أعرف كان ان شفقة الأم لازم يكون لها حدود . بقى عشان خايفه أن ابنك بزعل تخليه يعمل اللي على كيفه ويفضل ماشى فى السكة دى . . . )

أما أصدقاء أمين فكثيرون لم يظهر لنا المؤلف منهم غير اثنين : شفيق بك ومجدى بك . وهما من اخوان السوء الذين ياتصقون بالشاب الغنى الطائش يتمصون ثروته متظاهرين بالاخلاص والمحبة له وهم لا يضررون الا الايقاع به والارتفاع منه بقدر ما يستطيعون . يأتي بهما أمين لداره ويشرعون يتحادثون حديث المحبون والخلاعة وهم يشمون الكوكابين بين فترة وأخرى ثم يقدم لهما أمين زوجته جرياً وراء الحرية التي لا يعرف منها الا اسمها . وهكذا يقود الزوج زوجته لطريق جديد لم تكن تعرفه . شابان من سفلة القوم يتعرفان بزوجة صديقهم — زوجة

مهمة وغير محبوبة ومدفوعة فوق ذلك بخلفها الناقص الى سبيل الطيش والرعونة . ماذا تكون نتيجة ذلك التعارف ؟ وهل يستطيع أمين الجهول أن يعرفه ؟

هكذا ختم المؤلف القسم الأول من حياة أمين والفصل الأول من فصول روايته . أما القسم الثاني من حياته فيبدأ بعد مضي أربعة أشهر من ذلك التعارف وفيه يفلح شفيق بك في غواية زوجة صديقه أمين فيظهر لها بمظهر الحب الذي ضرّم الحب أنفاسه محدثاً إياها عن حياتها البائسة حياة العزلة التي لم تتمتع فيها بالحب ، والحب هو سعادة الحياة ونسيمها

استطاع شفيق بك بمجاول حديثه السام وخداعه أن ينفذ في قلب تلك الفتاة الطائشة سهام غرامه القتال فأصبحت تشرب بيميل له وواعدته على الحضور لمنزله ليقطعا ثمار الحب الشبية وينعمان بالسعادة والهناء تحت ظلال الغرام الشرف . . . واعدته الفتاة على الحضور ومدفوعة بموامل كثيرة — اهمال زوجها وغواية شفيق القوية وطبيعة خلقها الناقص — عوامل ثلاثة تهدد جبال الشرف وتقود النساء من ذمامهن الى حيث يضعين عفافهن وبلوثن حياتهن بالعار الدائم

إذا كان شفيق استطاع أن يغوي زوجة صديقه ليأتي على شرفه فقد حدثته نفسه في الوقت عينه أن يجهز على جزء عظيم من ثروته . فانهز فرصة افلاس أمين والحجز على احدي عزبه فتصدى لمشتراها بثمن بخس مخجل ، وهو الذي كان يمد يده لأمين بالامس يأخذ ما يتصدق به

عليه من الحسنة ! ولكن يسرى باشا خال أمين الذي عقد العزم على نجاة أمين بالرغم من نفسه يذهب متذللاً شاكياً لشقيق راجياً منه أن يعدل عن هذا الشراء لأنه يريد أن يشتري هذه العزبة لنفسه ثم يردّها لأمين بعد أخذ ثمنها من ريعها خدمة لأمين ومحافظة على ثروته فلا يقبل شقيق ولا يجدى معه رجاء ولا توييح . فمن ذلك نعلم أن شقيق الذي يعده أمين صديقه الحميم وساعده الأيمن يريد أن يقضى في وقت واحد على شرفه وثروته

في يوم الموعد — موعده حضور رتيبه هانم زوجة أمين لدار شقيق — يدعى شقيق المرض ويرسل خطاباً مع خادمه لأمين يستنر إليه بعدم استطاعته مقابلته اليوم لأنه مصاب بمغص شديد وصداق ويرجوله نزهة جميلة مع خليلته الجديدة . وكان أمين تعرف بأحدى الحسنات وواعدته أن تقابله في ذلك اليوم ليتزها سويًا في الجزيرة فز عليه أن يفرد بالحسنة ورغب أن يشرك معه صديقه الحميم شقيق فخادته في ذلك فلم يرفض الدعوة ولكنه اعتذر أخيراً لأن رتيبه واعدته على الحضور في هذا اليوم ، وهي أول مرة قبلت أن ترمى بنفسها في أحضان رجل غير زوجها . فضحى شقيق موعده أمين ارضاء لرتيبة وكيف لا يفعل ذلك وهو الذي استطاع بعد أربعة أشهر طويلة أن يقتنض هذا الغزال المهجور ويأويه في داره لينال منه بغيته الفاسدة

يرسل شقيق الخادم بالرسالة وأمره بعدم الرجوع ثم يوصي الخادم الصغير بحراسة الباب وأمره بأن لا يسمح للرجال أن يطأوا عتبة بابه

فاذا سأله أحد منهم أجابه على الفور بأن اليك غير موجود . أما اذا أتت سيدة فيفتح لها الباب على مصراعيه . ثم يعطيه قرشا مكافأة له على نباهته وقيامه بالواجب سلفا . فيتناول الفتى قرشه ويترك الباب بلا حارس ذاهبا الى السوق يشتري بالمكافأة ما يشبع به بطنه من مختلف الحامى ، ويجلس شقيق مطمئنا مستريحاً مستعداً لمقابلة المحبوبة ولا يعصى عليه وقت قصير حتى يسمع وقع خطوات فيقوم ليستقبل رتيبه . ومن يأتى خلافاً فى ذلك الوقت ، والميعاد ميعادها واليوم لها كله ، فاذا به يستقبل الصديق مجدى فيفرغ منه بادئ الأمر ثم يسأله كيف دخل وهل لم ير الغلام الحارس على الباب ، فيخبره بأن الباب بلا غلام ولا خفير ، وبعد عادثة قصيرة يخبره شقيق بأن الساعة ميعاد حضور فتاة تعرف بها حديثا لا يستطيع أن يخبره باسمها لانها من عائلة كبيرة وتزوجة ثم يرجوه أن يتركه منفرداً لانه لا يريد أن يفضح أمر الفتاة ، ولكن مجدى المهزار الثقيل ذا النفس القليلة الساقطة يكتك بالرغم من شقيق صاحكا مستبشراً مظللا النفس برؤية تلك الحسناء المتزوجة التى استطاع شقيق أن يلقيها فى شباكها فيضطرب شقيق ويحتدم معه واذا بهما يسمعان وقع اقدام فيدفع شقيق مجدى لجرة النوم ويقلل بابها عليه ويذهب ليستقبل فتاته فاذا بالزائر يسرى باشا الذى جاء ليرجو شقيق أن يتنازل عن شراء العزبة ولكن شقيق لا يجد صعوبة فى اخراجه من منزله وارجاعه من حيث أتى . ثم يخرج مجدى من مخبئه ويرجوه الاسراع فى الخروج فيطلب منه مجدى تعويضا فيعطيه ثلاثة جنيهات يأخذها ويهيم

خارجا واذا بالفتاة رتيبة داخله ..... وتكون فترة عصيبة هائلة ، يطم فيها مجدى أى فتاة استطاع شفيق أن يوقمها فى شبابه ، وتضطرب رتيبة اضطرابا ينم عما شعرت به من وقع الفضيحة والعار ، ويفضض شفيق لأن الظروف أنت على عكس ما يشتهى !

وبعد خروج مجدى يجتهد شفيق فى استرضاء رتيبة مؤكدا لها أن ليس هناك ثمة فضيحة ولا طار لأن مجدى من طابدى الدرهم وهو لا يخل عليه بما يسكت لسانه ولكن تلك الصدمة الهائلة جعلت رتيبة تصحو برهة من حلمها الغرامى فتصبح قائلة : ( أنا بسأل نفسى دلوقتى ازاي طاولعتك وجيت ، ازاي فكرت فى انى أخون جوزى ) ولكنها تجد ان الذى هيا لها سبيل السقوط هو زوجها فلها وان كانت مذنبه فالذنب الاكبر قد اقترفه زوجها ، وهكذا نسمعها وهى تخاطب شفيق : ( صحيح أنا بنت طايشه ، دائما كنت أجهل واجباتى ، ولكن جوزى ما عرفش أبدا يرجع لى صوابى ، هو الى خلانى أشوفك ، هو الى اداك الفرصة عشان تحببى ، هو الى خلانى أحبك ، هو الى اسبب فى انى أجبى برجليه لحد بيتك ) كلام كله حكم غالية ، نرف منه ما كان يحول بنفس تلك الفتاة الضعيفة فى ذلك الوقت المصيب الذى أنت فيه لتبيع شرفها وتلحق بنفسها العار الدائم . لقد اعترفت بخطئها وما أوقمها فيه زوجها من المصائب والحن ، وكادت تنهض بشرفها الذى لوته بعض الأدران وعقدت العزيمة على ترك ذلك المكان والرجوع من حيث أنت قائمة من النعمة بهذا الدرس الاخلاقى الكبير ، ولكن يمز على شفيق

أن يفشل في ساعة انتصاره النهائية وأن يفلت الطي من عنده وهو ما زال قابضاً عليه يديه فأقبل عليها يتصيدا من جديد بمنزلة كلامه نادياً حظه السيئ الذي أرسل اليه مجدى في هذه اللحظة ليعكر عليه صفو سعادته ، ثم جعل يتحدثها تارة عن حياتها وما فيها من شقاء وامتهان وطورا يقسم لها بشرفه عن حبه الطاهر النظيف فتقع الفتاة في الشباك مرة أخرى وينتصر الترام الفاسد على الارادة النسائية الضعيفة وتزول تلك الجملة القوية التي قالتها عن نفسها : ( ازاى اقتكرت في انى أخون جوزى ) ، أجل زال كل شئ ولم يبق في النفس إلا صورة الأحلام الفاسدة مزوجة بمنظر حياتها محاطة بهالة سوداء من غواية شفيق القاتلة . وبينما هما يتربان من كؤوس الشمبانيا بروحان ما بهما من عناء ويدفمان بنفسهما الى عالم اللذة يسمعان وقع خطوات ومشاجرة بين زائر جديد والغلام الصغير

من يكون هذا الزائر وكيف رجع السلام الصغير الى المنزل يحرس باه ؟ أما الزائر فكان أمين بك زوج رتيبه — زوج الفتاة التي جاءت نخوته مع أعز صديق له ، جاء أمين بك يعود شفيق لأن الرسالة أخبرته بأنه طريق القرائش يشكو صداعاً ومغصاً ولأن حسناء التي كان ينظرها لم توف بوعدها ، أما الغلام الصغير حارس الباب فقد رجع الى الدار من السوق حينما صرف آخر مليم عنده .

تضطرب رتيبه اضطراباً عظيماً حينما تعلم بحضور زوجها فيدخلها شفيق على عجل غرفة النوم ويقتل باها بالفتاح ، ويحضر أمين بك متناقل

الرأس يترنح ذات اليمين وذات الشمال من تأثير الشراب ، وبعد المصافحة والكلام يخبر شفيق صديقه بأنه كتب اليه خطاب الاعتذار لأنه لم يرغب في تكبير صفوه مع حسنة . ولكن أمين لا يقتنع بهذا العذر ويدخله الريب في كلام صديقه و يلتفت يمنة ويسرة فيرى كاسات الشمبانيا مملوءة ومعدة للشرب فيسأل شفيق ضاحكاً : ( وهل عندك حسنة تريد أن تحقبها عني ) فلم يسع شفيق الا الاعتراف بان عنده حسنة ، وهي فتاة متزوجة لا يمكنه أن ييوح باسمها ورجاء بلطف أن يترك المنزل لأن الوقت ليس وقته بل وقت الحسنة ، فيضحك أمين ضحكات ثمل مأفون ويقسم أنه لن يرح المنزل حتى يعلم اسم الحسنة ويدور في الفرقة ضاحكاً ضاحكاً فيقع بصره على مروحة زوجته وكانت تركتها على احدى المقاعد فيلقطها ويفحصها ثم يصيح هائلاً برفيقه ويقول : ( أنت تريد أن تحب عني اسم عشيقتك ولكن عرفت ) فيهتز شفيق رعباً ويسأله عن معنى ذلك فيقول له أمين ان هذه المروحة لشقيقة مجدى ، لأن زوجته ذهبت الى شيكوريل وقابلت هناك أخت مجدى فاشتريا مروحتين متماثلتين لم يكن في المحل غيرهما ، فيطمئن شفيق ويزول رعبه ويرجو صديقه أن يكتم سره مع الفتاة لأنها أخت صديقهما ، فيومخه أمين على خيائته لصديقه وبعد مناقشة وجدال بين ثمل وصاح يخرج أمين من المنزل وهو يصيح قائلاً ( صعبان على جوزها المنفل ..... ١١ )

يترك أمين المنزل وتخرج رتيبه من حجرة النوم وهي ممتعة اللون مرتجفة الأعضاء تكاد تسقط من هول الحادثة . فيقترب شفيق منها

ويبدأ مداعبته ولكنها مداعبة باطلة لا تجدى ولا تنفع . لقد أصبحت رتيبه غيرها منذ لحظة . دخلت ذلك المنزل ساقطة وستخرج منه شريفة محافظة على صفاتها . لقد هيأ الله لها حوادثاً هائلة فتحت أعينها المغضتين فرأت هوة الحياة والسقوط فاتحة فاتها لتبتلعها الى الأبد فتصبح قائلة : ( آه ياربى ما كنتى بينى وبين القضيحة الا شبر واحد . أما صحيح كانت عينيه مقعولة ودلوقتى اتنعم ) وتترك المنزل وهى تقول لشقيق : ( دلوقت عرفت انك راجل دون ، نذل ، جبان ، الوداع . عمرك ما انت شايف وشى أبداً )

وهكذا ينتهى الفصل الثانى من الرواية أو المرحلة الثانية من حياة أمين . أما المرحلة الثالثة من حياة أمين وهى الفصل النهائى للرواية ففيها يختم حياته السافرة — حياة الكوكابين والسكر والنساء وبودعها الى الأبد

يأتى يسرى باشا لمنزل أمين فى اليوم التالى لوقوع الحادثة السابقة بدعوة من والدته فيقابل والده ثم الابن ويدور بينه وبين الأخير محادثة عن عزبة أبو ( الأحمر ) الذى يريد أمين أن يبيعها بثمن بخس لصديقه شقيق فيرجوه يسرى باشا أن لا يقبل ويبيعها اليه لانه سيردها اليه كاملة سليمة اذا استرد ثمنها من ربيعها فلا يقبل أمين الا اذا أقرضه الباشا ٢٥٠٠ جنيه فى الحال فيرفض خاله ويصر هو على رأيه ، وفى ذلك الوقت يحضر الصديق مجدى زائرأ فيخطوبه أمين ويتحدثان حديث المحبون والخلاعةيين ثم الكوكابين . ثم يطلب مجدى من صديقه جنياً لأنه



خالى الجيب من المال وبخبره عن غير قصد انه أخذ من شفيق أمس ثلاثة جنيهات أضعافها على الحرة والنساء فيندهش أمين ويسأله هل قابل شفيق أمس وكيف كان ذلك وهل لم يسمع في مدة وجوده في منزل شفيق حركة غير اعتيادية أو همس أو ما أشبه ، ثم يندفع أمين ضاحكا هازئا ظاناً انه يهزأ بصديقه مجدى لانه كان في منزل شفيق ولم يعرف أن أخته كانت في الوقت نفسه هناك . فيعجب مجدى من ضحك أمين واستهزائه به ويسأله عن سبب ضحكه فلا يجيبه فيطلب منه أن يخبره كيف علم بوجود حركة غير اعتيادية وهمس وما أشبه عند شفيق أمس فيندهش مجدى ويفرق في الضحك هازئا برفيقه الذى كان هناك وكان يجمل أمر زوجته الساقطة للتي كانت تخونه مع صديقه فيعجب أمين من اندهاش وضحك مجدى ويسأله عن سبب ذلك فيطلب منه الجنبه أولا فيعطيه أمين طلبه ولكن مجدى سرعان ما ينال بغيته حتى يريد الهرب من سؤال حرج لا يستطيع أن يجيبه عنه وكيف يخبر أمين بوجود زوجته في منزل شفيق . يحتد أمين ويطلب من مجدى أن يخبره بالحسنى فلا يرضى فتتأهب نوبة الكوكابين ويحمل يسب ويشتم مجدى متهاً إياه بالسقوط والنزلة والسرقة ثم تزداد حدته فيقول له جهاراً « هل تعرف أين كانت أختك بالأمس . انها كانت تغون شرفها عند صديقك شفيق » فيحتد مجدى مكذبا ذلك ولا يسغه الا افشاء الحقيقة الهائلة التى يصعق من هولها أمين

يخرج مجدى مطروداً بن منزل صديقه ويهرع أمين فيقابل

زوجته ويسألها بمجدة عما كانت تفعله أمس وفي أى مكان قضت عصر يومها . وبعد جدال عنيف تعترف له بكل شيء . وهنا تبدأ حكمة الرواية تتجلى في كلام الزوجة المدافعة عن نفسها ، المتهمة زوجها بتهمة الاشتراك في جريمتها فتقول في ذلك ما يأتى :

( أنا أعترف بأنى مذنبه . اعترف بأنى ارتكبت جريمة استحق عليها الموت . لأن البت الى تحاول انها تخون جوزها أقل ما تستحقه الموت ولكن اعرف اننى ما نبش أنا المجرمة الوحيدة . فيه شخص تانى كان يدفعنى بأيديه للهوة العميقة الللى كنت رايحه أقع فيها . واعرف انك انت الشخص ده ... عمرك ما خلتى أشعر بانك جوزى . صحيح أنا كنت طايشه و، ا كنتش عارفه أقدر حق الزوجية . لكن ربنا ماذا نبش زوج يهدينى ويوربنى الواجب . كان واجب عليك أنك تهدينى وترشدنى للصواب بدال ما تسيبنى أهوى وتروح تخبص وتلمب قمار وتسكر وتعمل كل موبقة تزرى بشرقك وقيمتك .

أنا ما عرفتش شفيق لا فى الدكاكين ولا فى الجزيرة ولا فى مصر الجديدة ولا فى التيارات . عرفته هنا فى بيتك وقدام عينك . وبين الللى قدمنى له ؟ حضرتك زوجى العزيز الللى شايفاه قدامى دلوقتى يبكى على شرقه وعرضه . )

وهكذا استطاع تيمور أن يلخص كل روايته فى كلام هذه الزوجة الشاكية ، المتهمة ، المدافعة .

يسمع أمين هذا الكلام فيزداد هياجه وتتناهى نوبة اختناق حادة

من أثر تماطيه الكوكابين فيرتى على الارض وهو يهذى صارخاً باكياً  
ثم تفيض روحه بين يدي والدته التسعة فيقضى المسكين على نفسه بنفسه.  
ويقف يسرى باشا الرجل العاقل الذى حنكته التجارب يقول واعظاً .  
ومتحسراً : ( ادى آخرتك ياللى ما تحاسبشى على نفسك ولا على شرفك،  
أدى آخرتك ياللى تمشى فى السكة اللى ما يرجعش منها حد... )  
وتنتهى الرواية بهذا القول

. . . . .

والآن وقد قرأت ما يهيك أيها القارئ عن رواية الهاوية ، عرفت  
مضمونها وعرّفت بأشخاصها وتصورت فى مخيلتك مشاهدتها ألا  
تشهد لتيمور بتلك القوة الفنية الهائلة التى استطاعت أن تخرج رواية  
جمعت فيها قوة التأثير على الجمهور ، وقوة التحليل النفساني التام وبث  
الحكمة الغالية والنقد الاخلاقى الصحيح ، واطهار صورة حية ليثة مصرية  
كل ذلك فى دائرة الفن الراقى

بهذا نجحت الهاوية ونجح تيمور ميتاً كما نجح من قبل حياً

## خاتمة

لقد أنعمت الكتابة على محمد تيمور - تاريخ حياته وأعماله -  
فأعلن صراحة اننى كتبت ما كتبت كتنقاد لا كأخ . اجتهدت أن  
أظهر لمن يعرف محمد تيمور ومن يجمله صورة نفسه وصورة أعماله .  
مكتظاً بتلك الصفحات القليلة التى لا أعتبرها فى الواقع غير مختصر  
ضئيل لاني بالمقصود تماماً ولكنها كافية فى الوقت الحاضر لأن تعين  
القارئ على معرفة الفقيه وترشده الى مؤلفاته . فاذا كان هناك نقص  
أو زلل فالمصيبة لله على كل حال .

محمد تيمور

الكتاب الأول

---

كتاب التيميم

# اهداء الديوان

---

لروح عالشة تيمور ارفع هذه النفثات

ابن أخيها

محمد تيمور

## مقدمة

ما هذه الا نشات ضاق بها صدرى فنطقتُ بها شعراً ، فان كانت  
تصل الى أعماق قلبك أيها القارىء الكريم وأنت تتلوها لنفسك  
أكون قد بلغتُ الغاية التى من أجلها طبعتُ هذا الكتاب ؟

محمد نجور

## شعار صاحب الديوان

---

الشراء في مصر ينقسمون الى قسمين :  
الاول يحبذ المذهب القديم ، والثاني يمسك بالمذهب الجديد .  
أما صاحب الديوان فشعاره :  
المذهب القديم جميل ، والمذهب الجديد جميل :  
المذهب القديم جنة فيحاء ، والمذهب الجديد جنة فيحاء .  
والشاعر طائر لا يعرف داراً ولا موطناً ينتقل من غصن الى غصن  
فان راقته له جنة القديم غرد فيها وان أعجب بجنة الجديد سجع  
في دوحها .  
ولا عجب لو وجدناه ينشئ في جنة ثالثة يحل فيها عن نفسه قيود  
الفن والثقافة في

محمد نيمور



## شاب يحتضر

فوق سرير الموت نام الذى	زال ابتسام العيش عن ثفره
قد ودع الآمال لا يرتجى	منها سوى الراحة فى قبره
مقطباً ان شتمته خلته ...	مستجعماً ما جال فى فكره
يطلب خلا صادقاً واعياً	يهدى له ما شاء من سره
يرنو الى أم جفاها للكرى	تنتظر المجهول من أمره
يبحث عن صدر اذا ضمه	أباد جيش الموت من صدره
كطائر ذى شجن صامت	أبده المقدور عن وكره

## الغريب الفقير

يرنو الى البلد الجدي	دكأته ببحر خضم
يلهو الرجاء به كما	تلهو به أيدي الندم
ملتقاً عن جانب	ه يخيفه يأس أصم
متذكراً لفة يحمر	ك شجوه منها النغم
يمشى الهوينا مطرقاً	للأرض يدفعه الألم
كم ليلة فاضت دمو	ع الحزن منه كالدم
ويهبجه فى ليله	من وجده طيف ألم

لم ينس دار الحب اذ لديره تلك القمم  
ويرى الحقائق عابسا ت والمسرة كالحلم  
ويخال من فرط الأسى ان الوجود هو المدم

## ضحكات طفل

طفل أتاني ضاحكا فرأيت من  
أصنى لها وكأننى مستقبل  
لو كان يسمها ملك ظالم  
أو كان يرسمها المصور خلتها  
تحنو لها أوتار قلب مظلم  
والشاعر المطبوع يحسب انها  
وكانها كخبر ماء بارد  
وتعبد في قلب الكبير شبابه  
وترد في بيت الحزين شموه  
ضحكاته وجه الحياة تبسما  
في ظلمة الليل البهيم الأنجما  
لبكى على احكامه متندما  
لجمالها وشئ الربيع منمنما  
لم يلق في نور الحقيقة مغنا  
ألحان طير في الرياض ترنما  
يطفى به الظمان نيران الظما  
وتريده في كل يوم أنما  
فكانه من قبل لم يكن مظما

## الليل

قد أودعته الناس أبرارها  
الحانة ثقيل أهل الهوى  
ونوح محزون شكا همه  
يزيدها الليل من لحنه  
كانه للسر نسم المقر  
ومس من يحلو لديه السهر  
يثر شكواه حفيف الشجر  
ما شاءه الليل وقت السحر

أمراره نجهل مكنونها      يهتكها البدر إذا ما سفر  
في هجمة الليل ومن سره      يستولد الليل عقول البشر  
هل يجب العقل إذا ما رأى      في ظلمة الليل شمس الفكر

\*\*\*

في صدره يهجم أهل التقى      ويسهر النصب يناجى القدر  
في صدره تضحك بنت الهوى      وضحكها عنوان ذاك الكدر  
في صدره يقتل من قدر رأى      في عيشه الضنك وذاق الضجر  
يخاله السارق ثوبا إذا      رماه تلقاه عيون البشر  
ويجزع الصنديد خوفا إذا      رآه بين القبور انتشر  
يموت في اليوم ويحيا به      هل يهزأ الليل بحكم القدر؟

### لمحة عين

يا قطرة قد اسكنت      في القلب عاصفة الهيام  
ذاقت عيوني بعد أن      أرسلت لقات المنام  
وطردت من فكر التقى      المهجور أشباح الحلام  
من أى نبع قد بثت      لعين صب لا تنام  
حملتك من دار الهنا      أكف أحلام الغرام  
يا وردة من جنة      فيها الطهارة والوثام  
كيف ارتضيت لقاء ظلا      مة دار ذل واقسام؟  
أحملت في أوراقك البيضاء      أنوار السلام

ما دمت الا برهة ما الهجر من طبع الكرام  
لك فى الحدود بقية عنوان صب مستهام  
وبنيت قبرك فى قلو ب العاشقين أولى السقام  
يامن قصير عمرها لم يأت طيفك فى المنام

### اللقيط

فوق الترى أبصرته نائما  
عليه قوب أبيض لم أجد  
كأنه من حسنه وردة  
تلقيه لا يعرف ما يتنى  
يرنو الى ليل طويل الكرى  
كأنه والليل من حوله  
سفينة تهوى بلا منقذ  
قد حرمته الام تحناها  
ينساه فى البؤس أب ظالم  
يعيش لا يعرف من أهله  
والله طار يا رجال النهى  
العدل يامن شاقه وجهه  
يئن من جوع وبرد شديد  
فى طيه أسرار ذاك الوليد  
ترشقها الحسنة بين اليهود  
هل يعرف ابن الامس ماذا يريد  
مسترحما، والليل باغ عنيد  
وفى ظلام الليل موت اكيد  
وبحرها الجائش هذا الوجود  
والصدر والندى ولثم الحدود  
فى دهره يحظى بعيش سعيد  
كأنه فينا شريد طريد  
أن يظلم القانون هذا الشهيد  
فى هذه الدنيا رهين القيود

## النرجسة اليانعة

فروى قبر الشاعر

يا زهرة تنمو وتبد	نعم فوق قبر الشاعر
لا أغرو إن غذا شبا	بك منه حسن الخاطر
فالشعر يبعث كالزهو	ر من الجمال الباهر
هلا حملت لروحه	أرج الحبيب المهاجر ؟
حرمته صفو حياته	الحفاظ ظلي نافر
فسلام ترى قلبه	بسهم لحظ فافر ؟
يا بيت شعر من فنى	أضحى رهين حفائر
قد أخرجته من الثرى	نفثات ذاك الساحر
يا قبلة جاءت من	ملك كريم طاهر
نزلت تؤانس في الترا	ب شهيد حظ عائر
إني أخالك في التها	ر شمع حب زاهر
وأخال أنك في الدجى	عين الحب الساحر
أنت ابتسامة غادة	لقدوم صب زائر
تمحوى خفايا الحسن فك	شفها لعين الناظر

## القلب

موضع الوجدان في أجسامنا      ودليلا للرزايا والنم  
لم تحكم فيك أسياف المدا      وبك المحبوب يا قلب احتكم

لم يخفف عنك نيران الجفا      غير دمع فوق خدى انسجم  
غير انى قد أيت الدل اذ      أنت الذى علمتنى هذا الشم

\*\*\*

رحمة بالقلب يا ربى اذا      ما ظلام اليأس بالقلب التعلّم

\*\*\*

يا مقر الحب يا نبع النهى      أنت ميدان التصافى والالم  
كتبت أقلام تذكّار الموى      فيك أسرار الغرام المنصرم  
لم تل منك المساوى غير ما      نالت النيران من بحر خضم  
لم يروّعك خليل خان      اذ وفاء الناس حلم لا يتم

\*\*\*

منك سمى وشقائى لا تكن      قسياً، اذا أنت خصى والحكم

## شجرة على شفا الموت

أوراقها فوق الثرى	آمال صب يأس
والساق بين الزرع تح	سبه جبين العابس
وكانها لسوادها	شبح الفقير البأس
مهجورة من طيرها	والطير خير مؤانس
فكانما وكنانها	دمن بليل دامس
سكنت وكان حفيفها	تم الحبيب الهامس
صبا لم تمياً لزم	جرة السحاب الراجس

كلا ولا حنت لطيف ر ناح فوق غرائس  
كانت نهاب جلالها عين الشجاع القارس  
وغدا ستقطعها ودة لها يمين الغارس

## المهرم الأكبر

منكد الحفظ كثير الجلد يخاله الراقى خيال الأبد  
مسدد النظرة في قومه مهشم المفرق عارى الجسد  
لم تبك الاشجان لكته مقطب الوجه حليف الكمد  
قد أرسل النيل رسولا له يبحث عن مجد قديم فقد  
كتاب تاريخ قرأنا به عن مصر أهوالا تهد الجلد  
أعادت اللاهى الى رشده وأوقدت في القلب نارا تقد  
ويحتلى الناظر من بابه في ظلمة الليل شعاع الرش  
ومصر لا تعرف إلا به كأنه عنوان هذا البلد  
لسانه أبكم لكنما تخاله يصرخ فيمن رقد :  
« من قام عن نيل العلاما ارتقى ومن مشى في الأرض سعيًا وجد  
وصاحب الهمة يلو بها وكل كسلان عدو الله »



يطوف في أرجائه صارخا جيش من الأرواح جهم العدد  
أرواح فرعون وأنصاره من شيدوا مجدا متين البعد  
أضاعه أبناؤهم بعدم وعز مجد ضائع لا يرد

يا ليتنا نرجع مجداً مضى لا نعزب الحيلة عمن يجد

\*\*\*

تدوسه الزوار من هابط أو صاعد غر عليه صعد  
قد استبدوا ونسوا مجده ( كأنما القادر من يستبد )  
كانه لم يك قبر الذى كان اخا مجد بعيد الامد  
حق على الزوار ان يسجدوا يأسعد من فى ظله قد سجد

\*\*\*

يا دارس التاريخ قف خاشعاً فعمدة التاريخ هذا الاسد  
يا باحثاً عن مجد دهر مضى وجدت فى الاهرام ما تفقد

## البلبل الصامت

فارقت ريع الحى بالامس وغدوت على صفائح الرمس  
غادرتنا والبلبل معتكر والقلب نهب مغالب اليأس  
والنفس والهمة وقد لعبت خمر الشقا والنحس بالرأس  
بمضى زمان كنت مسعده وجاء دهر الهم والنحس  
فشربت كأس الحزن مكثباً حتى جرعت صباة الكأس  
آزرت قلباً كله شجن سكته دهرأ ظلمة البؤس  
آنسته وأزلت وحشته ياومح ما فى القلب من أنس  
وهجرته فسكك من جزع متهدماً كالربيع المدرس  
عليك تشجى فى التبرى طرباً أرواح قوم فى الثرى خرس



قد كنت في البستان بهجته      تلهو بما في الجسم من حس  
تصدح بالالخان مقتبطاً      تحرك الاشجان في النفس  
يصنى اليك الكون مستمعاً      ما قلت من جهر ومن همس  
والحب يسمع منك ما وجبت      له قلوب الجن والانس  
والبدن في كبد السماء بدا      كالملك ذي الجبروت والبأس  
لو سمعتك الشمس سائرة      لكنت توقف دورة الشمس

...

قد راعني والليل مقتبل      يا طير انك فاقد الحب  
الحب عرس للأنام وقد      فارقت يا زينة العرس  
موتك سفر فيه قد كتبوا      ما في ممات الطير من درس

## نفس الشاعر

من ذا الذي عشق الخيا      ل وهام في حب الوردى  
نصب الزمان له الشرا      لك فا اشتكى وبها ازدرى  
من ذا الذي يمشى على      قم الجبال مفكرا  
وينام في غار الوحو      ش ممدداً فوق الترى  
أو في القضاة وفيه يه      ترش النبات الاخضرا  
لم يخش برداً قارصاً      فيه ورعداً زجراً  
كلا ولم يخش الصوا      عى والسحاب المطبرا  
ولغادة الشمر التي      وهبه ملكا اكبرا

باع الوجود ومن به	ومن الوجود نجيرا
قد طاقته فأسكرت	وما تناول مسكرا
من ذا الذى لا يرتضى	فى الحب ان يتغيرا
واذا رأى ذل الهوى	رفض الهوى واستكبرا
عشق الطبيعة يوم ان	لبست لباسا أخضرا
والشمن تلثمها كما	ثم الكبير الاصغرا
واذا دنا الليل البهيم	م وجاء يمش بالكرى
يتوسد الصخر الاصم	م مفكراً متذكرا
من ذا الذى قد هاله	منع الفقير اذا جرى
من ذا الذى يبكى الأما	ة والوفا بين الورى
هذا الذى ليست له	نفس تباع وتشتري

## الشاعر الغضبان

هيشوالى فى باطن الارض قبرا	ودعوني انام تحت التراب
فى ظلام القبور راحة نفسى	ومن النور شقوتى وعذابى
واذقوا فى التراب دبو ان شعرى	فوق قلبى المملوء بالأسباب
فيه مكنون ما احتوا جنانى	وعزى فراق ذاك الكتاب
هو لمضى فهل اموت وأنسى	فى ظلام الحياة نور شبابى
واثر وافرقة الهمود وحسبى	من شذاها منابع الآداب
هي رسل الهوى تذكر قلبى	بشفاه خوات حسن عذاب

قد رشفنا منها النعيم ولكن قد شربنا من بعده كأس صاب

...

من حياتي أدران من هم صحابي	في اديم الثبراء تذهب غنى
واليها بعد الممات اياي	هي امي خرجت منها صغيراً
هي خير من ثم حلوا الرضاب	قبلة من تراب ام حنون
من عناق الاصحاب والاحباب	وعناق الاحجار في التراب اولى

...

يوم ارسلها مساء اكتاب	ان فجر الدموع يتلوه عندي
كيف يتلوه وهو رهن المصاب	ما تلا فجرها لمثلي صبح
في صحابي وضاع قبلا عتابي	مناع نصحي وضاع . نه رجائي
وخداع يلقاك بالترحاب	رب خل في صدره كل غدر
في ظلام الريا لظى الارتياب	يتبدى من عينه وهو يرون
ما ينيل الظمان لمع السراب	لا ينيل الوفي في الميث الا
اسود قلبه يياض الثياب	لا يفرئك من صديق خوون

...

عائده الاقدار في الاصحاب	يا صاحبي ولست اول حر
فاعذروني ان ضاع فيكم صوابي	قد جعلتم امرار قلب امين

## النجم الافل

دفنوها في التراب يوم الوفاة	فوق فرش من الحما ورفات
لا أنيس لما سوى وحشة الموات	ت وصوت الظلام في الحجرات
وبقايا من همد لا يفيقو	ن ونوح الارواح في الظلمات
ودموع تجري على القبر حيرى	وأنين يغيض بالحسرات
تركوا آية المحاسن والد	لبدار السكون زهن المات
يلبس التراب جسمها وهو غرض	بعد لمس الشفاء بالقبيلات
وترى عينها الظلام وبالا	من تلاقت بأجل النظرات
أهى في القبر في ارتياح من الوح	مة والبعد حمة اللقنات
أم دهاها من هولاء ما دهاها	من جلال وخشعة وعظا
أم تراها والقبر ظلاماً روت	ارضنه من لآلى العبرات
أم تراها لاقت من الارض اما	وهبت جسمها لذيد السبات
هى في القبر وردت سوف تفى	كيف تحيا الورود في الحفرات
قد غدت والهناء عنها بعيد	بين اهل الثرى بغير حماة
أسدل الموت، والمات ظلوم،	ستره بينها وبين الحياة

## ظلام النفس

أسرع وسدد في الطريق	ق خطاك ان العيش غدر
أسرع فاني يالس	اذ ليس بين الناس بر

أُسرع وخذ روحي ولا      ترحم قلبي لدى صبر  
يا موت لا ترحم شبا      بي أنه والله مر  
أمن المصائب لي فؤا      د أم من الاحزان عمر؟  
ما ذا لقيت من الحيا      ة وما بها شيء يسر؟  
ان الحياة المسرح      والناس اشباح تمر  
والعيش عندي صفحة      عنوانها لؤم وشر  
فمن الشدائد للمتا      ص للشقا — أين المفر؟

## الذكرى

تهز قلبي بعد رقدته      كالريح هزت جانب العلم  
تمشى الهويتا في جوانبه      كالعجر يطرق حالك الظلم  
ترى به من نارها شررا      فتثير فيه رواقد الهم  
وسمعت منها يوم أن طرقت      قلبي رنين الحجر والسقم  
فكأنها نبع يفيض بما      يحويه قلب الصب من ألم



وتعيد من ماضى ما شهدته      عيناي من بؤس ومن نم  
وتضيقه من بعد ظلمته      فكأنها تحييه من عدم  
وكانه صحراء مجدية      ظمأى لقطر الصيب العرم  
وكانها نهر تغمدها      بالجلود من سلسله الشيم  
أوجنة الماضي قد انبثقت      منها لنفسي زهرة العلم

## أمس واليوم

زمن الأنس تولى واقضى	حاملا ما كان لي من أمل
مرّ كالسهم ووافى غيره	فشر بنا الصاب بعد العسل
هيجت ذكراه قلبي مثلها	هيج الصبّ فواح البلبل
لم أزل أشعر بالوجد الذي	أشعاه نار تلك القبل
كل ما نهواه يمضى عاجلا	ليتة يمشی بنا في مهل
كل شيء حائل عن شكله	تلك فينا سنة للأزل

\*\*\*

سلب الدهر هنائي اني	لفعال الدهر لم أمثل
عفى الاخوان إذ قد جهلوا	اني عن غيهم في شغل
أأقضى العمر أرجو ودهم	بين عذر منهم أو عذل
أنا بين الناس طير صادق	ناطح في مرصات الطلل
أنا ذاك الليث لا تنفضه	وثبات الذئب وقت الكلال

\*\*\*

إيه يا دنيا أما من ساعة	ألتقي فيها بنور الأمل
أودع التمس حياتي صحفاً	خطها من دمي المنهل
أبنو الدنيا هم الأوهام أم	أنا فيهم لم أكن بالرجل
هاكم السعد بهم متصل	وبمثلي بعد لم يتصل
راحة الانسان من كد ومن	نصب يوم انقضاء الأجل

## الليل أقبل

أتنام عين ماؤها الآلام	الليل أقبل والمنام حرام
والنور في عين البئس ظلام	لا تستبين العين نور رجائها
نار لها بين الضلوع ضرام	روح يروعها الأسي ويثيرها
للدهر لا تقض ولا أبرام	اليأس رائدها وتلك مشيئة
في طيها الأوجاع والأوهام	ما العيش إلا عبء مهراقة
ودواؤه بين الوري الأحلام	داه الحياة له النفوس فريسة
لابن الحقيقة في الحياة للمم	والسعد برق كاذب ومزاره
نحطى بسعد . اتنا أنعام	إنا تكلمنا الحقيقة جلنا
ياسعد من يهديه الاستسلام	يابؤس من لا يستقر فؤاده
نبكى الوجود لاننا أيتام	نلهو ونضحك للوجود وليتنا
غدر وفيه تقطع الأرحام	مانحن إلا كالذئب فميشنا
وسلاحه الأغراء والأقسام	كل امرئ يلهو بمرض صديقه
فكأنما نصح الفتى أيلام	وإذا أصبحت أخاف أنت عدوه
سر الهناء وللوجود دعام	والشر ساطان النفوس كأنه



نضو الفؤاد حياته أسقام	ماتلك الاخطارات أخى أسي
والنجم ليس بصفحتيه سلام	يقضى سواد الليل برقب نجمه
لناس حرباً في الفؤاد تمام	ألف الهموم قلبس ممن يشتكى
في جوفه ما دامت الايام	هو ذلك الطود الذي كن الأسي

## الصبح أقبل

قم من سباتك وانظم الاشمارا	فالصبح أقبل والظلام توارى
لك من شعاع الشمس وحى قادر	سلب العقول وبحير الافكارا
ما أنت إلا صوته ترك الألى	عشقوا الطبيعة ذاهلين سكارى
تشدوا على فن الوجود مرتلا	آياته وتداعب الازهارا
بين القلوب وبين صوتك ألفة	وجدت لها بين القلوب قرارا
فكأن من نبرات صوتك رحمة	جعلت ظلام البائسين نهارا
نجت ما قيهم وكان لبؤسهم	سيل جرى من دمهم أنهارا
فالبؤس بين الناس طير نائح	أبكى قلوب البائسين وطارا



تهتز من طرب ولست بمحتس	خمر الشفاء ولا خلعت عذارا
فكأنما ألقى الزمان قياده	طوعا لوجهك لا يريد فرارا
ما تلك الا قبلة الاشعار فى	نهر الصباح تريد أنوارا
لله در الشمس غازل ضوؤها	للتأخرين الطير والاشجارا
كست الجبال مع الوهاد سبيكة	من عسجد والنهر سال نصارا
فمن القواد تحمل عقد همومها	ومن الطبيعة تكشف الأسرارا
فى كل قلب هائم من نورها	أمل الوصال يحرك الأوتارا
بأشمس غادرت الحقول ضحوة	وتركت أمواج البحار حيارى
رقصت لنورك تسرد رضاءها	عنها وقامت تبسط الاعذارا



القيت فوق الغاب ثوبك فانبرى فيه النسيم يجاوب الاطيارا  
طرب المحب لشدوها متبسما للشمس وازداد الوقور وقارا

\*\*\*

حتى الصباح معدداً حسناته . وانس الموموم وصاحب الاقدارا  
واذا مرت على القدير قف به تلفيه قد تمخذا الزهور شمارا  
فاركم وهال للطبيعة خاشعاً واذكر هناك الواحد القهارا

## سلطان الليل

أنا يا ليل أناجى منك سلطاناً رحيم

\*\*\*

من بنى جسر الأمانى فوق أمواج الموموم  
واحتسى من كأس ودى خمره الخل المحيم  
يطفى النار اذا ما هاجنى الذكر الأليم  
يرسل الرحمة تنفى فسوة الشوق القديم  
صادق الوعد كريم وعلى الود مقيم  
هو لى خيل أمين ولأفكارى نديم

\*\*\*

أنا فى الدنيا وحيد ولى الناس خصوم  
راقهم ان جد أمر برق غدر لا يدوم  
ورأيت الغدر نارا ورأوا فيه النسيم

هدموا بنيان ودي وانمحت منه الرسوم  
ومليك الليل بر هو لي أم رؤوم  
هو لي خل أمين ولأفكارى نديم

\*\*\*

أنا من أدران صحبي طاهر القلب سليم  
أجد اللذات ترى إن دنا الليل البهيم  
فأرى وحي طروبا بين هالات النجوم  
منشداً شعري واني لست أدري ما يروم  
ومليك الليل يدني من في خمر النسيم  
هو لي خل أمين ولأفكارى نديم

\*\*\*

لا أرى في الصبح إلا كل غدار أثم  
وأرى في الليل سعدى يحمل الخير العميم  
هو في عيني قتي ناصع صافي الأديم  
وبه صحبي كثير بعد أن كنت اليتيم  
ومليك الليل يحبي ما غدا مني رميم  
هو لي خل أمين ولأفكارى نديم

\*\*\*

أنا يا ليل أناجى منك سلطانا رحيم

## الفجر الاول

لمحمد على بهصر

غريب بهذى الدار لكننى اذا  
تلوح ليمنى والظلام ترددت  
فيشتد منى العزم والناس نؤم  
إرادة قسى من عصيرك انها  
اذا خاننى صبرى أخالك واقفا  
فأرجع للجللى وبى منك شملة  
يتيم ولكنى همام فليس لى  
شغوف بمن تلى المخاطر قدرة  
لئن كنت أمياً فليست بمعجم  
أصيحخ لصوت المجد فى كل ساعة  
وقفت كأنى للعيون سحابة  
فدهرى أمام العزم منى كأنه  
ستكتب فى سفر الحياة وقائى  
ألا أيها الذئب الذى فاض خيره  
أرى فيك بامرأة قسى صورة  
وياهرماً تزو الى ملياً  
رأيتك خلت الدار مهبط أبائى  
بحافله ما شئت فى أعين الرائي  
عن المجد تلهى قسمهم خمرة الاء  
لنورك ظمأى فارو غلة أحشائى  
تميد رجائى من سنك بايماء  
تبر طريقي فى منابت آرائى  
من الاهل الالبأس بدد أعدائى  
فسيان صبحى إن هممت وامسائى  
عن العلم إن العلم مصدر نعمائى  
وما أذننى يوم النداء بصماء  
اذا هزها ربح تفيض بأنواء  
غريق وذاك العزم أمواج دأما  
وقرأ أهل الارض معجز أنبائى  
على أمة مهضومة الحق معطاء  
من الجسد تهدينى لمنبع سرانى  
ندائى وفى أحشائه سر عليانى

وما هو إلا مثل عزى تجسست	نواصيه حتى بات يستلفت الرائي
كلانا مدى الايام في مصر خالد	له إن دنا ليل منارة أضوائى
لقد كنت قبل اليوم عن مصر نائياً	فها أنا في مصر ولست الفى النائي
فيا بلداً يجرى به النيل ضاحكا	ويهتز جذلاً نأى يحاول ارضائى
لئن ناصب المقدور نفسى حروبه	وهشم من عزى بواتر امضائى
فما أنا ممن يرغم الدهر أفقه	ولا أنا ممن يستكين للأواء
سيخضل منك الزرع بعد مماته	ويخصب ظهرا الأرض في كل صحراء
وعدتك مجداً لم تر العين مثله	وسوف ترى عيناك يا مصر ايغافى

## النهاية

وقفت كليوباترا تنظر لانطونيوس يحارب اوكتافىوس وخافت  
 الهزيمة فزمت على الاتحار وهالها ان تموت وحيدة فأرسلت لانطونيوس  
 تخبره بموتها فبكى وطمن نفسه بخنجره ومات شهيداً غرامه فلما واقفاها  
 خبر اتحاره أسلمت نفسها للثعبان وماتت قبل أن يأسرها اوكتاف .

يا ظلام النفس رققاً بالآلى	ظلم الدهر وقدماء ظلموا
رقدوا في ساحة الهم وقد	كانت الدنيا لهم تقيم
قد طوى الدهر سماء لمعت	لهم من قبل فيها أنجم
جفت الخمر فى الكأس دم	وكذا الدنيا خمور قدم
تكسوا الطرف وقد لاحت لهم	صور عن سعدهم تزدحم
ندموا عما جنت أيديهم	حيث لا ينفع يوماً ندم

فهو كالليث يكمي يائساً      وحرام أن يضام الضيفم  
انما الدمع لبان ناطق      يتولى قلب من لا يرحم  
غير أن الدهر سيف حده      قاطع فيه القضاء المبرم



وقفت في ساحة القصر وقد      وترسل الدمع على الخلد دماً  
لا ترى في يومها السعد وقد      فاذا الصبح أتاها ضاحكا  
وأذا الزهر رنا مبتسما      تسمع الجيش يلبي ربه  
كل مغوار يرى الروح فدى      وترى الاعداء هبوا للوغي  
زمر ماجت كبحر مزبد      أسد لا يهرب الموت وهل  
فكان الأرض ميدان به      خافت العقبي وما الخوف سوى  
هي بين النصر والاسر غدت      أسلمت للشك قلباً هالماً  
نادت الموت وما هابته اذ      كل عيش بالردى يختتم



كان أنطونيوس صبياً مغرماً مات والآلام تستهدفه  
مات مكلوم الحشا متحرراً هو والخنجر في أحشائه  
جاءه نبي التي فارقها لم تكن ماتت ولكن هالها  
أين من صنعى لها أوطانه صائغاً للحب لا يرعى سوى  
خان روما مستبداً ناسيا إن ركن الحق لا ينهم



كيف نحيار به الحسن وقد عقمها الاعوان في نكبتها  
ليس في الناس وفي صادق ايه كليو بطره اليوم اتقضت  
أنت في القصر خيال زائل أنت والارقم يرو جالماً  
لاتظنى ان في حسنك ما إن أوكتاف جرى قادر  
وجمال النهر ماض ذاهب وابتداء الحى منا علم  
مات من كانت به تنصم مثلاً للندر يا ويحم  
فهم ان ماتت الدقيام عنك آمال وزالت أُمم  
وهو في الدين غيف مظلم حية يرو اليها أرقم  
يسجد الليث له يسترحم وله النيل ومصر مغنم  
وجمال الطور لا ينعدم وختام الحى منا عدم

## خوفو فرعون مص

وأسأل وأنا غير شاعر بمرور الساعات صدى  
ما أويهم القديم عما تبقى له من رنين أصواتهم  
(هوجو)

نظرت الى الاكوان نظرة معتد	ودانت لك الارواح في قبضة اليد
هزئت باسرار القضاء وحكمه	كأنك تدري ما سينفذ في الغد
تطيعك قواد الجيوش جميعها	ويخشاك يا فرعون كل مسود
كأنك والارواح حولك سجداً	وما كانت الارواح قبل بسجد
رسول المنيا ترسل الروح في الوري	وتخلع قلب الصابر المتعب
اذاشت صار الصبح أسود حالكا	يفضل قواد الناسك المتعب
وان شئت صار الليل أبيض ناصعا	يسير على أنواره كل مهتد
وان شئت يغدو سيد القوم عبداً	وان شئت يغدو العبد أكبر سيد
وقلبك حار العقل في كنه سره	ورأسك رأس الاسود المتوقد
وما الرعد الا صوت فرعون هاجه	من الناس ذوجرم على الناس يعتدى
وما البرق الا نظرة منه أومضت	يليل من الاهوال أقم أسود
وما الريح الا زفرة من زفيره	تروح على الصحراء طورا وتفتدى
فيا لك من ملك اذا هم أبرقت	نواجذ عزرائيل يوم التواعد
يتقب عن ذكر المواعب جهده	وما ذاق يوم الفتك طعم التردد

أقت على الصحراء قبرك خالدًا  
 بنى لك اهرامًا كأن صخورها  
 بناها بلا أجر سوى الجهد والطوى  
 كأن المذارى حول اهرامك التى  
 وما النيل الا دمعهن جرت به  
 وقفت لدى الاهرام تصرخ غاضبًا  
 وقومك يا فرعون حواك خشع  
 ولم تدر ما يخفى الزمان لاهله  
 سقى نفسك الكأس الاخيرة بعد ما  
 قضيت ولم تنفك ما كنت جامعا  
 سللت سيوف البنى جذلان ضاحكا  
 فأغضيت طرفا تحرق الصخر ناره

بناه لك الشعب الذى لم يخلد  
 صحائف فيها الظلم أكبر مشهد  
 ورويتها من دمه المتجدد  
 بنيت قرايين تساق لمبعد  
 مطامع ذى جاش به الظلم يقتدى  
 فذابت مياه الخوف من كل جلد  
 تمائيل لم تتأر ولم تتوعد  
 ودهرك يا فرعون أكبر معتد  
 رماك بسهم فى الفؤاد مسدد  
 فنمت على الغبراء غير موسد  
 فقال لك الموت الزوأم ألا أغمد  
 ونكست رأسا هابه كل أجمد



وأغمدت سيف الظلم فى الغمد مرغا  
 وساويت ترب الارض لم تمنع الردى  
 تنائجك أرواح الضحايا وقد بدا  
 وما عهدت من قبل دمك جاريا  
 وشعبك أضحى يوم موتك صاخبا  
 يهلل جذلانا ويهتز ضاحكا  
 وألقاك فى الصحراء طعمة جائع

وما كان من قبل الممات بمغمد  
 وكان الردى من قبل طوع المهند  
 لها منك عجز الخاكم المتشدد  
 ولا عرفت منك الخضوع لاصيد  
 كبحر من الاقوام مرغ ومزبد  
 ولولا جلال الموت هزك باليد  
 من الوحش والمقبان فى كل فدغد



حرمت من القبر الذى كنت ربه      وما كان ذا الحرمان قصد المشيد  
وما هو الا ثار شمبك ناله      جزاء وفاقا فاحتمل وتجلد

\*\*\*

أناجيك يافرعون لو كنت سامعا      (وبأتيك بالاخبار من لم تزود)  
وما الشعر الا وحى نفس كليمه      لها فى مجال الشعر أعظم مقصد  
فان كنت يافرعون فى القبر ظامنا      لما قيل من شعر الحقيقة فاشهد  
بأنى قلت الحق لم أخش لائما      وما خفت ذا بأس ولم أتردد

### حكم الحب

قلت الفجر ونور الروض فاح      وتولى الليل من وجه الصباح  
(اننى يا فسر مهضوم الجناح      ليس لى يا فسر للعبش طلاح  
قد حسبت الهم كاساً فيه راح      بعد أن القيت فى الحب السلاح)  
فأجاب الفجر بالحق الصراح      (لا تطل شكواك من تلك الجراح  
كن اليك الشجو تستجد النواح      فشقاء الناس فى الحب مباح)

\*\*\*

قلت للصبح ولى الصبح ابتسم      وفؤادى عضه ناب الألم  
وعيونى فى هواها لم تنم      وجرى دمى كما تجرى الدم  
(اننى يا صبح صب ما اجترم      حافظ فى الحب ما تقضى الذم)  
فأجاب الصبح والحب حكم      (كن أسيراً للذى فيك احتكم  
ليس لابن الحب عندى معصم      اذ هناء الناس فى الحب حلم)

\*\*\*

قلت لليل وقد وافى الظلام      وانبرى للناس سلطان المنام  
وارتدى البدر جلايب النيام      مثل وجهه باسم خاف لثام  
( اننى ياليل صب لا ينام      وحرام أتى فيك أضمام )  
فأجاب الليل والناس نيام      ( لا يلام الحسن والصب يلام  
ليس هجر الناس فى الحب حرام      فاحتمل بلواك ان عز المرام )



قلت للموت وقد ضاع الامل      واتقضى صبرى وما وافى الاجل  
وعرفت المهجر قدماً والعزل      وحرمت الشهد من تلك القبل  
( أنت ياموت دواء للعزل      وأنا ياموت ظل مستقل )  
فأجاب الموت والقلب امثل      ( حكم الحب قتل لى ما العمل  
ليس لابن اليأس عنه مرتحل      قد غذا اليأس لدى اليأس أمل )

### خواطر الوحدة

سكن الليل وقلبي نازر  
وعيونى لا تنام  
واتقضى صبرى وحطى طار  
وشجونى والظلام  
نسجت للقلب ثوب الألم



أسمع الألحان من موج البحار

وأناجى كل نجم  
وظلام الليل مسدول الخار  
لا يداحى نضوم  
فهو أم لضحايا السقم



أنت يا ليل صديق الشاعر  
قد شهدنا كل حسن  
صاغه فيك ابتسام الصابر  
فابتسمنا تحت غصن  
وعرفنا الصبر بعد السأم



يا بساتين البحر قد عز المنال  
فألام لانلاق  
من تهادت فوق أواج الخيال  
وعلام في المآقي  
سفكت دمع الموى المنصرم



إيه يلبن لا ترى صورتها  
في المنام . أين أنت  
أنت يلبن ، إن دفت ، شيمتها

ان أنام قد جفوت  
فوجودى قد غدا كالمدم

## الدار الحزينة

مر الشاعر على دار كانت مهد هواه فخطبها :

دار الهوى وعلافة التملل	هل أنت باعثة الغرام الأول ؟
قد ذقت فيك من الصفاء كؤوسه	دهراً وعشت عن الوجود بمزمل
ألهو وأهزأ بالزمان وصرفه	والغدر فى طى الزمان المقبل
صفرت بك الريح الجحوح لها	ترى غراماً فيك لم يتبدل
ضرب الفراق عليك سودخيامة	وسقاك من يمتناه كأس الحنظل
نق العراب بساحة لك طالما	فى الليل أطربها نشيد البلب
وأنا يبابك واقف متأمل	فيما دهاك وهل يفيد تأمل
الزهر حولك قد علته كآبة	يشكو النوى ظمآن لم يتبل
يرنو الى وقد أفاق منهبة	يحنو على ذاك الخيال المقبل
ويئن فيك الحب أنه عاشق	قد كنت فى عينيه أطيب منزل
وعليك من هجر الأحبة مسحة	تبدو لعين الشاعر المتأمل
تترنج الاشجار فيك كأنما	يهوى بها داء الفراق المعضل
ذبلت زهور مانسيت جمالها	والحب طى أنصالى لم يذبل
والماء جف وكان يجري ضاحكا	متدفقا كعزيمة المستبسل
أرويك بالدمع الغزير لو انه	يحيا النبات بفيض دمي المرسل

يا غرفة الحب القديم تحية	مالى أراك حزينة للمجلى
يا غرفة الحب القديم تحية	قد طال فيك ظلام ليل أليل
يا طالما شاهدت خير مواقف	للحب بين معانق ومقبل
هلا ترين تفجى وتلهفى	أو تسمعين شكائى وتندلى
مالى أساتلك السعادة والمنا	وظلام هذى الدار لم يتحول
مالى أرتل عند بابك خاشعاً	آى الغرام كراهب مبتل
أبكى كما يبكى اليتيم وقد بدا	منى نذير الشر للمستقبل
وأحن للزمن القديم مردداً	سرى وأعبس للزمان المقبل
وأرى ونار الذكرا تاكل مهجتي	فعل النوى بجيبتك المهمل
انى وقفت عليك سيل مدامى	فاذا وهبت لك الحشا فتقبل

### الضحايا

أسمع فى الليل نواح الألى	رمام المقدور فاستسلموا
ييكون والرحمة فى سجنها	مشلولة الاعضاء تسترجم
تن والاغلال فى جيدها	وساجن الرحمة لا يرحم
يمشون واليأس امام لهم	يقودهم والحب ييكبهم
والبؤس يمشى خلفهم ، والأسى	يهزم والناس لا تعلم
نلمح فى أعينهم جذوة	من نار يأس فى الحشا تفرم
سميرم شعرى وقد جاءكم	لينقل الشكوى لكم عنهم
وسوف لا يسمع شكواهم	من يحبس المال ولا يندم

لا يعرف اللاؤاء إلا فتى تزيقه الايام ما يؤلم  
سيان في عين الفتى المدعى ماء جرى فوق الثرى أو دم

## يلومنى قومي

يلومنى قوى على حبها والوم لا يحدى ولا ينفع  
يرمونى بالضعف لكنهم لم يجرعوا الكأس التى أجمع  
وما دروا أن الهوى قاهر قضاؤه فى الناس لا يدفع  
ولا رأوا أسطر هجراتها تحطها فى خدى الادمع  
ولا رأونى فى ظلام الدجى وقد نبا عن جسى المضجع  
أبت ليل هوى خالداً والليل لا يمنو ولا يسمع  
أردد الاشعار فى جوفه كطائر فى سجنه يسجع  
أعلل النفس بنيل المنا والصب بالآمال لا يقنع  
انى فتى لم يدر طم الكرى ان يهجع المونود لا يهجع  
وان شدا البلبل فى دوحه يذوب وجداً قلبه الموجع

## صبرا فؤادى

صبرا فؤادى صبرا فأت بالصبر أخرى  
كانت أمانيك ييضاً فأضعت اليوم خبرا  
وكننت كالماء عذبا واليوم أصبحت جرا  
أضافك الهم حتى ألفت همك دهرًا

والحب قيد ثقيل	وقد عهدناك حرا
والحب ذل وقد ما	أبيت للذات أمرا
والناس أخذان غدر	وأنت بالناس أدرى
رضيت حب فتاة	تبدل اليسر صرا
لها فؤاد جديب	العار فيه استقرا
تسقيك باللحظ خرا	حتى تمايل سكرا
والدمع في مقلتيها	ستر يحجب سرا
والابتسام تراه	فتحسب الورد شعرا
يخفى عن العين كيدا	منه المطامع ترى
فكيف تهوى إليها	وأنت أرفع قدرا
تصبو لها من قديم	وما صبوت لآخرى
يدب فيك هواها	فيملأ القلب سحرا
فكيف تبعد عنها	وقد جهلت المقررا
وأنت صب عليل	من حبها لست تبرا
فت فؤادى انى	وجدت عيشى مرا
نشدتك الله نفسا	عاشت على الضيم بكرا

### ويك قلبى

ويك قلبى متى أراك صؤولا      بعد ان كنت مستكينا عليلا  
عاندتك الاقدار بعد التصاقى      ورواك الهوى فصبرا جيلا

قد ضللت السبيل طوما وما كنه	ت قديما تضل ذاك السبيلا
قد أطلت المقام في دار ذل	كيف ترضى المقام فيها طويلا
غرك الحب وهورق كذوب	فتصبر اتى وددت الرجلا
كيف تنسى وقد خلقت أيا	أن للمجد صولة لن تزولا
نحن نأبى يا قلب تلك الدنايا	فكفانا في الحب قالا وقلا
نحن قوم على العلاء فطرنا	لا تكن للعلاء ذاك المزيلا
أنت أولى بالانتصار اذا ما	جرد الحب سيفه المسلولا
ليس عاراً اذا قضيت شرفا	انما العار أن تميش ذليلا

### الشفق

أنت دمع النهار في صفحة الكو	نبحى في الليل سراً خفياً
أنت دار الأسى وقد ما وجدنا	فيك للشعر مهبطاً أبديا
أنت كنز للحب أودع فيه	حلك الشعر حبه العذريا
صامت أنت تسمع الظير في الرو	ض يغنى للنيل لحناً شجيا
يسمع الليل حين تبدو أنينا	لنهار قضى حزناً شقيا
أنا أبكى وأنت تبكى وقد ما	قد بكينا هذا الغرام سويا
يست تبكى الوجود والناس لكن	أنت تبكى خلف النخيل عليا



## الطائر السجين

طائر فوق النصوص خاشع الطرف الليل  
هو في سجن الشجون لا يرى عنه بديل

كلما هز الفرام منه شوقا للحبيب  
جاءه طيف السقام يقرع القلب الكئيب

قام في الليل البهيم يملأ الليل نواح  
هو والحب الظلوم ريشة بين الرياح

ان شدا بين الحقول هب في الروض النسيم  
ومضى فوق التلول يحمل الذكر الأليم

صوته ، والدمع يجرى حائراً فوق الحدود  
فاضحا لليل سرى ، بعض أنات الوجود

عله ، لما استردا أمل القلب وطارا ،  
شبح الهجر تبدا ساعة ثم توارى

خلته رمز غرامى لابساً ثوب الظلام  
نابشاً قبر سقامى صائحاً أين المنام

طائر المشاق ، صبراً إن نأى عنك المرام  
قد بلوت الناس طراً فعلى الحب السلام

تم على الفصن وغن واهتك السر الدفين  
ردد الاحزان عني يا صدى القلب الحزين

## عرش الحداد

اني بنيت لمن أحب وللهوى عرش الحداد  
عرشا قوائمه الهموم وتاجه شوك القتاد  
والسمع فيض نواله يجرى على جثث المباد  
والياس كوكبه المضي لثاته حران صادي  
من أمه مسترحا أصمت حشاشته الموادي  
كالليل مسود الجوا نخ لا يمن لذي سهاد



هذا هو المرش الذي حطته هذا فؤادي

## استعطاف

حييتي نحن قوم لا نغيرم . صرف الزمان فان مادام صبروا  
حاشوا على الضيم أحراراً غطارفة . سباز ان ملكوا الدنيا أو افتقروا  
لا يأبهون لذي بطش يناوئهم . ينشئ ديارم والليل مبتكر  
يحمون عرضهم في كل ملحمة . ما خاتمهم في التزال القلب والبصر  
المجد رائدهم والصدق شيتهم . والحب غنهم يحلو به العمر  
فكيف تنقض عهداً في محبتكم . وكيف نرض عن حبا قدر  
والحب ان هاجه بعد ووجدة . فانه النار لا تبقى ولا تذر

حييتى والأسمى فى القلب مكتمن	يفشيه دمع على الخدين ينهمر
انى وربك لا أسلو الهوى أبداً	وكيف أسلو ومالى عنك مصطبر
ان تنكرى سهد عيني فى الغرام اذا	جن الظلام فعد الانجم الخبر
ان كنت أنظم فيك الشعر مرتجلا	فذاك وحى فؤادى جاء يعتذر
اليك أرسل آياتى التى نطقت	عما تكتنه الآمال والفكر
لا تأخذينى بأقوال الوشاة ولى	قلب يحبك ما فى صفوه كدر
قلب ترامت به الأشجان تسليه	صفاء وبه الآمال تحتضر
لو كنت أركب أهوال الحياة لكم	ففى غرام الغوائى يركب الخطر
قد كان لى أمل فى العيش مكتمل	أودى به الهجر والتبريح والذكر
جودى بعفوى سيد الروح فى جسدى	بعد المات فنك العفو ينتظر

## صورة من صور الليل

### الروم التاكل

وقفت تبكى وما من سامع	غير آذان الظلام الأقم
لا ترى فى خمة الليل اذا	نظرت ، غير قبور جثم
تصدع الظلماء منها صرخة	خرجت من قلبها المنهدم
تقرع الصدر وفى القلب أسمى	شق ذاك القلب شق الجلم
تلطم الوجه بكف أسود	وتناجى جثة المحترم
واذا ما صرخت جاوبها	من فم الأقدار صوت المدم
هى والاقدار تجرى حولها	جثة فى موجهها المتلطم

يا رجاى الشعر قوموا وانظروا	صورة للبائس المهزم
تلك أم أودعت مكرهة	طلقها المحبوب جوف الرجم
وجئت تبكى على جسثه	ودموع الموت لم تنسجم
خففوا الوطأ لئلا تزعجوا	شبح اليأس وطيف الالم
تحت هذا التراب نامت أنفـس	فى خبوت من عظام ودم
فانظروا مقبرة فى طيها	يرقد المبصر فى جنب العمى
واسموا من بابها موعظة	واعبدوا فيها جلال القدم

### زفرات الشباب

يراجع قلبى بشه كلما دنا	خيالك فى ليل تنيب كواكبه
وما ارحق الطيف الزيادة بعدما	أعل فؤادا كاد يندك جانبه
دنا غير هيب وراح محملا	من العين دمعاً لا تجف سواكبه
وطالنى منه الرجاء هنيهة	فلما مضى مات الرجاء وصاحبه
ولا أنا أسلو فى الهوى من أحبه	ولا يرحم القلب المدنف سالبه
ظهوراً ترى وجهى بشوشاً وتارة	يطوف على وجهى من الهم راسبه
وما زلت أستنشى الرياح لطنى	أشم شذا من هاجر لا أقربه
نأى عن ديارى بعد أن خلفت الاسى	لقبلى وهل يحنو على القلب فاصبه
فهل رحمة فى القلب يطق بردها	أوار فؤاد حطمت مصائبه
فؤاد اذا التأت الصديق رأيتـه	يسابق وفد الريح شتى مصائبه
يقيم على عهد الوفاء حياته	ويزور عن دار النواية جانبه

رما المهورى من قبل أن يعرف المهورى  
فأرخص دمعاً كان بالابس غالباً  
وبأأيها البيت الذى فيه ظلاله  
لقد كنت مأنوس الديار فما الذى  
عداك الأولى صانوك من نكبة البلى  
سقاك ملث الودق فى كل ساعة  
أرى كوكب الآمال يبعد نوره  
وأصبحت مقطوع الرجاء فتارة  
وما سهمت فى العيشن الا مصابه  
تقربت أهل الأرض فى كل بلدة  
أبث له ما حفر الحب فى الحشا  
فيا قلب صبراً فالحقائق مرة  
ويامن يرى فى العيش أمنا وراحة

فمزقه والحب كثر نوائبه  
وقام به صوت الإبهاء يمايه  
رييت وكم حنت الى ملاعبه  
رماك به دهر تدب عقارب  
فن فيك القاه ومن ذا أخاطبه  
وحياك وحى الشعر يرض كواحه  
وليل الاسى والمم تدنو غياهبه  
يفالبنى دهرى وطورا أقالبه  
ولا أنا أرجو اليوم ما أنا طالبه  
فلم أرين الناس خلصا أصحابه  
ورثق من صفو تداعت جوانبه  
ويا نفس ليس الحب قرنا أحاربه  
هنيئا لك الكس الذى أنت شاربه

### اعتذار

أرسل الشاعر هذه القصيدة من الاسكندرية الى صديق له فى مصر  
يتنر عن تأخير الخطابات

يا حافظا للسود فى غيتى  
أنت الذى علمت قلبى الوفا  
ذلت لى الصعب فلم أبثس  
هل لك أن تصفع من هفوتى  
وكنت لى عوناً على كرتى  
يوما ، وكنت النور فى الظلمة

كم ليلة قضيتها ساهراً  
أخالني والهم لا ينثنى  
أو جثة القى بها نحسها  
أبت لليل هوى باطنا  
وطيفك المحبوب لى صاحب  
يشير فى النفس بقايا القوى  
وكنت مثلى ذا هوى خالد  
تحمل من نار الهوى جرة  
وكم تشاكينا الهوى فى الدجى  
نسير والألام فى أثرنا  
حتى اذا ولت جيوش الدجى  
نود للدار على بعدها  
نغالب الدهر على أمره  
يا صاحبي اتى أخوك الذى  
لم أنس أياما لنا حلوة  
كانها والسعد من حولها  
أو نعمة الرحمن حفت بها  
وهل أغض الطرف عن صاحبي

فوق فراش الحزن والحسرة  
عنى، غريب الأهل والجيرة  
فى لجة الآلام والوحدة  
وأدمى تهمل من مقلتي  
يحجب طيف المهجر والقسوة  
ويرجع المفقود من عزتي  
عشت أسير القد والنظرة  
يا ويحها للنفس من جـرة  
وليس غير اليأس من منعت  
وتتبع العبـرة بالعبـرة  
والعبر مثل الشيب فى اللمة  
بعد اللثيا يا أخى واللى  
فى حبنا والدهر ذو مرة  
ما زال ذا عهد وذا ذمة  
لهفى على أيامنا الحلوة  
أنعام ييـض الحور فى الجنة  
ملائك الرضوان والرحمة  
وأنت من قوى ومن أسرتى



هنا اذا ما كنت فى زهـة      أخالني أـرح فى ضيعتي

أَمْشِي الهَوِينَا ضَاكًا لَاعِبًا      وَأَعْبِدُ الرَّحْمَنَ فِي عَزَلِي  
وَالْبَحْرَ بِرَغَى مُزِيدًا هَائِلًا      كَضَيْغَمٍ مَمَّ إِلَى وَثْبَةٍ  
وَالْقَلْبَ فِي أَمْنٍ وَفِي رَاحَةٍ      يَا خَيْرَ مَنْ يَصْفَحُ عَنْ هَفْوِي

## الجرح الاول

حَيَاةٌ حَلَوَهَا مَرٌّ      وَقَلْبٌ خَانَهُ الصَّبْرُ  
وَنَفْسٌ فِي يَدِ الْاَوْجَا      عَ لَانِ لِبُؤْسِهَا الصَّخْرُ  
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ      وَفِيهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ  
فَلَمْ أَرِ فِي الْوَرَى خُلَا      يَشْدُ بِمِثْلِهِ الْأَزْرُ  
وَكَيْفَ يَلْذُ لِي عَيْشٌ      وَلِي خَصْمٌ هُوَ الدَّهْرُ  
يَفْلُ حَدِيدًا بَادِرًا      وَلَيْسَ لِقَمْعِهِ عَذْرُ  
وَهَلْ تَصْفُو مِشَارِعَهُ      وَيَصْحَبُ غِيَبَهُ الْيَسْرُ  
وَتَحْتَ رَدَائِهِ احْتَجَبَتْ      يَدِي فِي كَفِّهَا الْقَدْرُ  
فَيْنِ النَّفْسِ مِنْ قَدَمٍ      وَيَيْنِ طَلَابِهِ وَتَرْ  
أَرَى الْاَيَّامَ مَظْلَمَةً      يَتِيهِ بِلِيلِهَا الْحَرُّ  
فَلَا مَ<sup>(١)</sup> وَلَا عَزْمَ      وَلَا نَعْيَ وَلَا أَمْرَ  
عَوَاصِفَ هَمَّةٍ سَكَنْتَ      حَوَاهَا الْبَرُّ وَالْبَحْرُ  
أَيَّامَلُ قَلْبٍ مَبْتَلَسٌ      وَأَيَّامُ الْهَوَى غَيْرُ  
وَيَمْشِي فِي جَوَانِحِهِ      زَفِيرُ دَهْوِهِ جَمْرُ

يظل الليل مرتجفا	وما في قلبه ذعر
كمزؤود نروعه	ليال ما لها جفر
وأيام مضت عنا	وليس لطيها نشر
مضت عنا بروقها	وولى خلقها العمر
وهيفاء اذا خطرت	مشى في أثرها الكبير
هضيم الكشح فائتة	كان حديثها سحر
وأثمتها وتلثنى	وفوق رؤسنا الطهر
نأت عنى فلا عجب	اذا ما هاجنى للذكر
ومالج خيالها سحراً	وآنس وحدتى الشعر
رمت أبدي النوى ظلماً	فؤاداً غصنه نضر
الا في ذمة الرحمة	ن نفس حرة بكر

### كما تشائين

كان ذاك الغرام سهلاً وصعباً	وجفاء من غير ذنب وقرباً
كلما رمت هجرها واصلتني	وأذا رمت وصلها تقأني
أنت خاتمة ولكن قلبي	لم أجد مثله على الصب قلباً
فإذا شئت كان حبي سلماً	وإذا شئت كان حبي حرباً

### عشنا تبكى

أنت كالطائر تشدو كلما	هتف للتذكار بالقلب الكتوم
عشنا تبكى على المهد القديم	لا يبيد الدمع أيام النعيم



حطمت صبرك غارات النوى      ودعاك الهجر للذكر الأليم  
كلما أرسلت أنات الهوى      سكنت في هجمة الليل البهيم  
نسر الليل وترجو غفوة      أيتام الليل مولود الموم

## ليلة

وليلة حائرة النجم      قد هذ فيها اليأس من عزى  
قضيتها والدمع لى مدد      فكانه ثوب على جسمى  
وكان قلبى كلما هممت      عيني ، خضم موجه همى  
قد نحت فيها لا أرى عضدا      نوح اليتيم يصبح يا أحمى

## مولود الموم

أكان الهوى الا الدموع سوابق      على الخد والثيران بين الأصابع  
وبأس وآلام ووجد ولوعة      وشوق الى وجه الحبيب المخاضع  
لقد كان لى فيمن أحب مطامع      فأخذ مجدى نار تلك المطامع  
ولكننى ما زلت أعبد حسنها      واذكره إن مر سرب السواجع  
تفقت ثوب الليل والليل صامت      فمارعنى هوج الرياح الزطزع  
ولا هالى دمع السحاب وقد سقى      وأحيى موات الزرع سيل مدامسى  
أرى أننى فى الحب أرى ملامتى      واممع ما لا ترتضيه مسامسى  
وأجزع من صرف الزمان وغدره      وما كنت تلقاه المخطوب بمجازع  
وأرقب فى جوف الليالى نجومها      وأعجب من تلك الميون المواجع

وما السهد يدنى من تنأى خيالها      ولا الدمع في شرع الغرام بشافع  
ولا أنا أرض الوصل وهو بليتي      ولا الهجر والهجران فيه فواجبي  
على طفل اليأس والبؤس والشقا      ومولود هاتيك المومم القواطع

## أنا وهي

ممارسة قصيدة البارودى ( هو البين حتى لا سلام ولا رد )

سلام عليها لا لقاء ولا ود      ولا دمة في العين يدفعها الوجد  
يمز على قسى الأية أنها      ترق لمن أضحت وليس لها عهد  
أظل أسير الحب أرعى عهوده      كان الهوى سيف وقلبي له غمد  
الى أن أرى طيف الخيانة جانما      وراء الهوى يرنو الى فأتردد  
وأرجع مكوم الحشى يستغزنى      الى الهجر مجد لا يعادله مجد  
أصكم ألاما اذا ما تدفقت      على الناس تغدو والقضاء لها وفد  
ويسمع منى الليل صوتا اذا دوى      تهزعت الموتى وجاوبها الرعد  
وأغدو ولى نفس اذارامها الهوى      تثور ، ولى قلب هو الهجر الصلد  
وليس الهوى الا المحامد والعلى      فأوله جد وآخره جد  
فان عبثت بالحب هيفاء كاعب      فليس لنا عن كتم نيرانه بد  
نميش فلا نحتاجنا الشوق والجوى      سواء لدينا القرب فى الحب والبعد  
تمير فى انى نكثت عهودها      وما النكت الاشيمة النيد يا هند  
تريدن أن أقضى بدارك ساعة      تحاربني فيها لجأظلك والقعد

ولكننى آليت أن لا أزورها  
 اما ويعين الحر والله شاهد  
 فلا تحسبى أنى أميل مع الهوى  
 تولى زمان كنت فيه أها هوى  
 أ كفكف من دمعى سوابقه التى  
 أحلّ أشواقى الرياح ظهفاً  
 كأنى غريق والظلام كأنه  
 وكنت اذا لافيتها بعد فرقة  
 ألف على خصر الحبيبة ساعدى  
 مضى ذلك العهد القديم وما انقضت  
 ويا قلب لا تجزع فالدهر صولة  
 ويا ابنى قروى وقد جد جدكم  
 تألى على فصل المكروم بعد ما  
 ذروه الى العلياء يرقى سمائها

وان كان فيها السعد يعقبها السعد  
 لقد لقي الشوق المبرح والصد  
 وأرخى عنانى للدموع التى تبدو  
 أناجى نجوم الليل والليل مسود  
 روح أسمى فى صفحة الخدا وتغدو  
 اليك فتدريها الرياح التى تمدو  
 خضم وأقاسى هى الجزر والمد  
 تجرعت فيها اليأس ليس له حد  
 وألتمها والخذ يلسمه الخد  
 مطالب حب ليس يحصرها عد  
 وما أنت يا قلبي جبان ولا وعد  
 اليكم فى ان خانة الدهر يشتد  
 تقاعس عنها يوم قامت به هند  
 فقد ردت الأقدار من غيب الوجد

## حياة الخاطر

يا حية تساب فى خاطرى  
 رميت بى فى هوة لم تكن  
 جعلت مجدى طعمة للهوى  
 عادت من أجلك كل الورى

هدمت صبر الأسد الصابر  
 من قبل داراً للفتى الشاعر  
 دعى سبيل المجد للعابر  
 فمن ترى بين الورى ناصرى

وهل أرى نور الهدى بعد ما  
 عصيت في حبك ييـض المني  
 يابـثرة الآمال ماذا الذي  
 وأنت تـبـر والمني جـثة  
 وأنت ياقلب اما ترعى  
 قد غرك الحسن وفيه الردى  
 والحسن ان أودى به أهله  
 قد كنت مهجوراً فكـن هاجراً  
 لا تبتسـس واخـلع لباس الهوى  
 أطفأت نور الحق في ناظرى  
 طوما لحب غادر جائر  
 أرجو غداً من حظى العائر  
 غسلها من دهمى الحائر  
 ولست قلب الفاجـر الداعر  
 اذ ليس خافى الحسن كالظاهر  
 ينفذ قذى في مقلة الناظر  
 فلتنصر والاسعاد للهاجر  
 والبس رداء الأمل الناصر

## أنت ١١

أنت . أنت التى سرت فى عروقي  
 نظرة منك قد أسرت بها القـلـب  
 نظرة منك اقت الرعب فيه  
 وابتسام من فيك يشرق بالسهـب  
 ليس هذا الا طلاء تولى  
 عوفتك القلوب بالجود لكن  
 ما صفا قلبك الخلى ولكن  
 أنت أظهرت لى الوفاء واتى  
 قانعى عنك ذا القناع ليبدو  
 منك يوم اللقاء خر جـالك  
 ب فانت له صباب وصـالك  
 رعب حب يقوده للمهالك  
 يد لقلب صبا وعذب مقالـك  
 مسحه للعيون طول مـلالـك  
 لم أتل منك غير نار مطالـك  
 ظي الواله السقيم صـالـك  
 لم أجـد فيك ما يعز ذلك  
 لبى الحب ما خفى من فـعالـك

حاربتني منك الحياة والغد      ر لعمري اني صريع نزالك  
غير أنى عقدت الوية النصر      ر فكان الهجران يوم قتالك  
شيمتى العفو للذى خان عهدى      وكثير من حالهم مثل حالك

## ليلى طويل

ليلى طويل ما له آخر      يعم قلبى بحره الزاخر  
ومقلتى ترعى نجوم السما      ينهل منها دممى الحائر  
أأ كنتم الوجد الذى هاجه      منها ابتسام حسنه جائر  
إن أنشدت يصنعى اليها الهوى      كأنها فى روضه طائر  
فم هو النبع الذى يستقى      منه الهوى والشعر والخاطر  
تصدنى عنها فلا أنثنى      وقد رمانى لحظها القائر  
فإن لست من عاش فى حبها      عبداً فانى للهوى ذاكر  
نصيبى الهجران فى حبها      ياشد ما يلقى الفتى الشاعر

## حياتى

حياتى هى الحب والحب دينى      وللعب قضيت عمرى شقيا  
أمانى فى الحب شيء كثير      وما نلت يا قوم فى الحب شيا  
عذابى كبير ولولا عذابى      لا كنت صباً عفيفاً تقيا  
ولى فى الهوى عفة لا تجارى      وقس ترى الموت حلوا هنيا  
فقيم الملامة يا من يلوم      ولولا الغرام لما كنت حيا

## ارجوحة اللاعب

أشكوا الهوى للأمل الخائب يا ويحه للنفس من صاحب  
كأننى بين الهوى والمنى يوم النوى ارجوحة اللاعب

## هلتي

أهدنى الى الدمع المتون والى التهد والانيث  
والى الزفير وناره والى التهلل والحسين  
والى الشهيق وصرخة الـ مفجوع والقلب الحزين  
ماكنت اكتم فى الهوى وأذوق فى ظل السكون

## الريح

لملك ، والآمال حيرى كليمه ، لسان الاسى فى الليل يهتك اسرارى  
لملك صوت النيب أو صبيحة الهوى ترددها الاقدار ، أو وحى أشعارى

## أحن الى الاوجاع

خللى ما الهجران شيمه معشر بنيت على آمالهم صرح آمالى  
وأودعهم سرى الذى كان قبلهم دفينا كأنى كنت ذاك الفتى الخالئ  
وشاطرهم فى العيش لذته التى تقضت كعلم ر فى صفحة البال  
هنا أشرب الكاس التى خالط الانى سلاقها بالدمع نم عن الحال  
أحن الى الاوجاع طوبى وانما يحن الى الاوجاع فى الحب امثالى

## الظبي النافر

مال عني ومضى غاضبا ظلي القضا  
لم اطلق حبس دموعي يوم ولى معرضا  
تأولة يرضى وطور را التقيته مبغضا  
كان لا يألف غ يري ماله قد اعرضا  
لائمي واللوم حـق انما الحب بقضا  
لم اجد غير حيد بي عن حبيبي عوضا  
فاتحتم ياقلب ان في لست اشكو مفضا  
ليته لو كنت اذ نبت تنامي ما مضى  
وأنا في باسمي شيقا متفرضا  
وارتني بين ذرا عني حيا بالرضى

## أخاف

أخاف الشمس توقظ في فؤادي عرامة ذلك الرجل العنيد  
أخاف البدر في الظلمات ينثى لذيذ النوم عن عين العبيد  
أخاف الحب ان الحب داء يفل القلب صينج من الحديد  
أخاف الود والاصحاب اني اعاف الرى من غمر العبيد  
أخاف النفس أن ترضى يخل اذا ناديتها يا نفس جودي  
أخاف السعد والبؤساء حولي يسامون العذاب من السعيد  
أخاف من الوحود وما حوام وما سوف أقفل في الوجود

## أنا وأنت

بالقلب من جفنيك سهم      وبه من الهجران سقم  
هذه ابتسامات الحياة      لها على خديك وسم  
أنا للهوى ذوهمة      ونفسيره أسمى أصم  
وسهرت ليلى والجنات      ن بنير ذكرك لا يلم  
وكتمت أمري في الهوى      والدمع عن حالي ينم  
والشاعر المطبوع من      مطبوعه سقم وهم  
ثم الوصل لنفسيه      وله وصالك لا يتم

— أمالة —

الشاعر يخاطب إمامه

إمامه قوى واسمى      إمامه مالك لا تجبى  
أرأيت دمع محجى      وصمت يا أمى نجى  
هل راع قلبك ما لقي      ت من النوائب والكروب  
إن الوجود صحيفة      ملأى بأسرار القلوب  
خلفتى لهم في      له وللشدائد والخطوب

إمامه انى قد طرق      ت حماك في اليوم العصيب  
أبكى على سعدى كما      يبكى التريب على التريب



يمضي الصباح ولست أعد      لم منه امرار الغروب  
بئس الحياة إذا جها      ناكته ذا الكون العجيب  
إن المصائب وريشة      تلهو باوتار القلوب  
أقنى النرام تجلدى      وقعت فى أهلى طيبي  
هذا جناه إني عا      وما جنيت على حبيب

### نفثة مصدور

قلبي ترامت به الشجون      والدمع فاضت به العيون  
هوى بي اليأس من غراى      وعدة اليأس الزفير  
والليل لا ينجلي بصبح      والنوم عن مقلتي تهور  
يا حبذا الموت من صديق      فى حبه صادق أمين

..

لا يخفق القلب فى حماه      ولا ترى العين من هويت  
وينقضى الهجر والمذاب      واليأس والشوق والهيام  
وترقد النفس فى ظلام      يحىء من بدمه ظلام  
هذا هو السعد يرافق      ياليتنى فى غد أموت

..

أموت فى زهرة الشباب      كالنصن أودت به السموم  
وهل يعيش الفتى إذا ما      لم يبق فى حبه رجاء  
والمرء إن خاته هواه      فيشه والردى سواء

والزهر في عينه قتاد والشمس في عينه غيوم

...

وليل الروض ان تنفي والناس في دورم رقود  
يخاله اليوم صراخات وخلقا السهد والندوع  
والسعد عن نفسه بيد والدمع في خده نجيع  
والنار في قلبه تاطي وقلبه ان خبت وقود

...

في ذمة الله نفس جر عاشت على الضيم لانهان  
ماراقها في الحياة عيش ولا رعى صدها صديق  
رأت خيار الوري ذئابا يقودها النذر والعقوق  
أودى بها الهجر والزمان لملها في اثرى تصان

### يا قصر الهاجر

تضم في الاحشاء شخص الذي ذرفت دمع العين في حبه  
باقة قل لي يا مقر الهوى هل يسأل المحبوب عن صبه  
يا قصر خبرني وكن صادقا عن سر ما يخطر في لبه  
أثار جربا هولها ظاهرا والقلب لا يسلم من حربه  
يا قصر لا أعلم ماذا جرى حتى أطلت اليوم في حجه  
ما زال قلبي هائلا مدققا مسترعا يبحث عن ذنبه  
يكنى هواه ناسيا أهله وقومه والحز من صحبه  
يا قصر كن خير رسول لمن أصبح عز القلب في قومه

عليك من هجرانه مسحة      يعرفها المنكوب في حبه  
لا حاقك المكروه في قربه      ولا رماك الدهر من صعبه  
يامن غدا الصمت له عادة      قلبي يزيد الصمت في كربه  
فكن كريما اننى صابر      فالجود كل الجود من ربه

### دمع الشفق

فوق خدود الظلمة      تبدو دموع الشفق  
قد حملوها لوعتي      وباعشات الارق  
أروني اليها شاكيا      فعل النوى بالجسد  
مسترحما مستجديا      بقيه للجسد  
كانها فوق الربى      طيف الاسبى والسقم  
يخط في سفر الصبا      ما في الحشا من ألم  
والشعر في أحزانه      يسكب كأس الأمل  
يحمل في أكفانه      غوامض المستقبل  
ابسه في وحدتي      انات قلب منرم  
يشكو له هجر التي      يوم اللقا لم ترحم



# الكتاب الثاني

---

الوجيز

مقالات من البعير المشهور



## عودة الموجهة

فى مثل هذا اليوم من العام الماضى وقفت أمام هذه الأمواج  
المضطربة أشيعها باقمامى الحارة ودموعى المهمة

وقفت أمامها وقفة العاشق الذى استوجد الوجد ضلوعه وبرى  
الشوق عظمه وأودعتها رسالتى التى كتبته أقلام الصبر بمداد الدموع .

أودعتها الرسالة وأنا أترنج كالشارب التمل يقعد بى اليأس ويدفعنى  
الرجاء والأمل . وما ألقطرات الأمل الباردة على نيران النفس الهائجة !

تركت الشاطئء بعد أن غادرته تلك الموجهة الشائخة وكلى حنين  
لتلك الديار النائية وذلك المش الساكن الذى كنت آوى اليه مع  
عصفورنى الهادئة الجميلة

هناك كانت تكلأنا عين الحب ونحرسنا يد العفة والطهارة وهناك  
شربت مع من أحب كأساً لا أنسى لذتها الى الأبد . مكثت سنة وأنا  
تواق للاحبة أنتظر رد الرسالة وقد ظلمات نفسى للقائهم واحتاجنى  
الشوق اليهم ، ولكنى وطنت نفسى على الصبر وتجلدت على مضض الحنن  
الى أن مضى العام ودنا يوم اللقا فذهبت بالامس للشاطئ عند غروب  
الشمس فى المكان المين وانتظرت الموجهة وأنا كالريشة فى مهب الريح  
ورأسى كالضباب الأسود يلعب فيه برق الأمل ثم ينطفئ

وما لبثت برهة حتى رأيت الموجة كالطود الشامخ يهزها الريح  
فتضطرب وترغى وتربد

عرفت الموجة من بين اخواتها فهلمت نفسى لمراها ووقفت  
كالمصعوق لا أبدي حراكا

رأيتها تدنو فدنوت اليها ومددت يدي كالسائل المحروم فأذا بي أقرأ  
على صحيفة وجهها سطرأ كتبت به يد النسيان الناعمة وسجته غلاب اليأس  
فرجت خطوتين الى الوراء وهويت يحسنى على الرمل وصرخت  
صرخة تراجعت أمامها الامواج  
ومكثت برهة وأنا لا أعي شيئا ..

لقد انطلقاً ذلك السراج الوهاج سراج غرامي . لقد بادت تلك  
الاحلام التي رافقتها أحلامي . لقد أسدل النسيان ستارة على ماضى  
هيامي .. وهى .. هى الآن تعيش سعيدة مع سواى تشاطره هناك  
الحياة وتذوق منه أفلاويق الحب والسعادة

لهنأ ذلك القلب الوديع بطيبات هذه الحياة وليجد مع من أحله  
فى سويدائه يرد السرور ولذة النبطة والهناء

أما أنا فأسأبقى لهيف القلب كاسف الوجه أقترش الهم وأتوسد القلق  
وأئن تجمعت غصص الكرب وعالجت برحاء الاسبى فأسأبقى على عهد  
الوفاء لا تمنحى من غيائى صحيفة الذكرى حتى الموت

مكثت أمام الموجة مدة طويلة وأنا حائر الطرف مدله المقل  
مستطار القواد وما لبثت أن عرفت أصواتا أعرفها تنادىنى . هؤلاء هم



رقصة من المصطافين مثلي كنت في غنى عن لقائهم في تلك الساعة .  
نادوني وأعادوا النداء ولكنني ابتعدت عنهم وأنا أسير على غير هدى حتى  
وصلت الى بقعة لا أرى فيها الا رمالا صفراء وسماء زرقاء .

هناك جلستُ على الرمل وأسندتُ رأسي يدي وبكيت . وما  
زالت تسح جفوني بدموعها الماطلة وأنا أئن أئن الشكلى الى أن  
اتتصف الليل .

(رأس البر ١١ أغسطس سنة ١٩١٦)

## متى أنساها

هي معي في كل مكان . في كل جزء من أجزاء فكري الملتهب ،  
في كل ذرة من خرات قلبي الممزق ، في كل نهر من أنهار دمي المرسل .  
مازلت أراها تمدو خلقي وقد ساقها القدر المحتوم ، مازلت أشعر  
بنراعيها تطوق عنقي ، وقبلها تحرق جلدي ، وبأنفاسها الحارة توقف  
في القلب شيطان الحب الرجيم .

هي معي في كل مكان . أراها في الليل وقد ران الكرى على  
جفوني فأقوم من الفراش مذعوراً ، وأراها في الفجر وقد تفتحت عيون  
الكائنات لتقدم الضياء فأرجع لبيتي مقهوراً ، وأراها في الصباح تبخر

بين أشعة الشمس الزاهرة فأحس بحرارة الوجد تتمشى في أنحائي ،  
وبشظايا الحجر تلهب في أحشائي

هي ممى في كل مكان . أئنم أرجها مع نسيم السحر ، وأسمع صوتها  
مع أناشيد الطيور الصادحة على أفنان الشجر ، وأرى وجهها في صفحة  
الجدول المذب الذى ينقع الظمان منه غلته ، وفي مرآة السماء الصافية  
التي ينبعث منها للشاعر وحى الشعر تكلال رأسه زهور الابدية

هي ممى في كل مكان . متى أنزع عن وجهى قناع حبها السكثيف ؟  
متى لا ترى عيناي شبح غدرها الخفيف ؟ متى تسكن في زوايا قلبي حاصفة  
الحب والمهيام ؟ متى لا أسمع من نفسى أنين الوجد والسقام ؟ متى ألمح في  
سما حياتي برق الأمل الصادق ؟ متى أزيل من طريقي الموانع  
والعوائق ؟ متى تلبثق من حدائق نفسى زهور الحقائق ؟

هي ممى في كل مكان . ان طرت في الجو رأيتها بين طيات ضبابه  
الاسود ، وان غصت في جوف الماء لاقيتها في قاعه العميق ، وإن  
تبخرت في الهواء إستشقتنى لأسمع دقات قلبها الخثون . وإن سكنت  
القبور أتت لتضع أشواك اليأس على قم القبور . هي ممى في النسيم  
والشقاء في اليقظة والنوم ، في الوحدة والسكون ، في الحياة والموت .  
هي ممى في كل مكان .

( نشوه ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٦ )

## الماضي<sup>(١)</sup>

« ما الماضي الاقلب ثان يحقق بين الجوانح »  
« هنري باتاي »

الانسان سائح أعشى يمشى على غير هدى تقوده الأنانية في الحياة .  
فان استأنس من نفسه القوة والبأس داس في مشيته بمجذاته الضخم الآفا  
من الضمفاء . وإن خارت عزيمته دون إدراك غايته وأستشعر بالضعف  
يمشى في أنحائه اتخذ لنفسه الحيلة وتحنى عن حذاء القوى ليكيد له  
خفية ويمكر به علانية حتى إذا سئمت له القرصة دفع به من قمة العز  
والغنى الى هاوية الذلل والفقر وأصبح بعده قويا ذا مرة يدوس بمجذاته  
الجديد من شاطره البؤس والشقاء أيام تملسته

والحب جزء من الطهارة منتشر في الهواء يسكن يثثة من الوجود  
خصيصة به فاذا مر بها الانسان ولا مندوحة له عن ذلك واستنشق فيها  
عبير الحب وتفتحت عيناه بأصابع الحب النارية ورأى نور القضيلة ساطعا  
يبهر بصره بخلع غنسه رداء الرذيلة وعاش دهرآ شريف النفس طاهر

---

(١) هذه المقالة فاتحة مقالات عنوانها حديث غرام كان المؤلف يرغب

أن يشتمها فلم يفعل . ولم تظهر غير هذه القطعة وعنوانها الماضي

القلب ثم لا يلبث أن يقطع تلك البيئة الطاهرة ويدخل في ظلمات الحياة ينهش فيها الطمع قلبه النقي ويمزق الفساد لحمه الناعم ناسياً ذلك النور الساطع الذي أضاء قلبه الأسود حيناً من الدهر .

تلك حال سواد الناس لا يعبأون بماضيهم حلواً كان أو مرأى ينسون ما لا قوه فيه من ألم أصلى ضلوعهم وأرمرض جوانحهم . تمر أمامهم الحوادث وكلها عبر فكأنها ما مرت وكأن الحياة أمامهم دار لهو وطرب لا يذوقون فيها إلا اللذات أما الآلام فحرام أن تدخل قلوبهم والآلام هي من نعم الله على الناس لأنها الباعث الأكبر على المحبة والشفقة ومن طاش دون أن يتألم فوجوده عديم . وما أحلى هذه السويمات التي يقضيها الانسان في مكان منزّل لا يؤانسه فيه إلا سكون الطبيعة يقطعه من آونة لأخرى خرير المياه وزقزقة المصافير . هناك يتذكر الانسان ماضيه فتمر أمامه صور مختلفة منقوشة بريشة الذكرى على صحيفة روحه .

والماضي وإن عده الناس أحلاماً في أحلام فهو جزء من الحقيقة فكما أنك لا تبيش بدون طعام تأكله وماء تشربه وهواء تنفسه فأنت أيضاً في حاجة لتلك الساعات الساكنة التي تبتسم فيها للذكرى اذ الحياة كما قال شكسبير مصنوعة من أقشة الأحلام .

أكتب للناس هذه الحادثة الغرامية ولا أريد بذلك أن يقف كبيرم وصغيرم على أسرار قلب حزين لم ينبض غير عشرين ربيعاً ثم أسكتته يد التماسه فسكت ، ولكنى أود أن أعثر على تبتسم مثلى يسكت

معى على قبر هذا القلب الطاهر دموعه الحارة وتشاكى سواى نكبات  
الدهر .

( ٥ يناير سنة ١٩١٧ )

## الشاعر والليل

الشاعر — أيه أيها الليل الأتم ! أين مفتاح بابك الجهنى ؟ أود  
أن أنام فى فنائك الخيف متوسداً عتبتك الزرقاء التى بتها يد البؤس  
من دموع الايتام . هناك أسكب دموعى فتطير فى الفضاء شظايا تفىء  
الأفق الخالك .

الليل — قف أيها الشاعر فإنت إلا طفل ساذج . أنك ما زلت  
تبسم لنور الفجر وتضحك لبزوغ الشمس ، وترقص مع الجيوش  
المتنصرة . وتهزأ من ألحان البؤس التى تردها الشفاء الظامئة ، وتأف  
من أن تفسل جسمك المتهبب فى نهر الدموع .

الشاعر — أيه أيها الليل ! أين عباءتك السوداء تلتحف بها أفكلى  
المشتلة وتسير تحت لوائها الى قرار الهاوية . هناك أصرخ صرختى الهائلة  
أمام الأشلاء المبعثرة فبجفل النجوم فى القبة الزرقاء . وترتعد الشمس فى  
عرشها العلوى .

الليل — أيها الشاعر . حاشا لمن هو مثلى عميق القلب بعيد النور

أن يفسح لك في أتحائه طريقاً لا تنبت فيه غير الأشواك القاطعة لثدوسه  
بأقدامك الناعمة . أنى أخشى أن تعود من حيث أتيت وحرام على  
الحقيقة التى سكنت سويداء قلبي أن تراك خائباً حائراً تستعجى النور  
أشعته الزاهرة .

الشاعر — ايه أيها الليل ! أين جوادك الأدم أمتطيه ناهباً به سماء  
اللانهاية حيث أسمع أناشيد الآلهة ترددها ملائكة الرحمة فوق تلك  
الأفنان التى يرقص خيالها فى ضوء القمر .

الليل — ايه أيها الشاعر الحثرت ! ان قناعى الأسود لم تنسج خيوطه  
غير يد الآلام ، وان نفسى الحائرة لا تهدأ بعد أن هاجمها التطام الدماء  
بالدماء . وان عيني الساهرة لا تنام لأنها لا تقع إلا على ظل القبور  
الشاهقة حيث دفن البشر جثث الحب والامانة والوفاء .

الشاعر — ايه أيها الليل العميق ! دعنى أرتشف أفاء برك التى  
انصرفت عنها نفوس الناس . دعنى أنشد فى جوفك الصامت انشودنى  
تتناقلها الرياح من واد الى واد وتستحيل من أجلها رمال الصحراء ضباباً  
كثيفاً يكلل جبين السماء .

الليل — أنا ذلك النار الذى لم يصل بعد لنهايته انسان . إذا مشيت  
فيه قادتك اشباح الموتى واحاطت بك الاجلام المزحجة . على بابك كتب  
اليأس كلمته التى يرن صداها فى الفضاء وفى قاعه انبثقت شجرة التى  
ينفث نسيمها الملهب ممومه القاتلة .

الشاعر — وأنا ابنك أيها الليل ، لن أنفامى المسترة سكرى بأريج

أنفاسك الهائلة . فأين كأسك أجرع منها جرعتى الأولى والأخيرة .  
خذني الى أحضانك الشاسعة وضمني الى قلبك الصامت . أنزع من  
جسمي البالى تلك النفس الخالدة وأمزج عصيرها الطاهر بخمرك المسكر .  
الليل — أنا تلك الصحراء ذات الرمال اللينة . التى وسعت  
الأفكار الهائجة . التى غاصت فيها الشياطين المتمردة . والتى خيم عليها  
ضباب كثيف متلاطم حطم سراج الشمس الوهاج فانطفأت أمامه  
جذوتها المشتعلة .

الشاعر — وأنا بعضك أيها الليل أضحك من سلطان الطمع  
وأدوس بأقدامى شيطان الأثرة والأنانية . اليك قيثارتى التى أخذت  
عودها من أشجارك واليك روحى التى نجها من أنوار الحياة سوادك  
المنتشر .

الليل — أنا تلك السماء الخالية من الكواكب التى نبع فيها سيل  
الخيال مفرقا عقول الذين اصطفقتهم الأبدية ليحملوا على اكتافهم العريضة  
عرشها الثابت .

الشاعر — وأنا ذلك المولود الصغير الذى ألفت به أمه عند ذلك  
النبع المبارك فخله التيار الشديد وما زال يقذف به الى حيث تقف المطامع  
الانسانية وينبثق فجر الحقيقة .

الليل — تعال أيها الشاعر وضع فك الصغير على شفاهى الملتبئة  
لألقب فيه أنفاسى النارية فلتقطعها أحشاؤك الظامئة . خذ صبورى لى

وأمسك به في يدك تخضع لك سفينة الريح فتركها لتعدو خلفك الاغاثمة  
وتهرب أمامك القسوة .

الشاعر — أنت أيها الليل إله الرحمة وأنا لسانك الناطق . انت  
أنشودة الحب وأنا منشدها . انت سيف الحق وأنا شاهده الذي لا ينام .  
تعال معي نجول جولتنا لنهزم أمامنا جيوش الدماء التي أثار حربها  
نور الحياة .

( ٢٦ يناير سنة ١٩١٧ )

## حب البقاء

انظر للأوج الهائجة تملو وتهبط ، وانظر للسماء وقد لبست ردائها  
الأسود ، وأسمع زججرة البحر ترن في الفضاء كما يسمع المسافر في الصحراء  
زئير الليث وعواء الذئاب .

\*\*\*

ونفسى الثائرة تنظر للكون من وراء ضباب الألم . وعيناي  
الغائرتان يلعب فيهما نور غيف كما يلعب برق اليأس في ليل الهموم ، وتملو  
شفتاي ابتسامة السخرية .

\*\*\*

لا أبتمس لا بقسام الربيع ولا أبكي لدموع الشتاء ولا تهزني نشوة



الأمل ولا تخيفنى خاطرات اليأس وما قلبي الا قبر مظلم رقدت فيه  
عراس الأمانى تمر برؤوسها الخاوية أحلام الماضى .



تسير الناس امامى كأنها الأعيب تتحرك ، وادحمته للناس . هم  
ضحايا تنزاحم أمام مقصلة الطمع : فهم والانعام سواء ، وأنا ما زلت  
واقفا أمام البحر كالتمثال غير أنى أهتز من آونة الى أخرى كلما لاح فوق  
الامواج الغاصبة بخر الشباب .



اليوم يوم عصيب قامت فيه الرياح وقعدت ، وهددت وصرخت .  
فلزمت الغطاء الحدود تنظر من وراء السجف لثورة العناصر وتسمع من  
خلف الجدران دوى الرياح وقصف الرعود . ولكنى أرى أمامى خيال  
من أهوى شاحب اللون مسدل الشعور ماداً يديه الناحلتين يدعونى الى  
قرار البحر وهو يتسم وبرقص مع الاءواج .



علام أنا محجم عن لقائه ولا يبعدنى عنه غير شاطئ البحر ؟ علام  
لا يدفعنى اليه الشوق القديم والنار المتأججة بعد أن أسمعنى الامواج  
ألحان الموتى فطربت لها كما يطرب الغريب فى منغاه لالحان وطنه ترتلها  
المصافير على الاغصان عند الغروب .

حب البقاء آه . ما زلت ممسكا بتلايبه وان سكن اليأس قلبي  
وتعلك على نفسى . حب البقاء آه . هو علة الوجود ، هو اللذة التى لأجلها

تنبض القلوب . حب البقاء ! آه . لاجله تألم ولاجله نشق ولاجله  
لا نترك الحياة إلا مرغمين  
( ٦ ابريل سنة ١٩١٧ )

## حديث زهرة

— ١ —

ما أجمل الربيع الذى وُلدتُ فيه ، وما أجمل الشمس التى تبرغ فى  
الصباح فتملأ جسمى حرارة ، وما أجمل سلم القصر الكبير الذى  
نشأت فى حديقته أرى الناس تصعد اليه وهم ينظرون الى نظرة إعجاب  
وتارة يتسمون ابتسامة حلوة لذينة أرقص لها طرباً وأميل تيهاً ودلالاً .  
وإذا مشى رب الدار فى الحديقة يقف امامى ويعد يده الىَّ ثم تأخذه  
الشفقة على جمالى الثمان فيسير فى طريقه وهو يتسم . وما رب الدار الا  
رجل من سراء القوم وأغنيائهم منبع الحوزة عزيز الجانب قطع من الحياة  
مرحلة كبيرة ولكنه ما زال غص الآهات صبيح الوجه .

أنا بيضاء اللون جميلة الشكل تبلى قطرات الندى فى القبر وتمسنى  
أشعة الشمس فى الصباح وتولنى حرارتها فى منتصف النهار . وإذا مررت  
بالنسيم وقد مالت الشمس للغروب أشعر بلذة غريبة ويدب النعاس فى  
أجفانى فإذا أقبل الليل أنام نوماً هادئاً لطيفاً الى أن توقظنى قطرات

الندى وهى تتساقط على غلاتى البيضاء . أنا فى هذه الحديقة زهرة  
الحسن والجمال

— ٢ —

استيقظت فى فجر اليوم فوجدت أمامى شاباً وضئ الطلعة رقيق  
القشرة يترقق فى وجهه ماء الجمال يئن ويكى ويمشى فى الحديقة مشية  
الحائر اليائس ثم يعود الى ويقف أمامى وهو ساهى الطرف قلق الخاطر .  
مسكين أيها الشاب الجميل . ما الذى استوقد صدرك ومزق أحشاءك  
وعلام أنت متلهف القلب ناكس البصر ؟ ... ومن أنت ؟ ...  
لا تحيب أيها الشاب لقد عرفتك . أنت ابن رب الدار . أنت غنى ابن  
غنى وسرى ابن سرى ، تسكن القصر المنيف وتلبس الحرير وتنام على  
الدمقس فعلام تبكى وتنتحب ؟ ... ما الذى تقطعه أيها الشاب ...  
قف لا تتقدم ... لا تعد يلك الى . حرام أن تقطفنى وأنا فى ربيع العمر  
صبراً أيها الشاب انتظر .

ولكنه لم يأبه لقولى ، لقد مديده الى وقطع ساقى الجميل وصعدنى  
على السلم ثم دخل غرفته وهناك بلبنى بدموعه الحارة فامتزجت دموعه  
بقطرات الندى .

— ٣ —

ثم أشرقت الشمس فوضعتنى على صدره وغادرتنا الدار منأ وأنا لا  
أعلم الى أين يسوقنا القدر . ثم وصلنا لبناء كبير اجتزنا بابه ودخلنا فناءه  
وهناك سمعت صغيراً ورأيت دخاناً فعلمت أننا فى محلة كبيرة ومشى

الشاب على افريز المحطة وهو يحملني على صدره وكان ينظر تارة الى الارض وطورا الى السماء ويخرج ساعته من جيبه وينظر فيها ثم نشط من عماله ولم يستقبل شخصا لم تر عيني أجل منه .

وحدثت نظري في الشخص القادم فوجدته فتاة رقيقة ناعمة هيفاء القوام سمراء الوجه تلوح عليها ديباجة الحسن وينبعث من عينيها بريق المغاف والطور .

ثم تماثقا فشمرت باهيب تلك النار التي كانت تتأجج في صدرهما واقترقا خشية أن تحرقني تلك النار . وركبت الفتاة في عربة من عربات القطار فزعتني الشاب من صدره وأعطانى للفتاة وهو يقول ( اليك هديتي ، اليك زهرة الحب ، اليك نبع الذكرى والوفاء ) فأمسكت بي ووضعتني في صدرها .

ثم دق الحارس الناقوس وسمعتنا صغير القاطرة تتأهب للرحيل فسالته دموع الفتي والفتاة وتماثقا مرة أخرى ثم سار القطار بين المروج الخضراء .

كنت في حديقة القصر زهرة الحسن والجمال فأصبحت على صدر الفتاة زهرة الحب ونبع الذكرى والوفاء .

جلست الفتاة في غرفة من غرف العربية وهي تلمني وتضمني وتبلىني بدموعها ولم يكن في الغرفة سوانا فحدثتني الفتاة قائلة .  
( يا زهرة الحب ويا نبع الذكرى والوفاء . لقد حكم الدهر بيني وبين

من أحب لفراق أخاله أبديا ، هو غنى وأنا فقيرة هو سعيد وأنا تيسة  
وحرام أن أهدم سعادته وأحطم آمال أبيه . ولكنى صادقة الوعد كريمة  
المهد وسوف أفي له بمهدي . تلك عيّن بررت بها . وأمضيتها على  
الصدق ) .

ثم وقف القطار في محطات كثيرة الى أن وصل الى محطة صغيرة  
تزلت فيها الفتاة وهي تحملنى على صدرها

وسارت فى طريقها الى أن وصلت الى دار فقيرة طمعت سلمها  
فقابلتها امرأة عجوز وتعامتا عنقا طويلا ثم قالت الفتاة ( لقد آيت  
يا خالتي اليك وفى دارك التى عصا ترخالى . لم أنجح فى المدينة فأثرت  
أن أصل هنا فى البلدة الصغيرة ) ومكثنا يتحدثان الى أن أقبل الليل وآوى  
كل الى مضجعه . مسكينة تلك الفتاة لملها بقيمة لا أب لها ولا أم

مر يومان على هذا الحادث فدخلت الفتاة فى غرقها وهي ضاحكة  
السن وفى يدها مکتوب

ثم اثزعتنى من لفائف القطن التى وضعتنى فيها خوفا على أن أذبل  
وأمرت وقرأت أمامى الخطاب ثم قالت ( يا زهرة الحب وبانبع الذكرى  
والوفاء ، هاك ككتاب من أحب . انه يقيم على وعده وحاشا لمثله أن  
يفترج ) ثم تهمدت وسحت أجفانها بالدموع وقالت ( أمل لا يطول .  
هو غنى وأنا فقيرة ، هو سعيد وأنا تيسة وحرام أن أهدم سعادته وأحطم

آمال أبيه) ثم جلست القرفصاء وقالت (أين أنت يا أمي أين أنت يا أبي)  
وأعادتي الى لفائف القطن وخرجت من الغرفة  
مسكينة تلك الفتاة أنها حقاً يقيمة لا أب لها ولا أم

— ٦ —

لبثنا ثلاثة أشهر والخطابات لا تنقطع ، تارة تسمى الفتاة خطابات  
حبيبها وطوراً تتولى خطاباتها قبل ان تضمها في صندوق البريد ، ثم  
دخلت غرفها في صبيحة يوم من الايام وقالت لي بعد أن انتزعتني من  
لفائف القطن (يا زهرة الحب ونبع الذكرى والوفاء ، بدأ الحبيب أن  
يل الكتابة . لقد تأخر خطابه وقديماً يتولى النسيان نكث المهود)  
ثم بككت وارسلت زفرائها وسمعت شبيهها يتردد في صدرها الخافق .  
مسكينة تلك الفتاة لقد بدأت أن تستيقظ من حلمها اللذيذ .

— ٧ —

ومضت ثلاثة أشهر أخرى فدخلت الفتاة في غرفتها وقالت لي  
(يا زهرة ال... ونبع الذكرى والوفاء . معذرة ايتها الزهرة الذائبة اذا  
إذا لم أدعك بزهرة الحب فقد جف عوده وتهدهت اركانها . لقد نسي  
الحبيب غرامه ونكث عهده وما قلب الرجل إلا كالأثائر ينتقل من  
غصن الى غصن) .

ولم تبك الفتاة ولكني رأيت وجهها أصفر اللون وصدرها يعلو  
ويهبط وقرأت في عينيها سطوراً خطته يد الألم الصامت والهم الدفين .  
مسكينة تلك الفتاة لقد انقضى حلمها اللذيذ .

— ٨ —

أنا لا أسكن الآن لفائف القطن ولكنى أسكن صدر الفتاة .  
إنها لا تقارق سريرها الآن . لقد دب في جسدها التحول وغارت عيناها  
الجميلتان وخفت صوتهما الساحر وأصبحت كالجثة الهامدة لا تتحرك  
إلا إذا مدت يديها الى لتستنشق من غلائي الذابلة بقية أريج ذلك  
الحب القديم .

— ٩ —

اليوم ناحت النائمات ودوى في المنزل الصغير صراخ تلك الحالة  
المسكينة . اليوم حملوا جثة الفتاة وساروا بنعشها بين الحقول الى أن  
وصلوا الى المقبرة وهناك وضعوا الفتاة في حفرة مظلمة ووضعوني على  
صدرها ثم أهالوا التراب علينا .

ونثروا على القبر زهوراً قليلة ولكنهم بللوه بدموع كثيرة

( ١٦ يناير سنة ١٩١٩ )

---

## الهرم الأكبر

يطل على القاهرة من شاطئ كأنه رسول مجدها القديم .  
على صفوره المايسة ، وعلى رماله العفراء كتب الهرم بمخالبه  
السوداء تاريخ مصر .

مهمش الجبهة منمض العينين يتحف السكون والجلال .  
هو تمثال الحقيقة حلوة كانت أو مرة .  
منه عرفنا مجد مصر القديم ومن بابہ نسمع أناتها المتتابعة .  
نارى الجسد أسمر اللون يحمل فى صدره آلام الأيام .  
لم يضق صدره بالمصائب ولم تنرف محاجرہ دموع اللاواء .  
ثابت الجأش لم يتحول عن مكانه القديم ولم تسلبه دماؤه الحمراء .

\*\*\*

فى صفحة شعر النفس بالهية والحزن .  
هناك تذهب الأم التاكل لتندب أولادها .  
وهناك يذهب العاشق ليكى عشيقته .  
وهناك يجلس الشاعر على صخر أصم يذكر مجد بلاده الضائع .

\*\*\*

عليه مسحة من الجمال لا يمزفها إلا كل فنى .  
منه تستمد أنفاس المجاهدين قوة هائلة .  
ومنه ينبثق على مصر فى جنح الليل شعاع الأمل .  
هو كتاب الوطنية .  
على صفحته الاولى كتبت الحقيقة من ذهب : مصر للمصريين  
( ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ ) .



# الكتاب الثالث

---

## الأدب والاجتماع

مجموعه مقالات أدبية واجتماعية



## الخوف من الحياة

مصر بلد شرق دخله الاوربايون ودخله معهم تمدنهم الغربى .  
ولقد أحس أهله بذلك التيار الجارف فأرادوا مقاومته جهدهم فضمفت  
همهم وكلت عزيمتهم ولم ينفعهم ما ورثوه عن آبائهم من التجارب ،  
قمهموا أن ما بين أيديهم من العلوم وبالأخص العلوم العملية لا ينفعهم  
لجارية هؤلاء القوم ولهذا أرادوا أن يقفوا على كنوز الافرنج فبادروا  
بإرسال أولادهم الى أوروبا ليكتفوا ثمار العلم وسودوا بها الى بلادهم

ولقد انتشر المصريون في انكلترا واسكتلندة وفرنسا انتشاراً هائلاً  
حتى انه أصبحت لا تخلو كلية واحده منهم . ولهذا أملنا لبلادنا خيراً  
عاجلاً وسألنا الله تحقيق هذه الآمال

ولكن نجم ذلك الامل الكبير بدأ بالافول لان الباحثين  
عن الحقيقة وجدوا أن الحركة الجديدة المباركة لم تمش الا في ثلاث طرق  
كثرت عدد من ملوكها من المصريين

أصبحنا لا نذهب لأوروبا لتعلم ما فقدته بلادنا من العلوم النفيسة  
بل نحن نحمل متاع السفر وشوائب الغرب لتكون أطباء أو مهندسين  
أو قضائين فقط ورغبتنا الكبرى في ذلك أن نجد لنا مركزاً في  
الحكومة يضمن لنا مستقبلاً لا تحفه متاع الحياة

هذا هو المرض الجديد الذى حل بنفوسنا وأصبح عقبة كثوفاً  
فى سبيل تقدمنا ونجاحنا

ماتت فى نفوسنا عزيمة المخاطرة فى الحياة . ولهذا أردنا أن تعلم  
علماً بعيداً عن كل المجهودات الشخصية ولقد استاصل فى نفوسنا حب  
التوظيف فى الحكومة لانا أصبحنا نخاف جهاد الحياة

فصرنا هممتنا على تعلم القضاء والطب والهندسة لاعتقادنا بأن  
الحكومة تفتح أبوابها إذا أتيناها حاملين شهادات هذه العلوم ونسينا أن  
بلادنا التى تتألم من تماسها والتى ترزح تحت أحمال الشقاء تستغيث  
صارخة ولكننا نضع أصابعنا فى آذاننا كي لا نسمع أيتها وذلك لانا أصبحنا  
نخاف الحياة .

الرجل خلق فى هذه الحياة ليعمل فان نجح استحق الثناء والفخر  
وان خسر كان جزاؤه اللوم وهو فى الجائتين سعيد لأن الشمس هو من  
قضى حياته دون أن يمدحه أو يلومه أحد . ولقد قال عن هذه الفئة دانتى  
الشاعر التليانى الشهير « هؤلاء قوم قد طردتهم الجنة لانهم يفسدون  
بجمالها ولم يقبلهم الجحيم لان مجرميها يقتخرون بهم » ولقد كتب عنهم  
هنرى برود الكاتب الروائى الفرنسى الشهير « الحياة دار عراك وموارد  
للحزق فيها كثيرة ولكننا لم نعرف بمدى كل هذه الموارد أو نحن نتغافل  
عنها لانا نخشى أن نسلب الطرق التى توصلنا اليها لانها مخوفة بالاعطاش  
والمخاوف ولهذا تركناها لقوم غيرنا يملكها منهم الاكثرون فوصلوا  
الى أمنيتهم وفازوا بمطلوبهم »

في أوروبا مدارس لم يدخلها مصري بعد أو دخلها القليلون . لا نجد  
أحداً منا يدرس الكيمياء العملية أو الكهرباء أو علوم الهندسة والزراعة  
أو العلوم الفلسفية وكلنا لا نريد أن نتعلم هذه العلوم النفيسة لانا نخشى  
أن لا نعيش بها في مصر وذلك لأنه ليست لنا ثقافة بنفوسنا ولأننا  
لا نقدم على عمل لا تدفعنا اليه الحكومة

حرام على نفس المصري أن تكون محرومة من الاقدام بلا  
مساعدة من كبير . حرام على المصري أن يخاف الحياة ولا خوف من  
الحياة . أصبحنا نلتصق بالتوظيف حتى أن من درس منا التجارة بحث له  
عن خدمة في بنك مع أن أخاه السوري يسافر الى أمريكا ويشغل ولا  
يخاف الحياة . ومن درس منا الزراعة يسأل كل يوم عن اليوم الذي سننشأ  
فيه نظارة الزراعة بدل أن يقضى وقته في أرض له أو في أخرى  
يستأجرها ليعمل فيها تجاريه التي تثر له يوماً ما ثمرة تعود عليه وعلى  
وطنه بالنفع العميم .

تجد الأب منا يود أن لا يفارقه ابنه وتجد الابن لا يبحث عن كسب  
رزقه خارج بلده . يظن المصري أن حب وطنه هو المكوث فيه ويمد  
الاباء أبناءهم الذين يتركونهم للعمل في بلد غير بلدهم خائنين للوطنية والدين  
كارهين عوائد بلادهم عاشقين قوماً لا ينتسبون اليهم .

ثمانون في المائة منا في أوروبا يدرسون الحقوق والاقتصاد والسياسة  
وبلادنا أشد احتياجاً للعلوم العملية منها لهذه العلوم . أنا لا أريد أن تترك  
العلوم الادبية ولكني أريد أن نعتى بالعلوم العملية أيضاً حتى تتقدم حالة

بلادنا الزراعية والتجارية والمالية وهذا ماقله رئيس جمهورية الصين يواى شى كاي عن أهل بلده فى حديث له مع أحد مراسلى جريدة الطان وكأنه تكلم عن لسان المصريين لأن هذا الداء الذى تفشى بيننا قد تفشى من قبل بينهم . قال : « أنا لا أفكر فى ترك الآداب كلية ولكن أجد الآن أن ثمانين فى المائة من شبانتنا يدرسون القوانين والعلوم السياسية وبها يضيعون أوقاتهم فيما لا فائدة منه . فالواجب عل الجمهورية أن ترمى بأنظارها الى الاشياء العملية كالعلوم الصناعية مثلا وذلك لزيادة ثروة البلاد خصوصا فى أراضى كأراضى الصين تكثر فيها الكنوز »

أجل إن البلد الذى تبطل فيه الحركة الأدبية يكون كالجسم الذى يعيش بلا قلب يحس ويشعر . ولهذا وجب على كل أمة أن تكون لها هذه الحركة ولكنه لا يجب أن يتسبب عنها التقاليد والخوف من الخوض فى مضمار الحياة ثم الشكوى بعد ذلك من أن الاجنبى اغتصب البلاد وأدارها ونهب ثروتها وخيراتنا واستخرج كنوزها لم نجد كل الشركات فى مصر أجنبية ؟ لانا نخاف أن ننشى لأنفسنا شركات . ولماذا نجد أموالنا فى أيدي الافرنج ؟ لأنه ليست لنا مصارف وطنية

نحن ندافع عن أنفسنا كما يدافع العاجز عن نفسه فيكثر كلامنا ويقل عملنا . والأجنبى لا يتكلم ولكنه يعمل وعمله خير سلاح يدفع به غاراتنا

ربما ظن البعض انى أدافع عن الافرنج أو انى عاشق لهم مغان فى

محبتهم والله يعلم أنى أدافع عن الحقيقة وأبسطها أمام أعيننا كي نشر  
يوماً بما نحن فيه من التأخر والتقهقر لتهب من نومنا العميق مرة واحدة  
ونمل لمجاعة الاجنبى ثم للفوز عليه . ففى تحقق هذه الآمال ومتى  
يرى المصرى وراء ظهره الكسل ومتى يقدم على الحياة غير هياب  
لاخطارها ومتى يقال عنه أنه لا يخاف الحياة ؟؟

( ليون ٧ نوفمبر سنة ١٩١٣ )

## الافكار القديمة والحديثة

فلان يشق الكتب القديمة ولا يتصفح سواها يتغنى فى المجالس  
بما تحويه بطونها ويستشهد فى كتاباته بتحليل حكمها فهو فى نظر الناس  
عالم فاضل مطبوع على البيان متفنن فى ضروب الخطاب . إن تكلم كان  
بسيط اللسان رحيب المجال وإن كتب كان مليح الفصول رائق الفقر .  
ان آتيت برأى يخالف رأيه أو غرت صدره واقتدحت غضبه فرماك  
بالجهل والتمدى على العلماء السالفين الذين لا تلحق آثارهم ولا يشق غبارهم .  
وإن جئت برأى جديد لم يسمع به أحد من قبل قال عنه أنه فامض مبهم  
تخامره فيه الشكوك وتجاوز به الظنون . هذا هو شأن كثير من علمائنا  
الاجلاء الذين نشأوا فى جو القديم فمز عليهم أن يطرق آذانهم الجديد .  
يظنون أن آباءنا وأجدادنا عاشوا فى عصر كان العلم فيه زاهراً فخرام

علينا نحن أبناءهم أن تنقض رأيا اتفقوا عليه وأن نجادلهم في قضية أثبتوا صحتها في كتبهم فليلق كل منا سلاحه أمام أدلهم وبراهينهم مهما كان وثيق الحجة شديد اللداد .

وفلان يحترم آراء السالفين ويحل أعمالهم وسميهم في تحقيق كل ما وقع تحت عيونهم ولكنه يود أن يكون له بعض ما كان لهم من الحرية في البحث والتنقيب حتى يحىء الرأي الصائب ويموت الرأى الواهن مهما تسايرت أهواء الناس على صحته . كل له الحرية في البحث وليس من العار أن يأتي الانسان بفكرة شجذ لها غرار رأيه واثبت له غيره أنها غير صحيحة وانما العار كل العار أن يستعصى الانسان في البحث عن رأى جديد ثم يرضن به على قومه أو يضرب عنه صفحا لأنه جديد لم يتفق على صحته أحد من السالفين .

لم يزل العلم في جو الطفولة بالرغم مما أتى به علماء الماضى والحاضر والحقيقة التى أقتنا عليها ما زالت تحيط بها الشكوك والظنون فأنت تمسكنا بالقديم كنا كمن يريد أن يوقف تيار العلم أو كمن يقنح عن العمل لسواه فـدـبقه الى التحقيق والبحث قوم آخرون ويرجع هو وقومه القهقرى أمام أقدام الآخرين وانه لمار علينا فى القرن العشرين أن لا نقيق من رقدتنا الطويلة بعد أن رأينا ما صنعاه الغرييون فى سبيل احياء العلوم وتحقيق كل غامض فيها .

لا تراعى فى أن الفكرة الجديدة جميلة وإن كانت غير صائبة . أنت بلا شك تستعجب الجديد لأنك تفاجأ به على غرة قبل أن تأخذ له عدتك



وتسحب له ذلك ولكنك في حل من أن تصحفه وتستوضحه وتقلب فيه خواطرك حتى تترق في البحث فتقف على مكان الضعف والقوة فيه وتكون حينئذ حراً في قبوله أو رفضه .

وأى خطر يدام الأمة إن هي فوجئت بأراء جديدة ؟

لا مشاحة في أن كل رأى صائب يبقى رغم أنف كل مستهجن له وأن كل رأى فاسد يضمحل ويموت وينسى مهما كان مرزاً وموماً عادى صاحبه في ضلاله وغلا في جهالته . لا تخف إن طاش الرأى الواهن حقبة من الدهر لأنه يعيش وهو مهدد الى أن يتقلب عليه الرأى الصائب وما الدنيا إلا ميدان عراك يتصارع فيها أصحاب الحقيقة ومحبذو الجهالة والله نصير الحق فلا يلبث كل ذى صواب أن يفوز ولا يلبث كل ذى خطأ أن يلوى عنائه ويقصر عن باطله فتظهر الحقيقة ناصمة للنظرين .

١٠ أغسطس سنة ١٩١٧

## المجمع اللغوى

يقرأ الاجنبى ليتعلم وتعلم المصرى ليقرأ وفى ذلك ما يدعوا المصرى لاعمال الفكرة حتى يرتقى بلغته الى مصاف اللغات الاجنبية . ويجد الاجنبى لكل مخترع جديد كلمة يستعملها فى كلامه وكتاباتمه بعد أن يصقلها لسانه ، ويقف المصرى حيال ذلك وقفة العاجز لا حول له ولا

قوة، فيعمد لوضع كل كلمة جديدة بين قوسين إذا جاءت ضمن كتاباته. تلك هي الصعوبات التي تعتور طريق كل كاتب مصرى والتي من أجلها ألف المجمع اللغوى جامعا تحت لوائه المعجم والمطربش والتي تأمل أن يزيلها في القريب العاجل .

فكر المفكرون قبل ذلك وتضاربت في ذلك الافكار والآراء. فمنهم من ذهب بفكره بعيداً واراد تغيير الحروف العربية الى حروف افرنكية تسمح بكتابة الحرف المتحرك *Voyelle* حتى لا يجند القارئ صعوبة في القراءة فيقرأ صحيحاً ثم يتكلم صحيحاً . لا مشاحة في أن الفكرة صائبة ولا مشاحة أيضا في أنها ضربة قاضية على الشخصية المصرية التي يسمي اليها كل وطنى صادق الوطنية ولهذا قوبلت تلك الفكرة المضررة المفيدة بالاعراض وحق لنا أن نعرض عنها ونضرب بها عرض الحائط .

ومن المفكرين من فكر في كتابة الحرف المتحرك المصرى وأعنى به الـ «أ، و، ي» فنكتب كلمة ( كتب ) مثلا هكذا ( كاتابا ) وإذا صادفنا كلمة كانت تكتب فيها هذه الاحرف الثلاثة من قبل وضعنا المدة كما يضع الافرنجى الـ ( Accent ) فنكتب مثلا كلمة ( كتاب ) هكذا ( كيتاب ) ونكتب كلمة ( محفوظ ) هكذا ( ماجفوظ ) وبهذا يتسنى لنا أن نكتب كما نتكلم وأن نقرأ صحيحاً ثم نتكلم صحيحاً .

ومن المفكرين من فكر في وضع الشكل في كل ما نكتب ومنهم من فكر في وضع الشكل على الأحرف التي يلتبس على القارئ نطقها

فلو صادفنا مثلا كلمة ( خلوى ) وقفنا ونحن لا نعرف أن نطقها بضم الخاء أو بكسرها فلا بأس اذن . من وضع الكسرة تحت الخاء حتى نطقها صحيحا .

كل هذه الأفكار صائبة سيفكر فيها المجمع الجديد وينتخب منها الأسهل والأصح بل وسيفكر أيضا في آراء جديدة ربما كانت أسهل مثلا وأقرب للصواب والصحة .

أما مسألة الالفاظ الجديدة العلمية التي تخلو منها اللغة العربية فأما من باب الاشتقاق وباب التعريب وعندنا من الكلمات القديمة المهجورة ما يصح أن نطلقه على كل لفظ جديد لا نجد له . رادفا عربيا على أنى لا أريد أن تأبى استعمال اللفظ الافرنجى اذا صقله اللسان وفى القرآن دليل ساطع على صحة قولى اذ فيه من الالفاظ الفارسية ما يسوغ استعمال اللفظ الافرنجى وليس بعار على اللغة العربية وان كانت أغنى اللغات وأوسعها أن تدخل فيها الالفاظ الجديدة الافرنجية ، وما من لغة حية قائمة بنفسها دون احتياجها لمعونة اللغات الأخرى . وعلام نقف أمام اللفظ الافرنجى نماديه وتأبى استعماله بعد أن صقله اللسان . اللغة هي ما يتكلم به اللسان فلماذا نستعمل اللفظ المهجور وتأبى استعمال اللفظ السهل ان كان إفرنجيا .

أنا لا أقول بهجر الالفاظ القديمة وباحتضانها لوجئنا عنها وعرضناها على الكتاب والجمهور فان صادفت استحسانا استعمات وان عجزها الدوق أهملت .

فواجب المجمع العلمى حبال ذلك أن ينتقى اللفظ الذى يرضاه  
الجمهور وبالإعراض الناس عن القضاة وكان عمله بلا فائدة ولا نفع وكـ  
من كلمة افرنسية كانت من لغة (الآرجو) أدخلها المجمع العلمى  
الافرنسى فى القاموس وأصبحت افرنسية يستعملها الكاتب والشاعر .  
ويا حبذا لو أرسل الله امر كاتباً محبوباً تقرأ رواياته الناس أجمعون  
يستعمل الالفاظ التى صقلها اللسان والالفاظ السهلة القديمة حتى يعود  
عليها القارئ ويألفها بمد نفوره .

هذا ما يتحدث به الناس فى المنتديات وفى بيوتهم ويا حبذا لو ضم  
المجمع بين أعضائه المشرع والطبيب والمهندس والزرعى والتجارى حتى  
يتعاون الاعضاء على وضع الالفاظ الجديدة العلمية ويكون وضعها صحيحاً  
لا تشوبه شائبة .

هذا ما أردت كتابته على صفحات السفور وإنى آمل أن نجد فى  
المجمع المصرى أمنية كل محب لبلاده غيور على لثته وليس هذا يبعيد  
على أعضاء النادى الكرام .

١٨ يونيو سنة ١٩١٧ .

## شخصيتنا

يقولون عن المصرى أنه عاجز عن القيام بعمل هام تحفه المخاطر ،  
وإن أقدم عليه لا يلبث أن يرجع القهقرى بمد أن يسير فى طريقه قليلا

تاركا مشروعه في يد الأهمال ثم الموت . هذا ما يقال عن المصرى في كل بلد وهذا ما أثبتته التجارب ، وإنها حقيقة مرة تؤلم النفوس الحية ولكننا لا نسمعنا إلا الاقرار بها لأن الأقرار بالضعف قوة ربما انتجت نتيجة حسنة تعود بالخير والمنفعة . تقول الناس عن المصرى ذلك ومنهم من يجد السبب في الجهل الضارب أطنابه على سواد المصريين ومنهم من يجده في تأثير الطقس على نفوس المصريين ومنهم من يجده في غير ذلك . وقل من يجده في جهل المصرى لشخصيته وجهل الشخصية هو الباعث الأقوى على عدم الاعتماد على النفس وعلى الاتكال على الغير والاتكال على الغير يسوق المرء الى هوة الموت الأدبي التي ترقد فيها النفوس رقدة طويلة لا تستيقظ بعدها لأى عمل نافع

ليس الجهل هو السبب في فشل المصرى فكلم من أمة جاهلة ارتقت تدريجيا الى مصاف غيرها من الأمم المتعلمة وليس الطقس هو السبب في خمول المصرى وكسله وكيف يكون الطقس سبب ذلك والأجنبي يعيش معنا تحت السماء التي تظللنا ولكنه يعمل ونحن ننام

نحن قوم لنا تاريخ يجمعنا نعيش به في بقعة من الأرض حدودها معلومة للأجنبي وللوطني ، ولنا لغة واحدة تتفاهم بها ، بل ولاجسامنا لون واحد يكاد يكون عاما ، فنحن إذا أمة حية تعرف ما عليها وما لها ويحق لكل فرد من أفرادها أن تعرف أنه مصرى يعيش لمصر ويحيى من أجلها ، حتى إذا عرف ذلك كل المعرفة أمكنه أن يعتمد على نفسه في أى عمل يقوم به . هذا مع الأسف ما يحمله عامة المصريين أما الشيبية

منهم فقد ابتدأت في فهم ذلك بل في خلق ذلك الرداء الرب وارتداء تلك الحلة الجديدة الجميلة التي يحق لهم أن يتزينوا بها في كل عمل يعمون بادائه لأنفسهم أو لوطنهم وأداء العمل الشخصي بما يقضى به الواجب هو في الحقيقة أداء جزء من العمل الذي يتطلبه الوطن .

ربما كان في فهم الشيبية المصرية للشخصية المصرية بعض من التقليد والتصنع ولكنه إن لم يتحول عاجلا إلى طبيعة محودة وغريزة في النفس فسوف يتحول آجلا في نفوس أبناء هذه الشيبية ويصبح غريزة تصحب النفوس من ساعة أن ترى العيون نور السماء .

هذا ما أريد كتابته للشيبية بل هذا ما ألفت أنظار الكتاب له حتى تبلغ بهم مصر غايتها المنشودة  
(١٠ أغسطس سنة ١٩١٨)

## أمراؤنا<sup>(١)</sup>

كان لمنشور الأمراء في الأسبوع الماضي وقع جميل في صدور الناس جميعا كيرم وصغيرم ، غنيم وقديرم ، رفيمهم ووضعهم . وجدنا أمتنا المصرية قد انتشت منها القلوب ساعة تلاوة المنشور ووجدنا الجرائد

---

(١) كتب هذا المقال بمناسبة انضمام أمراء البيت السلطاني لصف

ينشر البرقيات من جميع أنحاء القطر ثم قرأنا برقية حميد الوطنية سعد باشا  
زغلول يهنئ فيها الأمة بهذا الفوز الجديد الذي أثبت للعالم أجمع أننا كتلة  
واحدة لا تؤثر فيها المؤثرات ولا تغلب عليها الصعوبات والعقبات .

نحن لا نندesh لفرح الأمة وإغتهاها بذلك المنشور الكريم ولا  
تندesh لما قامت به سلاة البطل الكبير محمد علي منقذه مصر من الدمار  
والخراب .

أجل نحن لا تندesh لكل ذلك ولكننا تندesh لامر آخر وهو  
أننا نرى الأمراء في كل بقعة من بقاع الأرض بمعزل عن بني جلدتهم ،  
يعيشون عيشة لا تتفق مع روح الديمقراطية التي أصبحت دين للناس  
في العالم المتقدم ، ويصاحبون جماعة من جو لا يلائم الجو الذي تعيش  
فيه بقية الناس ، ويضنون على وطنهم بالخدمات التي ربما يعجز غيرهم  
عن أدائها . فهم في واد والناس في واد .

هذا هو المعروف عن الأمراء أما أمراؤنا فقد جاء منشورهم طبق  
مرام الأمة بل رأينا فيه روح الديمقراطية تجلي للعيون كالشمس في  
رابية الهار .

اليوم فتخضر بأنا ديمقراطيون جميعا تتحد سويا وتتكاتف في سبيل  
تحرير مصر تلك البلد التي لم يرتكب أهلها جريمة غير حبهم لها وتقائهم  
في خدمتها .

أما أمراؤنا فقد أثبتوا للعالم أنهم مضيرون قبل كل شيء وكيف لا

يكونون كذلك وقد تنفسوا هواء مصر وأكلوا طعام مصر وشربوا مياه مصر . فوقوا حياتهم على خدمة مصر بعد أن ضنوا صدورهم لصدور الشعب والشعب يفدى صدورهم بأرواحه .

هذه هي سلالة محمد على التى جاء الى مصر ليتخذها موطنًا يعمل ويكد لا تقاذه من الدمار ، هذه هي سلالة محمد على الذى نبغ منها ابراهيم القائد الحربى الذى هزم الأتراك فى ربوع الشام وخلد لمصر مجدًا لا يساويه مجد والتى نبغ منها اسماعيل الذى أدخل التمدن الحديث الى مصر ولذا قال ( اليوم أعد بلدى جزءًا من أوروبا ) .

وفمن لا يسمنا فى هذا المقام إلا أن نهنى أمتنا المصرية بفوزها الجديد ونهى أمراءنا الكرام بما نالوه من الثقة فى نفوس الأمة ولتحي مصر وليحي الامراء وليحي الاستقلال التام

( ١٥ يناير سنة ١٩٢٠ )

## العام الجديد

نستقبل العام الجديد بقلوب قوية وأوجه باسمه مستبشرة بطوها الفرح والسرور . وكيف لا يكون أمرنا كذلك وقد اتفقت كلمتنا واتحدت قلوبنا وظهرت شخصيتنا المصرية أمام الأمم واضحة جليلة فحمل فى يدها علم مصرى ، علم الإخاء ، والثبات والحرية والاستقلال .



اليوم باسم لنا نثر الامل من بعيد فنسى أن يكون عامنا الجديد  
تحقق فيه أمنيتنا فيدم لنا نثر الامل من قريب .

ولقد عشنا نحن المصريين حيناً من الدهر بغير أمل ، لأننا كنا لا  
نعمد على أنفسنا ونخاف الثبات في كل أعمالنا . ولرب قائل يقول وهل  
يعيش الانسان من غير أمل ؟ الطفل في حجر أمه يأمل أن ترضعه ثديها ،  
والصبي في مكتبه يأمل أن يخرج الى الهواء الطلق ليلهو مع رفقته ،  
والشاب يأمل أن يقتزن بمن يحب ، والرجل يأمل أن يكتسب ما يقوم  
بأود أسرته ، والشيخ يأمل أن يرى أولاده قد سلكوا في حياتهم طريقاً  
شريعاف يرفع أسماهم الى أوج المجد فيعلو شأنه أيضاً ويموت قرير العين  
باسم النثر . فالامل غريزة في النفس والمصرى أيضاً ذا أمل في الحياة .  
ونحن لا ننكر ذلك ، وهل تنكر الحقيقة التي تراها العين وتكاد  
تلمسها اليد ؟ ولكننا لا نتكلم في هذا المقال عن الامل الشخصي الذي  
لا يعود على صاحبه إلا بالفوز الشخصي أيضاً . ولكننا نتكلم عن أمل  
المجموع ، عن أمل الامة بأسرها ، ذلك الامل التقى الناهض الذي يهز  
القلوب دفعة واحدة . فان تحقق ، وجدت الوجوه من الاسكندرية الى  
اسوان باسمه مشرقة تقرأ فيها آيات السرور والغبطة :

هذا هو الامل الكبير الذي كنا نجهله حيناً من الدهر ، وما جهلناه  
إلا لأننا كنا لا نعمد على أنفسنا ولا يركن المصرى منا الى أخيه  
المصرى . ومثل هذا الامل لا يتحقق إلا بالثبات ، وأين هو الثبات اذا  
كانت القلوب متناثرة لا تقرأ على رأى .

هذه هي صنعة ماضينا ، ذلك الماضي الاسود الذى كنا ننام فيه على فراش من حرير خبأوا لنا في ثناياه الشوك ، والذى كنا نشرب فيه كأساً من السسل خلطوا لنا فيه السم . عشنا حقبة من الدهر ونحن على هذا الحال لا يخرج أملنا عن دائرة حاجياتنا الشخصية ، لهذا لم نعرف غير الفشل فى جميع مشاريعنا ولهذا سرنا بأنفسنا الى حافة الهاوية تلك الهاوية العميقة التى تموت فيها الشخصية بعد ان كانت يانعة زاهرة ، وكاد أن يسدل الدهر ستاره الكثيف علينا وعلى تاريخنا الزاهر ، ذلك التاريخ القديم المجيد ، الذى تجلى فيه شخصيتنا من عهد ميناء أول ماورك مصر الى عهد اسماعيل خديوها الأسبق . ذلك التاريخ تنطق صفحاته بما لا يقناه فى حياتنا من سعادة تشرح لها الصدور وتقر لها العيون ، ومن الألم تتألف لها القلوب لازالتها وعوها ، وما السعادة والألم إلا الرباط الحيوى الذى تقوم به الانم الى ذروة المجد .

أما الآن فقد اعتمدنا على أنفسنا وتأخينا بعد أن تصافت مخلوبنا ، وعرفنا أن الألم الذى يصيب المصرى فى أى بلد من بلاد الله يهتز له فؤاد المصرى فى أى بلد آخر . اليوم عرفنا الأمل الكبير ذلك الأمل الذى يرتكز على الاعتماد على النفس وعلى الثبات لهذا نجدنا سائرين فى طريق هذا الأمل ونحن واقفون من القوز والنجاح وكيف لا نتبع ولا نفوز وقد قادتنا شخصيتنا فى هذا الطريق .

اليوم عرفنا بل أردنا أن نضحى وآمالنا الشخصية فى سبيل ذلك الأمل الكبير ، أمل الأمة بأسرها . يوماً أجمل أن نشرب إلهة الآسن

ونأكل الخبز الاسود ، وننام في العراء ، إذا وجدنا كلمة تناقد انتقدت ،  
وقلوبنا قد تأخت ، وآمالنا قد تحققت .  
حقق الله الآمال .

( ٨ يناير سنة ١٩٢٠ )

## نظرات في تاريخ مصر

( النيل في عهد القراعنة )

نجلس في بيتك بين أهلك وأهلك ، وأهلك بعد أن تناول  
معهم غذاءك ، تجلس جلسة طالب الراحة وتستسلم للتفكير وأنت  
منشرح القلب مثلوج الصدر . لا ترى حولك من يعكر صفوك بعد  
أن ملأت معدتك الجامعة من طعام أنبتته أرض مصر — والطعام هو  
الغاية التي من أجلها يعمل الانسان ويكد — وما مضر التي تلبت هذا  
الطعام إلا هدية النيل . فالنيل مصدر نعمتك ومنبع حياتك ولولاه لما  
رأت عيناك نور السماء . فما أجل أن تحدث قليلا عن تاريخ ذلك النهر  
الذي تفيض مياهه ذهباً عليك وعلى من تعفيف من الاجاب .  
عينا حاول أجدادك الاقدمون الذين تجدد تماثيلهم في دار الآثار  
وترى آثارهم مبعثرة في صعيد مصر أن يعرفوا منبع النيل . وعينا حاولت  
جيوشهم الظافرة أن تصل الى هذا المنبع وهي تتهنى آثار القبائل

السوداء أو الخوشيت Khoushite وما رأوا فيه إلا نهراً عظيماً يشق صعيد بلادهم فيجى أمواتها وكنزاً عظيماً لا يفرغ ذهبه فعبده وأطلقوا عليه اسم المعبود حابي Hapi وحق لهم أن يعبدوا أباهم البر الرحيم . أما الكهنة فلم تضق حيلهم عن معرفة نبع نهرهم أستغفر الله بل بحرم لأن أجدادنا كانوا يطلقون على النيل اسم البحر بدل النهر تجيلاً لشأنه وتعظيماً لقدره . تصور الكهنة — وقد أخطأوا في تصورهم — منبع النيل في السماء ورأوا فيه مرآة تنكس فيها مياه الانهياة ، تلك المياه التي تجرى عليها سفن الآلهة . وظنوا أن النيل يبتدىئ في الأرض بين جزيرتي اليفنتين Elephantine وفيله ( أنس الوجود ) Philae من بين صخور البشال الاول ، ولم يسحبوا لقيضانه في كل حول وكيف يسحبون له وقد اعتقدوا أن مياه هذا القيسان ما هي إلا دموع المعبود ايزيس Isis أما الناس فقد خبطوا في أمر منبع النيل خبط عشواء ودارت على سنتهم قصة لا نعلم مصدرها قالوا فيها أن البحارة المصريين وصلوا وهم مسافرون الى مناجم القراعنة الى منبع النيل في بلاد پوانيت Pounite أما تجار العرب في القرون الوسطى فقد توهموا أن النيل يتصل بالبحيط الهندي هذا هو اعتقاد الكهنة والناس وتجار العرب أيام القراعنة ونحن لا نرى فيما اعتقدوه إلا أوهاماً لا حقيقة لها ببد أن عرفنا اليوم من أى نبع ينبع النيل .

أما الوجه البحرى وهو ما نطلق عليه اسم الدلتا فقد كانت تنمره بمياه البحر الأبيض . وما كان لمصرية الشرقية والدقهلية والمنوفية والغربية

والبحيرة أثر في الوجود بل كانت تلك القطعة من الأرض بحراً عجاجاً  
تلتطم أمواجه وتضل فيه السفن . أما مصب النيل فكان في شمال الأرض  
التي بنى فيها أجدادنا فيما بعد مدينة منف وكان البحر الأبيض المتوسط  
يتلطم مع الصحراء التي أقام فيها خوفو وكفرم . ونقرع الأهرامات . ثم  
حمل النيل مع مرور السنين والاعوام الى هذا المثلث المائي طميه في كل عام  
فتكونت جزر قليلة تحولت الى أرض تكثر فيها المستنقعات ثم نشأت  
الدلتا من الدم واقسم النيل فيها الى ثلاثة فروع بتبديء من بلدة اسمها  
كيريكسور Kerkasore الأول اسمه ييلوسياك Pélusiaque متخذاً  
طريق الشمال الشرقي الى صحراء الشام والثاني كانويك Canopique  
متخذاً طريق الشمال الغربي الى صحراء ليبيا والثالث اسمه سينيتيك  
Sebénnytique وكان يشق الدلتا الى قسمين متساويين ويصب في البحر  
الأبيض ونشأ عن هذه الفروع فروع أخرى طبيعية وصناعية يتراوح  
عدد ما بين السبعة والاربعة عشر .

أما مساحة كما الدلتا فهي نعلم ٢٣٠٠ كيلومتر مربع وتزيد تلك  
المساحة في كل عام . واستنتج المؤرخون أن تكونها تم في مدة سبع  
مائة وأربعين قرناً قياساً على أن الدلتا تزيد مساحتها مترافياً في كل عام وأن  
هذا التكوين تم قبل ارتقاء منا أول ملوك مصر عرش بلاده بقرون  
عديدة ويزعم البعض أن هذا التكوين تم قبل أن يفد الى مصر  
الجنس المصري .

هذا هو تاريخ صغير لهر النيل أيام الفراعنة أكتبه للمواطني ليقفوا

عليه ويتمشوه على صدورهم إذ النيل كان وما زال وان يزال الى الأبد  
كوثرهم الذى به يحبون وبغيره لا يكون لهم أثر فى الوجود  
(١ يناير سنة ١٩٢٠)

## الوطن<sup>(١)</sup>

وطنك أيها المصرى هو تلك الأرض التى تعيش عليها والتى تعتد  
من الاسكندرية الى اسوان . هذا هو الوطن إذا أردت أن ترى فيه غير  
بقعة من الأرض تأكل ثمراتها وتنفس هوائها وتضم رجائها عظامك  
إذا فاضت روحك الى بارئها .

فى جوف هذه الأرض ينام مينا ورهسيس ومحمد على وفوق هذه  
الأرض ترى الأهرام وأبأ الهول وتلك الآثار القديمة التى تفخر بها مصر  
فليس الوطن إذاً هو بقعة الأرض فحسب بل هو تاريخك أيضاً ذلك  
التاريخ الذى يضم شتاتك والذى ترى لأجدادك فى بطونه صفحات  
طاهرات .

وإذا ظرت أيها المصرى لمواطنيك ألا تجد لهم لغة حية يتكلمون

---

(١) كتبت هذه المقالة فى وقت احتمال المصريين بعيد الاستقلال  
الموافق ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ .

بها ويكتبون ما يحول في خواطرهم ألا ترى لهم لو أن خصيصاً يشرتهم  
ألا تسمع لكلامهم نعمة مصرية تفرقهم عن السورى والغربى بل عن  
جميع سكان الارض .

هذه حقيقة لا نزاع فيها .

وتراهم أيضاً متفقى المصارب متحدى الاميال يسمعون لهدير النيل  
أحياناً لا يوجب بها غيرهم من الناس ويرون في زرقة سمائمهم جمالا غاب  
عن أهل الأرض جميعاً فاللغة واللون والنعمة والمشارب والاميال وألحان  
النيل وزرقة السماء كل هذه الاشياء هى الوطن أيضاً .

تراهم لا ينسون مصائبهم والآههم وإذا حلت بواديهم نعمة من  
نعم الله قالوا جميعاً مع اختلاف دياناتهم يشكرون الله على ما أولاهم به  
من نعم . وما النعم والمصائب التى تحمل بهم إلا رابطة قوية تربطهم ببعض  
وهى أيضاً وطنهم العزيز .

فوطنك أيها المصرى ليس هو بقعة الارض التى تدينش عايتها بل هو  
كل ما يهيج بخاطرك ويمر بمخيلتك من هواجس السعادة والآلام .  
من أجل ذلك قت أيها المصرى فى الثالث عشر من شهر نوفمبر  
انتحتفل بعيد استقلالك فخسنا فعلت .

ومن أجل ذلك ما زلت تعمل لنيل استقلالك ومن أجل ذلك  
تحي وتموت .

والسفور وهو جريدة مصرية قبل أن تكون خصيصاً بالفنون  
والآداب والاجتماع تحي أمتها العزيزة وتقف فى صفها وتسأل الله أن

يبارك الحركة المصرية ويمدها بروح من عنده ليظهر الحق واضحا جليا  
ويتقضى عهد الكاذب والآلا عيب السياسية وتنال مصر استقلالها  
التام .  
( نوفمبر سنة ١٩١٩ )

## مدرسة القضاء الشرعى

فوجئ العلماء والادباء والكتاب والطلاب بين معمم ومطربش بخبر  
كان المقطم أول من أذاعه ثم تناقلته الجرائد ألا وهو خبر مشروع اخلاق  
مدرسة القضاء الشرعى . رددت الافواه ذلك الخبر فارتدت له الوجوه  
وخفت الافئدة وأصبح أمر اخلاق ذلك المعهد العلمى حديث الناس  
فى بيوتهم وأنديتهم وعلى القهاوى ولا نغالى لو قلنا فى الطرق أيضا وفى  
مركبات الترام .

وكتبت الجرائد كثيرا عنه ناشرة احتجاجات الطلبة ويسرنا أن  
نرى فى طليعة من كتب واحتج طلبة الازهر الشريف وسافر لمقابلة  
دولة الرئيس ومعالى وزير الحقاينة وفد من أساتذة المدرسة .

وعادوا دون أن يقفوا على بيان صريح يروى غلتهم ويطفى أوارهم

---

(١) كتب المؤلف هذه المقالة على أثر اشاعة تداولتها الصحف بفأن  
اخلاق مدرسة القضاء الشرعى .



هذا هو ملخص ما حدث ونحن نكتب اليوم حيا ل هذا الموضوع كلمتنا .  
أراد المرحوم الشيخ محمد عبده إصلاح الأزهر الشريف وحاول  
تحقيق أمنيته ولكن الظروف حالت بينه وبين ما يريد . وليس لنا الآن  
أن نجث في سبب فشله خشية الخروج عن الغاية التي نرى إليها في مقالنا .  
ولما رأى المرحوم المفتي أن لا سبيل إلى إصلاح الأزهر فكر في إنشاء  
مدرسة القضاء الشرعي وسعى لذلك ولكن المنية وافته قبل تحقيق غايته .  
يبد أن المشروع لم يمت بموته بل ظل حيا في قلوب تلاميذه فلما تولى أمر  
وزارة المعارف صاحب المعالي سعد زغلول باشا كانت أول حسنة من  
حسناته الكثيرة هي إنشاء مدرسة القضاء . فالتقى لها خيرة الاساتذة  
ووضع لها برنامجا يشمل العلوم الدينية والكونية وظلت المدرسة في عهده  
وبعد منازحته المعارف كعبة لطلاب العلم وأخرجت للأمة مجموعة من  
خيرة أبنائها علما وأدبا ارتقت مناصب القضاء الشرعي وبرهنت عن  
كفاءة كبيرة هي وأختها مجموعة الأزهر الشريف . فأى ضرر يعود على  
الامة أو على القضاء من بقاء هذا المعهد الديني ورجال الأزهر الشريف  
لا يرون فيه اعتداء على حقوقهم أو سلبا لها يقولون أن الأزهر الشريف  
به عشرة آلاف طالب وأن مدرسة القضاء لا يزيد عدد طلابها عن أربعمائة  
وأنها تعد جزءا آمن الأزهر الشريف فاذا أصلح الأزهر كانت الأمة في  
غنى عن مدرسة القضاء وهذا هو سر تفكير الوزارة في مشروع اغلاق  
المدرسة ونحن لا نرى فيما يقولونه الصواب . نهب أن الامر كما يقولون  
فأى ضرر يعود على الامة إذا زاد عدد طلاب الأزهر بهذه النسبة

الصغيرة في معهد آخر بل أى ضرر يعود على الأمة لو فكر ولاية الامور في إنشاء معهد ديني ثالث ثم رابع ثم خامس . . . بل أى ضرر على الأمة لو أنشأت الحكومة في كل طائفة من عواصم المديريات مدارس للطب والهندسة والزراعة والحقوق . يا حبذا لو تحقق ذلك ورأينا العلم تزدهر رياضته في كل بلد من بلاد مصر بل في كل قرية من قرراها . نحن نعلم أن البناء صعب وأن الهدم سهل ، ومن الهين هدم مدرسة القضاء ولكنه من الصعب بناء مدرسة أخرى . فإذا أغلقوا المدرسة اليوم ورأوا فيها بعد الحاجة ماسة لما لا قوا الصعوبات في بنائها من جديد فنكون قد خسرنا خسارة كبرى نحن في غنى عنها . أما ما يقولونه من أن الوزارة لا تريد أن تكاف نفسها مصاريف لا فائدة منها فنحن نجعل الوزارة عن ذلك وهي التي زادت مرتبات الموظفين وتنازلت عن جزء من أرباحها في شركة الترام . فملت الوزارة ذلك لإرضاء للجمهور وجدير بها أيضا أن تعمل أكثر من ذلك لإرضاء للعلماء والادباء والطلبة وهم زهرة الجمهور المصرى . أما إشاعة أن الوزارة تريد إغلاق المدرسة انتهت من ناظرها فنحن نجعل الوزارة عن ذلك . هما كانت وزارة ادارية أو سياسية أو ادارية وسياسية معا .

وأما الزمن وهو كفيل بتحقيق آمالنا

(٦ نوفمبر سنة ١٩١٩)

## بول آدم

قليل من بنى مصر من يعرف الروائى الشهير بول آدم ويرجع ذلك لقلة من يعرف اللغات الاجنبية من أبناء هذا البلد الامين . أما الفئة التى درست تلك اللغات فقليل أيضاً . من اختص منها بالآداب الغربية فلم نجد من بينها من أقدم على تريب إحدى روايات هذا الكاتب الفاضل الذى يسه النقد فى فرنسا من أئمة الروائيين . وواجب الصحافة الادبية أن تكتب لقرائها عن أئمة الكتاب فى كل بلد وعلى الاخص اذا اختطف الموت أحدهم فى الساعة التى نرى فيها أبناء جلدته فى أشد الحاجة لقراءة كتبه الجديدة .

من أجل هذا كتبنا هذا المقال .

توفى بول آدم فى صبيحة اليوم الثانى من شهر يناير وذهب ضحية الحمى الاسبانية التى لم تشفق منذ عام بأدمون روستان شاعر القرن العشرين . فالحق الروائى بالشاعر ولبست فرنسا عليهما الحداد . توفى بول آدم غير بالغ من العمر السابعة والخمسين فبكاه رجال الادب فى العالم أجمع وعدوا موته خسارة كبيرة على الآداب الفرنسية وقد قال عنه المسيو دومينيك برجا فى مجلة أوروبا الجديدة ( اليوم فقدنا أكفأ روائى فى القرن العشرين ) .

لم يكن يدور بمخلد بول آدم أيام كان فتى أنه سيصبح يوماً روائياً

كبيراً وذلك لشدة ميله للسياحة ولقد صرح ذووه بعد وفاته بأن تقيديم كان يأمل أن يصبح يوماً ما مكتشفاً يحجوب البلاد البعيدة والاقطار النائية. بيد أن الجوال الذي نشأ فيه والتعاليم التي ريت عليها نفسه حدت به الى احتراف القلم فكتب رواياته العديدة ولكنه كان ينتهز القرض لينأخذ بلده الى بلاد أخرى يدرس حياتها الاجتماعية وحالة أهلها الخلقية واشتهر برواياته الادبية شهرة كبيرة فأجله النقاد ورأوا فيه رجلاً يكاد يساوى بلزالك شهرة ومجداً .

بدأ بول آدم حياته الادبية بالسير على أنوار الروائي الكبير أميل زولا صاحب المذهب الذي يطلقون عليه اسم ( ناتوراليست ) وهو المذهب الذي يعتمد فيه الكاتب وصف حياة الانسان بما فيها من عيوب وقاذورات وصفاً يشمئز منه القارئ ولا نغالى لو قلنا ينحجل منه الشيخ الهرم . كتب بول آدم روايته الاولى ( الجسر الناعم ) سالكا طريق ( الناتوراليست ) فعده الكتاب عميد المذهب بعد زولا . ولكنه لم يلبث طويلاً في هذا السبيل وكتب روايته ( عام كلاريس ) مبتعداً فيها عن مذهب زولا ومتقرباً من المذهب الرمزي Symboliste . فجاءت روايته وفيها مزيج من المنهيين . ثم خلع عنه رداء المذهب الاول وارتدى لباس المذهب الثاني وكتب رواياته ( معركة هود . القوة ابن استرليتز . تحت شمس يوليه . الحيلة . الثعبان الاسود ) ولكنه لم يسلك في المذهب الرمزي طريق الخيال فحسب بل سار خلف الحقيقة أيضاً في كثير مما كتبه وما رواياته غير بمجموعة من الافكار الواقعية في

قالب رمزي . واشتهر بقدرته في تصوير ما تراه عينه في عصرنا الحاضر وما قرأنا في بطون الكتب عن المصور السالفة .

ولم يقتصر على القسم الروائي الأدبي بل عالج باب التمثيل فكتب روايته التمثيلية الأولى ( الخريف ) مع المسيو جبرائيل موري وله من العمر إحدى وثلاثين سنة وصف فيها صورة حية لعمال مضربين انتهى إضرابهم بسفك الدماء ثم كتب روايته التمثيلية الثانية ( النحاس ) مع المسيو أندريه بيكلر وهي صورة جلية واضحة للحالة المالية في أوروبا ثم قدم للكوميدي فرانسيز روايته ( ليمويت ) ولكنها لم تنجح إذ لم تمثل إلا تسعة وعشرين مرة . ومات وهو يؤلف مع المسيو جبرائيل موري رواية اسمها ( تانيت ) .

ونحن تقدم للأمة الفرنسية تمازى الأمة المصرية ونأسف معها لفقد هذا الكاتب العظيم .

---

## المواكب

لجبران خليل جبران

ذهبت منذ أيام لزيارة صديقي الفاضل أميل افندي زيدان صاحب « المسال » فوجدت بين يديه كتاب « المواكب » وكنت في شوق كبير للاطلاع عليه فسألته أن يعيرني إياه فأجاب سؤلي وحملت الكتاب

اللييت ولما فرغت من تلاوته قمت للقلم لأكتب هذا المقال الصغير عن ذلك الكتاب النفيس شارحاً للكتاب ما أحدثه جبران افندى في الأدب العربى من التغيير والتبديل وجبران افندى من كتاب العربية وشعرائها الذين انهجوا لأنفسهم منهجاً جديداً تجلت فيه شخصيتهم كالشمس فى رابعة النهار .

جبران افندى خليل جبران شاب سورى غادر مسقط رأسه الى أميركا كما فعل كثير من السوريين وعاش فى وطنه الجديد الى يومنا هذا عتفا حرفة القلم فكتب فى جرائد أميركا السورية وما لبث أن عرفه قراء العربية فى كل بقعة من بقاع الأرض . عرفوه كاتباً بعد ان قرأوا كتبه «الأجنحة المتكسرة» والأرواح المتمردة ودمعة وابتسامة ويوحنا المجنون ، ثم عرفوه شاعراً بعد ان قرأوا كتابه الجديد «المواكب» ولكننا لا نرى فيما كتبه جبران افندى من نثر وشعر غير قصائد خيالية أو حاها اليه خياله الراقى وروحه الثائرة المتمردة فهو فى نظرنا شاعر وما ثره المتداول بين أيدينا الا قصائد ، منشورة لم يجاره فيها شاعر آخر . وإلى القارى شيئاً من ثره بل من شعره المنشور ( خيم الليل بمنحى فوق المدينة وألبسها الثلج ثوباً وهزم البرد ابن آدم من الاسواق فاخْتَبَأَ فى أوكاره وقامت الرياح تتأوه بين المساكن كثوّن وقف بين القبور الرخامية برئى فريسة الموت ) ألا نرى القارى فى هذه الجمل المتناسقة التى يطلق عليها القراء كلمة نثر شعراً خيالاً يهز أوتار القلب ويوقظ النفس النائمة ؟

هذا هو الأمر الاول الذى نراه فيما كتبه جبران ولم يكنف بأن

يكون شاعر آخاليا ينظم القصائد المنشورة ويودعها ما بقلبه من ثورة وألم وما في مآقيه من دموع وما في نفسه الطاهرة من سخط على العالم الانساني وما فيه من أوهام وأكاذيب بل عمد الى أسلوب جديد ملائماً بالاستعارات والرموز لم يقتف فيه آثار أى كاتب قديم ولا نقالى في القول لو قلنا أنه نسيج وحده وقريع دهره في هذا الباب . فاذا أتيت لأى قارىء يحملة من جل جبران غير مذيلة باسمه لقال لك على الفور هذه جملة من جل جبران . هذا هو الأمر الثانى الذى نراه فيما كتبه جبران . ولم يكتف جبران بأن يكون شاعر آخاليا ذا أسلوب جديد ولكنه سار فى كل ما يكتب وراء شخصيته ، وقليل من كتاب العربية من هو على هذه الصورة .

تراه لا يكتب الا ما يعتقد ولا يخط على القرباس إلا ما يوجه اليه وجهه وإن خالف في ذلك ما يعتقده القراء والكتاب . لهذا ترى شخصيته واضحة جليلة في جميع كتبه ، فهو في هذا الباب كبير لوقى من كتاب الغرب .

هذا هو الامر الثالث الذى نراه فيما كتبه جبران .

وابتداً جبران حياته الأدبية بدموع وابتسامات . ظل يذرف الدمع على آلام الانسانية ويتبسم لجمال الطبيعة الى أن مرت عشرة سنين من حياته القلمية تكونت فيها نفسه واضطربت فيها ثورة قلبه فوجدناه فيما بعد ، متمرداً ، ساخطاً صارخاً ، يصيح بين ضجيج العميان ويحدق في الشمس بمينيه المفتوحتين ويقف بين القبور الصامتة وعلى قم الجبال الشاهقة لينشد قصائده الخالدة . ولسكتنا نرى بين غيومه السوداء برق

الأمم ونسمع من رعدة القاصف صوت الرحمة ونشعر عند ما تهب عواصفه  
بجلاوة الحب ، حب الحياة الهادئة الساكنة التي تتجلى فيها الطبيعة وينصب  
فيها ميزان العدل .  
هذا هو الأمر الرابع الذي نراه فيما كتبه جبران .

### كتابه المواكب

ثم طالع جبران باب الشعر الموزون المقفى فكتب كتابه «المواكب»  
وهو الكتاب الذي من أجله نكتب هذا المقال .  
الأشياء التي تسترعى النظر عند رؤية الكتاب : إذا أمسكت  
بكتاب المواكب في يدك وقلبت صفحاته بدا لك لأول وهلة أمر غريب  
لم تره عيناك من قبل بين صفحات الكتب العربية المؤهلة في عصرنا  
الجديد ألا وهو أنك ترى لأول مرة كتاباً عربياً جديداً في قالب خيالي  
منظوماً من أوله لآخره . وقد كنا نعيب على شعرائنا الشرقيين إضرام  
القدنم على الجديد لأننا لم نجد لهم غير قصائد ساروا فيها على طريقة  
الشعراء السالفين دون أن يتكفروا لهم طريقة جديدة . أما اليوم فقد أتى  
جبران بما كنا في حاجة له . ولم يقتصر جبران على اختيار موضوع فلسفي  
نظمه في قصيدة طويلة ولكنه فعل أكثر من ذلك باختياره القوافي  
المتعبدة والأوزان المختلفة تخالف بذلك الشريعة القديمة وأبتكر طريقة  
جديدة تأمل أن يتبعه فيها الشعراء الشرقيون .



وهناك أمر آخر يسترعى نظرك عند رؤية الكتاب ألا وهو الصور  
المديدة التي نقشها يد الكاتب مصوراً ما كتبه في كتابه . لا ننكر أننا  
رأينا كتباً عصرية مملوءة بصور فوتوغرافية ولكننا لم نجد كتباً بخلافه  
مؤلفه بصور مبتكرة من خياله نقشها يده لتصوير ما أملاه عليه ضميره .  
ونظرة منا لهذه الصور تكفى لأن تثبت لنا قدرة الكاتب وعبقريته  
في فن التصوير ولقد قرأنا عنه أنه سافر خصيصاً لباريس لدرس هذا الفن  
وشهد له كبار المصورين في فرنسا بالتبوغ .

غرض المؤلف من تأليف الكتاب :

أراد جبران بتأليف هذا الكتاب نقد المجتمع البشري وما حواه  
من عادات وشرائع وقوانين . لم يجد جبران في المجتمع الانساني إلا  
أكاذيب تفضل الناس عن الطريق السوي وما الطريق السوي إلا العودة  
إلى الطبيعة وبساطتها ، تلك البساطة التي لا تكاف الناس شيئاً بل تفرهم  
بعضهم من بعض وتمحو من قلوبهم ما ألصقته بها حياة المجتمع وقوانينه  
من الأدوار والأهمل وما أجل قوله

ليت شمري أى نعم في اجتماع وزحام  
وجدال وضجيج .. واحتجاج وخصام :

يرى جبران في المجتمع الانساني قوانين وعادات يسود بها البعض  
ويذل بها الآخرون . فأين إذا سعادة النفس وهناء القلب والناس كالقناب  
لا تسمى إلا في ضرر غيرها فالسميد في الحياة هو من بنى له قصر أعلى  
قبور اخوانه المساكين الذين داسهم بأقدامه الضخمة دون أن يرحمهم أو

تأخذه بهم الشفقة والحنو . أما في الغاب حيث تجلي الطبيعة وتجلس  
البساطة على عرش الرحمة والتأخي فالحياة فيها كما قال .

ليس في الغابات راع لا ولا فيها القطيع  
فالشتا يمشى ولكن لا يجاربه الربيع  
خلق الناس عيداً للذي يأبى الخضوع  
فاذا ما هب يوماً ساراً سار الجميع  
أعطى الناي وغن فالتنا برعى العقول  
وأين الناي أبقى من مجيد وذليل

واختار جبران لتصوير فكرته شخصين الأول شيخ عاش في  
المدينة طول عمره وخبر ما فيها من العادات والقوانين والشرائع والأوامر  
والأكاذيب ثم خرج إلى الغاب بعد تجربته وخبرته ليستريح من وعثائه  
سفرته الطويلة التي قضائها جاثلاً في أنحاء المدينة . فالتقى في الغاب بشاب  
لم تر عيناه غير أشجار الغاب ولم يتنفس غير هوائه الطلق ولم يسمع غير  
ألحان طيوره . فالأول شيخ ضامر التجاليد محدودب الظهر مرتجف  
الأنامل والثاني فتى جميل الصورة قوى البنية حاملاً نايه في يده ليحيى  
الطبيعة بأناشيده الخالدة . يلتقى الرجلان في الغاب ويبدى كل منهما  
آراءه في الحياة . الأول لم يجد في حياة المجتمع الانساني غير التشاؤم  
والشقاء والثاني لم يجد في حياة الغاب غير السعادة والهناء . هذا هو  
ملخص ما أراد جبران إثباته في كتابه ومن هذه المحاور الشيقة التي  
يخطها بيده تظهر لك بآراءه الفلسفية في الحياة وفي الشرائع والاديان .

على أنه لا يقصد في كتابه أن يدعو الناس الى عيشة الغاب وهجر المدن ولكنه يريد أن يتبسط الناس في حياتهم وأن يتركوا الروابط الكاذبة التي تربطهم في مجتمعا البشرى وما الغاب الذى كتب عنه جبران إلا رمز البساطة لا ينتج عنها إلا الهناء والسعادة .

قيمة الكتاب : لابالغ في القول لو قلنا أن الكتاب هو من خيرة ما أخرج للناس في عهدنا الحاضر ففيه تجلى عبقرية جبران وفيه نسمع صراخ وحيه القادر ذلك الوحي الالهى المتمرد الذى ظهر لنا فى هذا الكتاب ساخطا على قوانين البشر على لسان الفتى ابن الغاب بعد أن يشرحها ويحللها على لسان الشيخ ، شيخ المدينة .

جبران كتب لنا هذا الكتاب متمججا خطة جديدة فى أسلوبه الشعرى وشارحا لنا أفكارا فلسفية جديدة أيضا ولقد نجح نجاحا كبيرا يغبطه عليه كل أديب .

نقد الكتاب : حاول جبران افندى أن يأتى فى ثوره بأسلوب جديد فنجح نجاحا كبيرا ثم حاول أن يأتى لنا بأسلوب جديد فى شعره فنجح ولكنه لم ينجح النجاح الذى يريده له كل محب اشعره شغوف بما تخطفه يده . فتراكيبه فى النظم غير متناسقة كما هى فى النثر ولكن ذلك لا ينقص من قيمة الكتاب ونحن على يقين تام أن ضعف أسلوبه فى النظم سيزول على ممر الايام وسوف يكتب لنا الكاتب فيما بعد كتبنا منظومة خالصة من كل وهن ويكفيها منه الآن شاعريته الكبيرة وعبقريته التى ليس لها

حد ووجه المتهم الذي يغور في خفايا القلوب ليضيء ظلماتها ويفرج عنا  
الهموم والكروب .

أمثلة من شعره :

على لسان الشيخ :

الخير في الناس مصنع اذا جبروا      والشر في الناس لا يقى وان قهروا  
وأكثر الناس آلات تحركها      أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر  
فلا تقولن هذا عالم علم      ولا تقولن ذاك السيد الوقر  
فأفضل الناس قطعان يسير بها      صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر  
على لسان الفتى .

ليس في الغابات حزن

لا ولا فيها الهموم

فاذا هب نسيم

لم تجبى معه السعوم

ليس حزن النفس إلا

ظل وهم لا يدوم

وغيوم النفس تبدوا

من ثناياها النجوم

أعطى الناي وعن      فالغنا يمحو المحن

وأين الناي يبقى      بعد أن يفنى الزمن

## على لسان الشيخ

والدين في الناس حقل ليس يزرعه      غير الأولى لهم في زرعه وطر  
من آمل بنعيم الخلد مبتشر      ومن جهول يخاف النار تستعر  
فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا      رباً ولولا الثواب المرتجى كفروا  
كانما الدين ضرب من متاجرم      ان واضبوا رجوا وأهملوا خسروا  
ومن أحسن ما قاله قوله على لسان الفتى :

ليس في الغابات سكر  
من خيال أو مدام  
فالسواقى ليس فيها  
غير إكسير النعام  
إنما التخدير ندى  
وحليب للانعام  
فاذا شاخوا وماتوا  
بلغوا سن القطام

أعطى النأى وعن      فالتنا خير الشراب  
وأين النأى يبقى      بعد أن تهنى الرصاب

وليس لنا في الخاتمة إلا أن تقول أن جبران افندى جبران عبقرى  
في شره وعبقرى في شعره وعبقرى في صوره ونحن ننصح جميع القراء

أن يقرأوا كتبه ليعرفوا مذهبه الجديد في الأدب ويقفوا على أفكاره  
السامية وينشدوا معه قصائده الخالدة  
(٢٥ ديسمبر سنة ١٩١٩)



## شوقي<sup>(١)</sup>

أحمد في الانبياء وأحمد في الشعراء  
(صادق عنبر)

من منا لا يعرف الشاعر الكبير أحمد شوقي ؟  
من منا لم يقرأ قصائده الخالدة وحكمه الغالية . ومن منا لم يربعين  
الخيال صوره الطبيعية التي صورها لنا وحيه الالهى في قصائده العامرة ؟  
الطفل في مدرسته يحفظ عن ظهر قلب آياته الرشيقة والشاب في  
رواق شبابه يتزعم بقصائده الغزلية والشيخ الذى أعرشه الهرم يتلو حكمه  
إذا آوى الى خلوته لينظر للحياة نظره الفلسفية فيقول  
خلقنا للحياة والعمات ومن هذين كل الحادثات  
هذا هو شاعرنا الكبير أحمد شوقي شاعر مصر ولا ننالى في القول  
لو قلنا شاعر الشرق .

---

كتبت هذه المقالة بمناسبة قرب عودة شوقي بك القاهر من منفاه  
في الأندلس.

شوقى هو أول من وصف الطبيعة من الشعراء المصريين بل هو أول من أجاد وصفها ولو ضربنا صفحا عن قصائده في باب المديح ولم نقرأ منها الا الجزء الذى خصه بالنزل والوصف والحكم رأينا فى شاعرنا الكبير عبقرىا عظيما لا يجود الزمان بمثله فى كل آن .

مرت على شوقى أطوار عديدة تكونت فيها شاعريته والحال كذلك مع كل شاعر .

ابتدأ شاعرنا حياته مقلداً شعراء العرب وتغنى فى قراءة المتنبي فسلك مسلكه ولكنك كنت ترى من خلال قصائده الأولى بصيص نور جديد نور شخصيته المعقريه ووجهه الالهى .

وكيف لا يكون الامر كذلك وهو القائل :

ما تراها تناست اسمى لما	كثرت فى غرامها الاسماء
إن رأيتى تميل عني كأن لم	تك بينى وبينها أشياء
نظرة فابتسامة فسلام	فكلام فوعد فلقاء
يوم كنا ولا تسلك كيف كنا	تهادى من الهوى ما نشاء
وعليتنا من العفاف رقيب	تعبت فى مراسه الاهواء
جاذبتنى ثوبى المعصى وقالت	أتم الناس أيها الشعراء
فاتموا الله فى قلوب المذارى	فالعذارى قلوبهن هواء

وهو القائل فى قصيدة عن حياة اسماعيل باشا خديوى مصر .

لم ير الناس مثل أيام نما ك زمانا ولا كيؤسك عهدا  
كنت إن شئت بديل السعد نحسا وإذا شئت بديل النقص سعدا

يتمشى القضاء خلف نواهيك حديد الاظفار يطلب صيدا  
أنت من ممثّل السعادة لو لم يكن ذلك النسيم أخذنا وردا  
وهو القاتل أيضا في وصف غاب بولون .

يا غاب بولون ولى ذم عليك ولى عهد  
زمن تقضى للهوى ولنا بطلك هل يمود  
حلم أريد رجوعه ورجوع أحلامي بعيد  
وهب الزمان أعادها هل للشيبه من بعيدا  
وهو القاتل أيضا .

وانما الام الاخلاق ما بقيت فان م نهبت أخلاقهم ذهبوا  
لو قارنت هذه الاشعار باشعاره التى نحي فيها نحو الشعراء الاولين  
مقيداً نفسه بسلاسل التقليد دون أن يطلق العنان لمبقرته ووجهه لظهر  
لك الفرق الكبير والبون الشاسع . قل لى بربك أصبح أن تسب لصاحب  
الايات التى قرأتها الآن تلك الايات الآتية .

سويح للنيل رفقا بالسويداء فما تطيق أنين المفرد الثانى  
قه واد كما بهوى الهوى عجب تركت كل خلى فيه ذا داء  
وأنت فى الامر تشكوما تكابده لصخرة من بنى الاعجام صماء  
فلو رأيتك بين السمع لانفجرت وياه مشرق شمس الضاد بالراء  
أو قوله مثلا :

لا السهيد ينينى اليه ولا الكرى طيف يزور بفضلها مهما سرى  
تخذ الدجى وسماءه ونجومه سبلا الى جفنيك لم يرضى الثرى



لقد كان الشاعر في ذلك الطور من حياته قليل الاكتراث  
بشخصيته وعبقريته ولهذا كنا نقرأ له الفث والسمين . ثم تحول عن  
طريقه القديم وشرع لنفسه خطة جديدة أتى فيها بالمرقص والمعجب  
وتجلت فيها مواهبه البقرية وارتقى فيها الى سماء الالهة ، آلهة الشعر  
يبدأ أنه لم ينبج من باب المديح فكان ضحية الظروف ، والمديح باب من  
الشعر لا يصح أن نطلق عليه اسم شعر ولكن ما آتاه شوق من  
القصائد الخالدة في طوره الثاني غفر له زلته وكيف لا نجد من قال :

الرؤوس مائلة	في الصدور تحتجب
والنحور قائمة	قاعد بها الوصب
والنهود هامة	والحدود تلهب
والنصور واهية	بالبنان تجذب

أو من قال :

بست العدو بكل شبر مهجة	وكذا يباع الملك حين يرام
ما زال ينك في الحصار وينه	شم الحصون وثلهن عظام
حتى حواك مقابرآ، وحويته	جثثآ، فلا غبن ولا استنمام

أو من قال :

قف بتلك القصور في اليم غرقى	ممسكا بعضها من الذعر .. بعضا
كمذارى أخفين في الماء بضاً	ساحجات به وأبدن بضاً
مشرقات على الزوال وكانت	مشرقات على الكواكب نهضا
شاب .. ن حولها الزمان وشابت	وشباب الفنون ما زال غضا

ثم أتى على الشاعر الطور الثالث ، الطور الذى تفض فيه يديه من باب المديح كما يخرج البلبل من قفصه ليشدو على الأغصان فيحيى الصباح ويداعب النسيم ويذكر الله إذا أتى الليل ودائه الأسود على صفحة الكون . فى ذلك الطور طورنا الحالى لا يعرف شوق غير شخصيته ولا ينظم إلا من أجل شخصيته . فى هذا الطور يبلغ شوق ذروة المجد وتسجد الشعراء أمامه معترفين بفضلته وعبقريته . ومن قصائده فى ذلك المهد قصيدته القافية عن النيل وقصيدته التى نظمها من أجل الشبان المتعربين والتى قال فى مطلعها .

ناثىء فى الورد من أيامه      حسبته الله أبالورد عثر  
سدد السهم الى صدر الصبا      ورماء فى حواشيه الفرر  
يبد لا تعرف الشر وما      صلحت إلا للهو بالأكر  
ولا نفسى أيضا سينيته الجديدة      التى ارسل بها من الاندلس والتى  
يقول فيها .

وطنى لوشغلت بالخلد عنه      نازعتنى اليه فى الخلد نفسى  
والآن سيعود شاعرنا الكبير الى وطنه ، سيرجع البلبل الى عشه .  
سوف تقرأ عن قريب قصائده الخالدة التى أوحى بها اليه وحيه بين اطلال  
مدينة العرب فى الاندلس . فلهنأ مصر بشاعرها ولهنأ الشاعر بوطنه  
بعد غربة طويلة . حن فيها الى مصر وحن فيها مصر اليه .

---

## وفاة ألفرد رول

توفي في أواخر شهر أكتوبر سنة ١٩١٩ المصور الشهير ألفرد رول بالثا الثانية والسبعين من عمره بعد أن قضى حياة لم يذق فيها غير طعم العمل ولقد بكاه جميع رجال الفن في باريس بل في فرنسا من شرقها لغربها ومن جنوبها لشمالها . واتخذ ألفرد رول لنفسه طريقة فنية لم يبقه فيها أحد من التلاميذ اللهم الا ابنه مارسيل رول فقد شهد المصورون للولد بأنه صورة من الوالد في جميع صوره الفنية . وكانت تنجلي شخصيته في طريقته الفنية وألفرد بتلك الطريقة التي صن بها على المصورين فلم يسمع عنه أنه قام بتدريسها لأحد ولهذا عاش وحيداً لأنحوم حوله التلاميذ شأن كبار المصورين وكان جميل الوجه طيب الأخلاق حسن الاحدوة لم يحتفل بالمناصب العالية الى أن أتبع له ارتقاء منصب رئاسة جماعة الفنون الاهلية وقد مات وهو رئيس لهذه الجماعة . ونبغ ألفرد رول في جميع أنواع التصوير ومن صوره الشهيرة عن الأشخاص صورة هنري روشفور وصورة المصور نولو وزوجته وصورة جول سيمون الكاتب الاجتماعي الشهير .

ولم يقتصر على هذا النوع من التصوير بل نبغ أيضاً في تصوير المناظر الطبيعية ومناظر الجنود والجيش .

## أدمون رويستان

نعت الينا بريقة هافاس الشاعر الدرامي الكبير أدمون رويستان  
إختطفته المنية بعد حياة يضاء ناصمة قضائها في سبيل فنه جامعا بين  
الشعر والتمثيل فذهب ضحية الحمى الأندلسية في الساعة التي خفقت  
فيها قلوب الافرنسيين فرحا بنصرهم العظيم وشوقا لسماع أشعاره الحماسية  
عن فوزم الكبير . مات الشاعر المبقرى صاحب الصيت الطائر  
والشهرة الواسعة تاركا روايته الخالدة حية تقرأها الناس في كل مكان  
ومن ذا الذي لا يعرف رويستان ( وسيراودى برجرارك ) خير ما أخرج  
للناس في القرن العشرين بل خير كتاب أخرجه المذهب الرومانتيكي  
من يوم نشأته الى يومنا هذا . بدأ رويستان حياته الادبية في العشرين  
من عمره بدويان من الشعر أطلق عليه اسم ( ليمزارديز ) رأى فيه النقاد  
تلك الروح الحائرة التي رأوها في أشعار موسيه الاولى . ثم تحول عن الشعر  
الى الشعر التمثيلي وألف رواية ( لاسجارتين ) وأعقبها برواية ( لاپرنسس  
لوانتين ) ثم ألف رواية ( ليرومانسك ) وظهرت في رواياته الثلاثة تصورات  
البديعة وخياله السامي وهو اطفه القياضة وما كانت هذه الروايات غير مجموعة  
من القصائد التمثيلية التي يلتقي فيها الاحساس بالخيال ثم أخرج للناس رواية  
( سيراودى برجرارك ) في وقت اتخذ فيه الكتاب خطا ( اليبلايزم )  
أي الوقائع والحقائق وتعددت فيه الروايات الأجنبية وكثرت روايات  
العودفيل حتى مل الجمهور هذه الانواع وود أن يرى رواية تجمع بين

الحاسة والحب الطاهر والتضحية مع المواقف الهزلية أى رواية من نوع الرومانتيك (نوغ شكسير) فأتاه روستان بروايته الجديدة ووجد فيها الجمهور أمنيته فأعلى من شأنها عن جدارة واستحقاق وتحديثها الناس في العالمين الاوربي والاميركي وعدّها الأدباء خير رواية ظهرت في عالم الأديب بعد رواية (السيد) لشاعر فرنسا الكبير (بيركورنيل) ثم ألف رواية القصر الصغير عن حياة ابن نابوليون الاول وكتب في مقدمتها بيتين من الشعر معناهما (علم الله أنى لا أهاجم أحداً ولا أدافع عن أحد ولكنى أكتب قصة مقل بئس). وخير ما في هذه الرواية تلك القصيدة البديعة التى قولها ابن نابوليون وهو يحلم بواقعة (جرام) سامعاً صراخ المنتصرين وأنين المحتضرين. وسبق تلك القصيدة خالدة رغم أنف الليالى والأيام. ثم كتب رواية (شائكير) وما هى الا دعاية من نوع دعابات شكسير وذكرى تعيد لقارئها روايات رينارت وقصائد لافوتتين وفيها يخرج المثلون على المسرح فى زى الحيوانات يمثلون حسنات الناس وسيئاتهم ولكنه لم يبلغ فيها ما بلغه فى رواياته السالفة. واشتغل روستان بعد ذلك بتأليف رواية (دون جوان) ولكنه مات قبل إتمامها أو قبل إخراجها للناس ..

هذه هى حياة الشاعر الكبير وهى كما نرى حافلة بأكبر المآثر ومن العجيب أن زوجته شاعرة أيضاً. رحم الله روستان الشاعر المبقرى والعامل المجهد وليس لنا حيل هذا المصاب الكبير الا أن نغزى الأمة الافرنسية بفقد رجلها القادر والعالم أجمع بموت شاعره الدامى العظيم.

## شاتوبريان

ليس من السهل على الكاتب أن يبدى رأيه عن رجال الأدب في القرن التاسع عشر لقرب ذلك العهد من وقتنا الحاضر . فنكأننا نرى بعيني رأسننا رجال ذلك القرن وكأننا نعاشرهم ونحادثهم . وتاريخ الآداب يقضى بأن يكون بين الناقد ومن يتصدى لتقده زمن طويل ، بيد أننا لو سبرنا غور ذلك العهد وبجنتنا عن أسرارها بحثنا مستفيضاً لما غاب عنا ذلك التطور الكبير الذى أفتجته الحوادث السياسية والاجتماعية فى آداب اللغة الافرنسية فى ذلك القرن . ونعنى به ما قام به كتاب ذلك العصر من الحركة الجديدة التى قصت على القوانين القديمة بعد أن سلكوا طريقاً جديداً ساروا فيه بأقدام ثابتة ونفس آمنة وراء الخيال والشعور والمواطف وما كان للخيال والشعور قبل ذلك أثر فى آداب اللغة . ونشأ عن ذلك الشعر الوجداني والروايات وكان للعلوم الحديثة التى ظهرت فى ذلك القرن تأثير كبير على الآداب فملك الأدياء مسلك العلماء فى تحرير النظريات وتعميقها وإثباتها فنشأ علم النقد من العدم ووجد علم التاريخ أسساً ثابتاً يرتكز عليه وتنوعت أساليب اللغة وتمددت مفرداتها وانتقل إليها عدد كبير من مفردات اللغة الانكليزية والالمانية وظهر فى ادابها تأثير هاتين اللغتين . ويجنل بنا أن نقول أن أول من اختط

هذه الشرعة الجديدة وجرى في مضمارها شوطاً بعيداً فسارت على آثاره  
جميع الكتاب هو فرانسوا رينية شاتوبريان كاتب فرنسا العظيم في  
القرن التاسع عشر .

ولد شاتوبريان في بلدة سان ملو في الرابع من شهر سبتمبر عام ١٧٦٨  
ولما بلغ العشرين أتى لباريس دون أن يحظى بقسط وافر من العلوم  
والآداب حاملاً بين جنبيه قسماً حزيناً كثيرة لا يعلم سر أجزائها وألامها  
وما كان ذلك الحزن العميق الا نتيجة لحياة المضطربة التي قضاها في بلدته  
فلما أتى باريس خالط رجال الادب وود أن يقتنى أثرهم ولكنه سافر  
لأمريكا عام ١٧٩١ للسياحة وأفادته تلك السياحة كثيراً في تكوين خياله  
وانهاء عواطفه وعاد الى أوروبا حينما بلغه خبر حروب لويس السادس عشر  
ثم سافر الى انكلترا وطبع فيها سنة ١٧٩٧ كتابه عن الثورات . ولم يكن  
كتابه ذا قيمة كبيرة بل ولم تظهر فيه أراؤه التي اشتهر بها بين مواطنيه  
وهي الايمان بالدين المسيحي والتفاني في حب الملكية . وعاد الى فرنسا  
عام ١٨٠٠ وطبع فيها روايته ( آتالا ) عام ١٨٠٢ وروايته ( رينية ) ١٨٠٥  
وكتابه الشهداء عام ١٨٠٩ وكتابه ( الطريق بين باريس والقدس ) عام  
١٨١١ ثم انتخب في الأكاديمية الافرنسية والتي في قاعتها خطبته التي  
ندد فيها بالحكومة وجر عليه ذلك غضب نابليون الأول بعد أن كان  
على وثاق معه . ولما عاد آل بربون للعرش انحاز لجانبهم واشتغل بالسياسة  
ثم اعزها عام ١٨٣٠ مكرساً نفسه لكتابة كتابه العظيم ( ميموار دوتر  
تومب ) دون أن يقلب ظهر المحن لآل البربون .

ولم تنشأ أحزانه النفسانية عن فقر واحتياج لأنه قضى حياة سعيدة في مأمن من فكبات الحياة ولكنه كان ذا نفس حساسة وطبيعة ثائرة وعظمة كبيرة وأثنية دائمة . فلم يرق في عينه تلك الحياة السعيدة التي لم ينقصه فيها شيء واحترق تلك المظاهر الخداعة الكاذبة ولهذا عاش ومات كتيب النفس يحمل بين جنبية تلك الأوجاع وتلك الشجون التي ظهرت في جميع ماخطته يده وكان لها تأثير كبير على كُتّاب ذلك القرن . (روايته ريليه) : لم يتوخ شاتوبريان في روايته تحليل أخلاق شخص من أشخاص الحياة ولكنه عمد الى درس ما بنفسه من هموم وأوجاع وما كان لهذه الهموم وهذه الأوجاع سبب من الأسباب الخارجية بل كان مصدرها نفسه الهائلة المضطربة . واختار لروايته بطلا سماه ريليه نشأ في جو لم يجد فيه ما تصبو اليه نفسه وساح كثيراً ولكنه لم يستفد من سيلاحته شيئاً يذكر ولم يرق في عينه المجتمع الانسائي فعمد الى الاتحار يد أنه لم يقدم عليه لمصيبة كبرى قوضت دعائم قلبه وكانت سبباً في نجاته ولكنها لم تشفه من آلامه وهمومه . وقد شرح شاتوبريان في هذه الرواية حقيقة نفسه بل حقيقة نفوس الكتّاب والشعراء في ذلك العهد . فهي تاريخ للحياة الأدبية عام ١٨٠٠ . ولم يكن هذا الداء (داء الهموم والأوجاع من غير سبب) قاصراً على الأدباء في فرنسا فقد وجدناه جلياً واضحاً في رواية فرتر للشاعر الألماني جوته وفي جميع ما دونه الشاعر الانكليزي بيرون من أشعاره المبغرية . وفي مكتب جان جاك



روسو وغيرهم . وأصبح هذا الداء مذهبا من المذاهب الأدبية وقاعدة من قواعد الهيئة الاجتماعية في ذلك العهد .

( كتابه عبقرية الدين المسيحي *La Génie du christianisme* )

إذا أردنا البحث عن نظريات شاتوبريان الأدبية التي جعلته رئيسا لمذهب أدبي جديد تحتم علينا أن نقرأ هذا الكتاب لنعرف حقيقتها . فقد شرح فيه شاتوبريان تفوق الدين المسيحي وما أحدثه من الإصلاحات في الاخلاق والمعادن والآداب والفنون . وقسم كتابه الى أربعة أقسام خص القسم الثاني والثالث منها بحال الدين المسيحي وهوذا الكبير . ويرهن فيهما عما أحدثته المسيحية من رقي الشعور والعواطف التي لم يكن لها أثر عند الكتاب أيام الوثنية . وحلل أخلاق الاممات والآباء والابناء والجنود والكهنة في المهددين وأظهر للقارىء الفرق واضحا جليا ، فما كانت قيمة هذا الكتاب ؟

لام النقاد شاتوبريان استماله المسيحية كآلة لخدمة الفنون والآداب ورأوا فيما كتبه نظرات سطوعية عن الدين من غير استقراء في حقيقته ولقد صدق النقاد فيما ارتأوه يد أن قيمة الكتاب لم تكن بما كتب فيه عن الدين المسيحي بل بما احتواه من المنهج الجديد الذي حتم على الكتاب أن ينفذوا أيديهم من غبار الماضي ويسلكوا طريقا جديدا للاداب والفنون وهذا هو سر شهرة الكتاب وإحلاله المقام اللائق به . فهو أول كتاب خط للكتاب شرعته الجديدة .

( كتابه الشهداء ) : أراد شاتوبريان أن يكتب كتابا يظهر فيه آراءه

جلية واضحة في شكل قصيدة مثورة يبين فيها تهوق آداب الدين المسيحي عن آداب الميثولوجيان Mythologie في عهد الوثنية فاختر عهد الاضطهادات في القرن الرابع أى عهد النضال بين المذهبين المسيحي والوثني وكتب كتابه الشهداء ولكنه لم ينجح فيه نجاحاً كبيراً لما أتى به من الخرافات والا كاذب ولكنه نجح في تحليل أخلاق بعض أشخاص الكتاب كأيدور Eudore وسيودوسه Cymodocée وفليد (Velléde).

(نهضة شاتوبريان) : بعد النقاد شاتوبريان كاتباً قديراً خدم اللغة الفرنسية خدمة يدونها له التاريخ فهو أول من ابتدع الخيال والتصوير في النثر بعد أن كان مفترأً لها ولكنهم يلومون عليه ما يشعر به القارئ عند قراءة كتبه بشئ من التحايل في الاسلوب . بيد أنه رغم ذلك بحث في آلام النفس وأوجاعها وأدخل الخيال والمواطف في النثر وأوجد بما كتبه الأساس الاول للشعر الوجداني ولهذا أطلق عليه النقاد لقب مؤسس المذهب الرومانتيكى .

(معربة بصرف كبير عن كتاب دوميك.)

---

الكتاب الرابع

---

ما تراه العيون

قطع قصصية معرنة



## في القطار

صباح ناصع الجبين يحلى عن القلب الحزين ظلماته ويرد للشيخ شبا به  
ونسيم عليل ينمش الاقلدة ويسرى عن النفس هومها . وفي الحديقة  
تمایل الأشجار يمنة ويسرة كأنها ترقص لقدوم الصباح ، والناس تسير  
في الطريق وقد دبّت في نفوسهم حرارة العمل وأنا مكتئب النفس أنظر  
من النافذة لجمال الطبيعة وأسائل نفسي عن سر اكتئابها فلا أهدى لشيء  
تناولت ديوان موسيه وحاولت القراءة فلم أفلح ، فألقيت به على  
الخوان وجلست على مقعد واستسلمت للتفكير كأنى فريسة بين مغالب الدهر  
مكثت حيناً أفكر ثم نهضت واقفاً وتناولت عصاى وغادرت منزلى  
وسرت وأنا لا أعلم الى أى مكان تقودنى قدمائى الى أن وصلت الى محطة  
باب الحديد وهناك وقفت مفكراً ثم اهتديت للسفر زويجا للنفس -  
وابتعت تذكرة - درجة ثانية - وركبت القطار للضيعة لأقضى فيها  
نهارى بأكله .

جلست فى احدى غرف عربات القطار بجوار النافذه ولم يكن بها  
أحد سواى وما لبثت فى مكانى قليلا حتى شمت صوت بائع الجرائد يطن  
فى أذنى ( وادى النيل . الاهرام . المقطم ) فابتعت احداها وهمت بالقراءة  
واذا بباب النرفة قد انفتح ودخل شيخ من الممسين أسمر اللون طويل  
القامة نحيف القوام كثر اللحية له عينان أففل أجفانها الكسل فكانه  
لم يستيقظ من نومه بعد . وجلس الاستاذ غير بعيد عنى وخلق مركوبه

الأحر قبل أن يتربع على المقعد ثم بصق على الأرض ثلاثاً ماسحاً شفتيه  
بمعدبل أحر يصلح أن يكون غطاءً لطفل صغير . ثم أخرج من جيبه منسجحة  
ذات مائة حبة وجبة وجعل يردد اسم الله والنبي والصحابه والاولياء  
والصالحين . فحوت نظري عنه فاذا بي أرى في الغرفة شاباً لا أدرى من  
أين دخل علينا ولعل اشتغالى برؤية الاستاذ منغى أن أرى الشاب  
ساعة دخوله .

نظرت الى الفتى وتبادر لذهنى أنه طالب دنى انتهى من تأدية امتحانه  
وهو يعود الى جنيسه ليقتضى أجلزته بين أهله وقومه . نظر الى الشاب  
كما نظرت اليه ثم أخرج من عفظته رواية من روايات مسامرات الشعب  
وم بالقراءة بعد أن حول نظره عنى وعن الاستاذ . ونظرت للساعة راجياً  
أن يحرك القطار قبل أن يوافينا مسافر رابع فاذا بأفندى وضاح الطلعة  
حسن الهندام دخل غرفتنا وهو يقبض فى مشيته ويردد أنشودة طالما  
سمعتها من باعة الفجل والتمرس . جلس الافندى وهو يتسهم وأضمار جلا  
على رجل بعد أن قرأنا السلام فرددناه رد التريب على التريب

وساد السكون فى الغرفة والتلميذ يقرأ روايته والاستاذ يسبح وهو  
غائب عن الوجود والافندى ينظر للملابسه طوراً وللمسافرين تارة أخرى  
وأنا أقرأ وادى النيل منتظراً أن يحرك القطار قبل أن يوافينا  
مسافر خامس .

مكثنا هنيهة لا نتكلم كأننا نتظر قدوم أحد فانفتح باب الغرفة  
ودخل شيخ يبلغ الستين أحر الوجه براق العينين يدل لون بشرته على أنه

شركسى الأصل وكان ممسكاً مظلة أكل الدهر عليها وشرب ، أما حافة  
طربوشه فكانت تصل الى أطراف أذنيه ، وجلس أمامى وهو يتفرس  
فى وجوه رفاقه المسافرين كأنه يسألهم من أين هم قاصدون وإلى أين هم  
ذاهبون ثم سمعنا صفير القطار تنبئ الناس بالمسير وتحرك القطار بمد قليل  
يقل من فيه الى حيث هم قاصدون .

سافر القطار ونحن جلوس لا نتبث بينت شفاه كأننا على رؤوسنا  
الطير حتى اقترب من محطة شبرا فأذا بالشركس يحملق فى ثم قال موجهاً  
كلامه الى :

هل من أخبار جديدة يا افندى ؟

قللت له وأنا ممسك الجريدة يىدى — ليس فى أخبار اليوم ما  
يستلفت النظر اللهم إلا خبر اهتمام وزارة المعارف بتعميم التعليم وعملية  
الأمية .

ولم يهملنى الرجل أن أتم كلامى لانه اختطف الجريدة من يدى  
دون أن يستأذنى وأبدأ بقراءة ما يقع تحت عينيه ، ولم يدهشنى ما فعل  
لأنى أعلم الناس بمحنة الشراكسة . وبعد قليل وصل القطار محطة شبرا  
وصعد منها لفرقتنا أحد عمدة القليوبية وهو رجل ضخم الجثة كبير  
الشارب أفتس الأنف له وجه به آثار الجدى تظهر عليه مظاهر  
القوة والجلل . جلس العمدة بمحوارى بعد أن قرأ سورة الفاتحة وصلى  
على النبي ثم سار القطار قاصداً قليوب .

مكث الشركسى قليلا يقرأ الجريدة ثم طواها وألقى بها على الأرض وهو يحرق الأرم وقال .

— يريدون تعميم التعليم وعاربة الأمية حتى يرتقى الفلاح الى مصاف أسياده ، وقد جهلوا أنهم يجنون جناية كبرى .

فالتعلت الجريدة من الأرض وقلت :

— وأى جناية ؟

— إنك ما زلت شابا لا تعرف العلاج التلجع لتربية الفلاح .

— وأى علاج قصد ؟ وهل من علاج أنجمع من التعليم ؟

فقطب الشركسى حاجيه وقال بلهجة الغاضب .

— هناك علاج آخر .

— وما هو ؟

فصاح بلى فيه صيحة أفاق لها الاستاذ من نومه وقال :

— السوط . إن السوط لا يكلف الحكومة شيئا أما التعليم فيطلب

أموالا طائلة ولا تنسى أن الفلاح لا يذعن إلا للضرب لأنه اعتاده

من المهد الى اللحد .

وأردت أن أجيب الشركسى ولكن العملة حفظه الله كفاى

مؤونة الرد فقال للشركسى وهو يتشم ايتسامه صفراء .

— صدقت يا ييه صدقت . ولو كنت تسكن الضياع مثلنا لقلت

أكثر من ذلك . إتنا نماني مع الفلاح ما نماني لتكبيح جماعه وغنمه عن

ارتكاب الجرائم .



فنظر اليه الشركى نظرة اريباب وقال :

— حضرتكم تسكنون الارياض ؟

— أنا مولود بها يا ييه .

— ما شاء الله .

جرى هذا الحديث والاستاذ ينط في نومه والافندى ذو الهندام الحسن ينظر للملابسه ثم ينظر لنا ويضحك أما التلميذ فكانت تظهر على وجهه سيماء الاشمزاز ولقد تم بالكلام مراراً فلم يمنعه إلا حياؤه وصغره سنه . ولم أطلق سكوتاً على ما فاه به الشركى فقلت له .

— إن الفلاح يا ييه انسان مثلنا وحرام أن لا يحسن الانسان معاملة أخيه الانسان .

فالتفت الى المدة كأتى وجهت اليه الكلام وقال :

— أنا أعلم الناس بالفلاح ولّى الشرف أن أكون عمدة في بلد به

ألف رجل ولّين شئت أن تقف على شئون الفلاح أجيبك . أن الفلاح

يا حضرة الافندى لا يفلح معه إلا الضرب ولقد صدق البك فيما قال .

وأشار يده الى الشركى .

فقال الشركى وهو يبتسم ابتسامة الساخر .

— ولا ينبؤك مثل خير .

فاستشاط التلميذ غضباً ولم يطق السكوت فقال وهو يرتجف :

— الفلاح يا حضرة المدة

قطاطمه المدة قاتلا

— قل « يا سعادة البك » لأنى حزت الرتبة الثانية منذ عشرين سنة  
فقال التلميذ

— الفلاح يا حضرة العمدة لا يذعن لأوامركم الا بالضرب لانكم  
لم تعودوه غير ذلك فلو كنتم أحسبتم صنيعكم معه لكنتم وجدتم فيه أذا  
يتكاتف معكم ويعاونكم ولكنكم مع الاسف أسأتم اليه فعمدا الى الاضرار  
بكم تخلصوا من اساءتكم . وانه ليدهشنى أن تكون فلاحا ونهى باللائمة  
على اخوانك الفلاحين .

فهز العمدة رأسه ونظر للشركسى وقال :

— هذه هى نتائج التعليم

فقال الشركسى :

— نام وقام فوجد نفسه قائم مقام

أما الافندى ذو الهندام الحسن فانه قهقه ضاحكا وصفق يديه  
وقال للتلميذ — برافو يا أفندى برافو برافو

فنظر اليه الشركسى وقد انتفضت أوداجه وتسرع عليه التنفس وقال :

— ومن تكون أنت ؟

— ابن الحظ والانس يا أنس .

وضحك عدة ضحكات متواليات .

فلم يبق فى قوس الشركسى منزع فصاح وهو يصق على الأرض  
طورا وعلى جبة الاستاذ وعلى حذاء العمدة تارة  
— أدبسينى . بس فلاح .

ثم سكنت وسكت الحاضرون وأوشكت أن تهبط الماصفة لولا  
أن التفت العمدة للاستاذ وقال :

— أنت خير الحاكمين يا سيدنا فاحكم لنا في هذه القضية . فجز  
الاستاذ رأسه وتخنخع وبصق على الارض وقال :  
— وما هي القضية لأحكم فيها بأذن الله جل وعلا  
— هل التلميم أفيد للفلاح أم الضرب  
فقال الاستاذ :

— بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، قال النبي عليه  
الصلاة والسلام « لا تعلموا أولاد السفلة العلم »  
وعاد الاستاذ الى خوله وأطبق أجفانه مستسلماً للذهول . فضحك  
التلميذ وهو يقول :

— حرام عليك يا أستاذ . ان بين الغنى والفقر من هو على خلق  
عظيم كما أن بينهم من هو في الدرك الأسفل .  
فأفاق الاستاذ من غشيته وقال :

— واحسرتاه . انكم من يوم ما تعلمتم الرطان فسدت عليكم  
أخلاقكم ونسيتم أوامر دينكم ومنكم من تبيع وبني واستكبروا ونكروا  
وجود الخالق

فصاح الشركسى والعمدة ( لك الله يا أستاذ ) وقال الشركسى :  
— كان الولد يخاف أن يأكل مع أبيه واليوم يشتمه ويهم بصفحه .  
وقال العمدة :

— كان الولد لا يرى وجه عمته والآن يجالس امرأة أخيه  
ووقف القطار في قلوب فقرأت الجميع السلام وغادرتهم وسرت  
في طريقى الى الضيعة وأنا أكاد لا أسمع دوى القطار وصغيره وهو يعدو  
بين المروج الخضراء لكثرة ما يصبح في أذنى من صدى الحديث .  
( ٧ يونيو سنة ١٩١٧ )

---

### عطفت ( ..... ) منزل رقم ٢٢

دخلت غرفة على بوزارة ( ..... ) وجلست أمام مكتبى وأمسكت  
بجريدة وادى النيل أقرأ شيئاً عن السياسة وعن الاخبار وما لبثت في  
مكافئ دقيقتين إلا وحانت منى التفاتة للباب فرأيت زميلى أمين على  
. يتندرنى السلام بقوله

— صباح الخير يا ابو على  
فألقيت الجريدة على المكتب ورددت السلام بأحسن منه ثم كتائب  
زميلى فتشابهت وقلت

— جازاك الله يا أمين بالموت على ما بدر منك أمس لقد سقتنى  
الى بؤرة كدت أن أموت فيها  
. — أينما الخطى ؟

— الله أعلم

— دعنا من الكتاب . تلك ليلة لا يسمح الزمان بمثلها الا في السنة مرة ولولا تهافك على الحمر وإكثارك من معارفها لما سألت الله أن يجازيني بالموت على هذا الجميل الذى أسديته اليك .  
— ولكنى ما زلت أشكو ألما فى الرأس وثقلا فى الجسد ويأجذبنا لو كان اليوم يوم الجمعة

— وماذا كنت تفعل ؟

كنت أتناول مسهلا وأزرم سربرى طول يومى

— تأتى الريح بما لا تشتهي السفن

ثم جلس أمين أمامى وأسند رأسه يديه ونام أو استسلم للنوم فنظرت اليه وظهرت لى على وجهه صورة شنيعة . صورة المدمن الذى لا يفارق الحانات والمواخير ويوت الفسق والدعارة إلا عند الفجر فقلت فى نفسى إن هذه الصورة المرتسمة على وجهه مازالت مرتسمة على وجهى أيضا ، إنه يحب الحمر وأنا لا أبغضها ، هو زير نساء وأنا أبحث عن المرأة فى كل مكان فلا فرق بينى وبينه الا أنه متزوج وأنا أعزب ولكن الفرق ليس بالكبير لأنه لا يرى امرأته الا ست ساعات فى كل يوم يقضيها وهو مستلق على ظهره بجوارها ينط فى نومه فامرأته فى نظره كالوسادة فى نظرى . فنحن اذا فى مستو واحد .

وظفت فى وزارة ( ... ) منذ ستة أشهر عرفت أمين فى اليوم الأول من الشهر الأول منها واتخذت بعشرته وربطتني به رابطة الاتفاق فى المشرب لا رابطة الود والوفاء ولكنى استشعرت بمد أن قضيت معه

شهرين على صفاء ووثام برابطة الصداقة تربطني به وتربطه بي ومالبثنا ان أصبحنا صديقين لا نفترق الا بعد منتصف الليل . كنت اشتغل معه في الوزارة وكنت أقضي معه عصر كل يوم في سيلنديار واذا دنا وقت المشاء أكلنا سويا في مطعم أو بليسك أو مطعم أركل وكاسات الجعة تحف بخواننا . ثم نقضى الليل في دار من دور التمثيل أو في بيت من البيوت المفتوحة أبوابها للناس أجمعين ثم نرجع كل لمنزله فكنت أسير معه الى باب بيته في عطفة ( . . . ) رقم ٢٢ وأسير في طريقي لمنزلى وأنا لا ألوى على أحد . كان هذا شأنى معه وكنت مسرورا من عشرته مقتبضا بوفائه ومحبة وظننت أنى سأبقى مستودع أسرارہ الى الأبد ولم يحدث بيننا والحمد لله في الستة الا شهر التي مضت ما يدعو للهجر أو القطيعة .

ثم أفاق أمين من نومه وأعطاني سيكارة أشعلتها بعد أن أشعل أختها لنفسه ومكثنا هنيهة نفكر ثم التفت الى وقال :

— آه من النساء

— انك ترى فىهن رأيا يخالف فيه سواد الناس

— أنا لا أحب الا من يرتدين الازار البلدى (١)

— وأنا لا أكره الا هؤلاء .

— يا للجب أ تكره بهذا الصنف من النساء وينهن من يستهوين

الأقنعة ويمسكن النفوس

— انى لا أرى فى ذات الازار البلدى الا امرأة قذرة مبتذلة يأفف

منها كل ذى ذوق سليم

— أشكرك

ثم ضحكنا والتفت الى أمين وقال :

— أن ينهن نساء ذوات حسب ونسب يحشين القضية فيسترن

بهذا الازار حتى لا يعرفن أحد من أزواجهن

— أظن ذلك ؟

— بل أعتقده وإن شئت سردت لك حوادث وقعت لي مع أمثالهن

وابتدا في سرد قصص كثيرة اندهشت لسماعها وظننت أن ليس

في مصر من الاسكتندرية الى اسوان امرأة عفيفة فقلت له :

— لا ثقة لي بامرأة بعد اليوم

— كل النساء خائنات وعينا الثقة بهن

فسكت ولم أنطق بينت شفة وماذا يريد القارىء أن أقول وصديقي

متزوج له امرأة يفار عليها وكأنه فطن لما كنت أحدث نفسي به

فقال وهو يتسم

— ما الذى أسكتك ؟ أيدعشك أنى أرى النساء بالخيانة وينهن

زوجتى ؟ ولكن امرأتى يا صاح فى مأمن من كل ذلك لأنها تعيش مع أمى

وأمرى من النساء اللواتى لا تلاحق معهن شدة ولا رجاء

ثم انقطع حديثنا وقام أمين لمكتبه وابتدأت أن اشتغل قليلا بعد

أن سألت الخادم أن يأتينى بفنجان قهوة

غادرت الديوان وزهبت لأتناول الغذاء في المنزل ثم خرجت عصر ذلك اليوم للقاء أمين في اسبلندديار وانتظرته هناك نصف ساعة ثم مللت الانتظار فقامت لأعشى في شارع بولاقي فاذا به يموج بالناس من مصريين وافرنج ومنهم من يتبع النساء ومن النساء من يدخلن حانوت شكوريل أو شملا لشراء حاجياتهن أو بحجة شراء ما تتوق اليه أنفسهن ثم وقفت أنظر لامرأة مرتدية ازارا بلديا وتذكرت حديث أمين في الصباح وقلت في نفسي ما ضرتي لو تبعتها وقد اعجبني قواها النحيل ولحظها الفاتك ووطدت العزم على ذلك وما لبثت ان نفذت ما عزمته عليه .

سرت وراءها طويلا الى أن وصلنا الى تلك الحديقة الصغيرة التي يعرفها كل من اعتاد التنزه في شارع بولاقي وهناك اقتربت منها وقلت لها — لقد حق لك ولى أن نستريح فعلام الاسراع ؟

فنظرت الى ولم تجب ثم سارت في طريقها فقلت لها وقد شجعتني نظرتها

— الى أين ؟ خفى من سرعتك أيها الملاك الجليل فالتفتت الى مرة

ثانية وابتسمت ثم سارت على مهل فسرت معها جنباً الى جنب وقرأتها السلام فقالت

— علام تقضى أترى

— لأعطى منك بكلمة واحدة

— لقد سمعت منى عدة كلمات فدعنى وسر في طريقك

— ان طريقنا واحد

فابتسمت وقالت :



— يالك من أبله —

وتحادثنا طويلاً ثم سألتها أن نذهب لمصر الجديدة فقبلت يشاشة  
وسرور ورجعنا أدراجنا الى محطة المترو. وصلنا مصر الجديدة بعد عشرين  
دقيقة. ودخلنا لونا ببارك وصعدنا على الجبل الروسى راكبين القطار الصغير  
فكانت تمسك بملابسى كلما صعد بنا القطار أو هبط. وغادرنا لونا ببارك  
فأظهرت لى عند بابه الميل للمودة للقاهرة فقلت لها وأنا أستعطفها  
— علام هذا الاسراع والساعة لم تدق الساعة بعد. أين تنترك  
أحد فى المنزل

— كلا ان زوجى لا يمشى فى المنزل

— فلنقض معا اذا ساعة أخرى. وقد قضينا تلك الساعة فى مكان  
يظهر أنها لم تكن تجهله ولم يكن يحفلها  
ورجعنا بعد ذلك وركبنا عربة كانت تنتظر بجوار قهوة البسفور  
ولما وصلنا لميدان عابدين سألتنى أن أغادرها هناك فأجبتها لسؤالها عن  
طبية حاطر وأعطيت الحوذى عشرة قروش وودعها بعد أن تواعدنا على  
اللقاء بعد يومين

ثم تركتنى وسارت فى طريقها بعد أن استعطفتنى أن لا أتبعها ولما  
كادت أن تنيب عن عيى قام بنفسى أن أعرف أين تسكن حتى اذا ما  
أخلفت موعدها مى انتظرتها كل يوم أمام باب بيتها. ولما اقتربت منها  
سألت الله أن لا تلتفت فترانى فاذا بي أراها بعد قليل تسير فى عطفة (ال...)  
فدق قلبي دقات متوالية ثم وصلت للمنزل رقم (٢٢) والتمت لترى إن كان

هناك أحديتبعها ولكنها لم تبيني في الظلام لأن الشارع لم يكن من الشوارع  
المضاءة ودخلت المنزل فوقفت كالصنم لا أتحرك ثم عدت وأنا كاسف البال.  
باللحظة قد ارتكبت انماهاثلا ولكني لم أتعذر ارتكابه . لقد أصبحت  
خليلة صاحبي خليفة لي، ولكنها كانت خليفة سواي من قبل

..

في النقد ذهبت للديوان وجلست بجوار أمين وتحدثنا كالعادة  
وذهبتنا عصرًا لسبلندبار وتناولنا المشاء في أبلنسك وقضينا إيلتنا معافى  
ماخور من مواخير العاصمة كأن لم يكن حدث شيء بالأمس .  
( ١٨ يونيه سنة ١٩١٧ )

## بيت الكرم

أسرة مجدى مشهورة في مصر بالثروة والجاه يؤمها المستفيث  
ويقصدها كل ذى حاجة . توفي بها المرحوم عبد الله بك مجدى عن ستين  
عامًا قضاه — كما قالت الجرائد — في عمل الخير والبر والاحسان تاركا  
ولدين يبلغ أكبرهما الثلاثين والآخر لا يجاوز العاشرة وثلاث بنات أبنكار  
لم تسعد أكبرهن بعد بالزواج .

ورث المرحوم عن أبيه ثروة طائلة تريد عن الفى فدان أصناع معظمها  
حبا في الحر وسمياً وباء النساء فلم يترك لأولاده بمسد موته الا ثلاثمائة

من الأفدنة وعشرة من الرفاق كان يتفق عليهم من حرماله وكانوا يقضون منه الليل والنهار ليأتس بحديثهم ويقتل الوقت معهم . وأصبح الولد الأكبر — محمد بك مجدى — بعد وفاة أبيه رئيس أسرة مجدى وناهيك عن قيمة هذا اللقب فى أعين الرفاق المشرة بعد أن وجدوا فى الولد خير خلف لأبيه فلقبوه بابن المز والأمانة . ورب البيت الذى لم ينفق أباه فى وجه سائل . ولم يكن تلقى محمد بك من العلم والتربية ما يلهمه أن يضرب بأقوالهم عرض الحائط وأوحى إليه الجوالذى نشأ فيه أن لا يبيد عن الخطة التى اختطها أبوه لنفسه من قبل فرحب بالرفاق وجلس بينهم كما كان يجلس أبوه فى صدر المكان ومع حوالبه يكاد يدفعهم الخشوع والامثال الى الركوع والسجود .

..

نزل محمد بك من الحرم الى السلطك وهو مرتد جلاية بيضاء وعبادة من الحرير الأبيض وكان على الرأس متفخ العينين وقد نسج السهر لكل واحدة منهما إطلاراً أحمر كوراء طفل صغير فى رابطة التمار لولى الأديار خائفاً أن ينقض عليه ذلك البمع فيهم عظامه أو يسيل دماؤه مشى محمد بك مشية الزهو والتيه يميل به الإعجاب بنفسه ويرنج عطفه احتقاره للناس ، ومن مثل محمد بك على وجه البسيطة وهو التنى العظيم ابن الكرم والسيادة ويته مأوى البؤساء وملجأ الفقراء . وكان فى ذلك اليوم مقطب الوجه جابساً ساهماً وذلك لزيارة وسيط واقاه فى الصباح يطلب يد أخته الكبرى لابن أحد البيكوات . وهل يسمح محمد

بك بذلك ولا ختم حصّة فيما تبقى من ثراث أبيه يصرف ريعها على الحفلات اليومية التي يقيمها كل ليلة في بيته هو ورفاقه الكرام ، استغفر الله بل عبيده المخلصون . وصل محمد بك للسلك وكان الوقت مساء لأن البك لا يفيق من نومه الا في الساعة السادسة وكان من عادته النوم بعد الغذاء ولما دخل غرفة الاستقبال وجد الجماعة في انتظاره وقد تهيئوا للقائه فجلس بينهم وهو تائه النظر وقد تمدد ذلك حتى لا يقال أنه يتنازل لرؤية أخدم ثم نادى الخادم وأمره أن يجيء بزجاجات الوسكى وقام الخادم بما أمر به حتى قيام وتناول كل واحد قدحه وشربوا فأنجب البك .

وقام أخدم واقفاً وهو شيخ سكير يناهز الستين كان كاتباً بوزارة ( ... ) وأحيل على المعاش ولم يساعده معاشه على اقتناء الخمر والقيام بأود أسرته فالتجأ لمحمد بك وليس شيء أحب لنفس محمد بك من أن يلتجأ اليه من يظهر التفاني في محبته والخضوع لأوامره والحاجة العظمى لماله وطعامه وكان ذلك الشيخ من أصحاب النكات الطريفة المستلحة يترقب الفرص حتى اذا حانت أرسل النكتة من فيه فتقع في قلب منظره كما يقع السهم الصائب في ثنايا الصدر ولم يكن في تلك الحاشية التي جتمها يد المنكر والفساد رجل يحب الآخر فكلمهم متافروا المشارب مختلفو الأُميال ولم يتحدوا الا على كسب أهوال البك حلالات كان ذلك للكسب أم حراماً . قام ذلك الشيخ وقال للبك ا

— سيدى وولى نعمتى هل لي بك الشريفة أن تتناول الكمنجة ...

ولم يحمله البك أن يتم قوله فنهزه قائلاً

— كنى مجونا وهزرا —

اندعش الرفاق لما فاه به البك لاعتقادهم أن البك يجب من يتغنى  
بشهرته الواسعة في الكنجة . اندعش الجميع وسكتوا ولكن شيخنا  
السكير لم يندعش ولم يسكت بل ابتسم ابتسام الفائز وقال وفي صوته  
رنة الرجاء والاستطاف

— الناس لا تشك في هزرى ومجوني وم أيضا لا يشكون في  
نبوغك وعبقريتك قبل لسيدى أن يتنازل ويشنف آذان عبيده

ونظر البك للسماء ماداً يده لوجه الشيخ  
تقطن صاحبنا لما يدور في خلد البك فتش على أطراف أصابعه الى  
أن وصل تلك اليد الشريفة وتناولها في يده وقبلها مراراً وهو يرجو  
ويستعطف

فقبل البك رجاءه وشنف آذان رفاقه ولم يكن حفظه اقة حاتم على  
عبيده ولكنه كان ممن اذا رجا أحد ودوا لو كرر الرجاء مرات عديدة، وبينما  
كان البك يشنف آذان رفاقه دخل عليهم رفيق آخر هلاوا لقدمه وصفقوا  
ولكن البك عبس في وجهه وصافحه مصافحة جفاء وغضب فانقلب تهليل  
الجماعة الى نفور وازدراء واستمر البك يضرب الكنجة ورؤوس الرفاق  
تميل طربا الى أن انتهى فالتى بها على الخوان ونظر للقادم نظرة تجسم فيها  
البغض وقال :

— ما هذا الجفاء يا سعادة الباشا

فابتسم الحضور لتقرع البك وسكت الرجل فقال البك

— علام السكوت ؟ أين كنت ؟ وعلام تأخرت ؟

— كانت امرأتى تلد

— لقد وضعت بأذن الشيطان كلباً

فقهره الحضور وتمايلوا بأجسامهم وكانوا يضحكون ارضاء للبك وليس شيء أقمح من وجه من يتضحك ولكن البك كان يتغافل عن كل ذلك تنفيلاً لنفسه . وأقسم الرجل ثلاثاً على صحة دعواه فقال البك — انك تكذب . أنت تنكر النعمة التي أسبغناها عليك

— حاشا لله أن أكون ذلك الرجل

— صه . اياك والسكلام . انى أعرف أين كنت أمس

وسكت الرجل وهو يرى . لم يرتكب اتماً . وهل فى ذهابه لييت ابن عم البك مرة فى الشهر اثم كبير ؟ ولكن البك كان من الاغنياء الذين تشبه أخلاقهم أخلاق النساء فترامهم ينثرون اذا ما التجأ أحد حاشيتهم مرة فى حياته الى أحد سوام

وقام الرجل المسكين وقبل أقدام سيده ومولاه فصفع عنه بعد أن فرض عليه جزية تقبلها الرجل شاكراً وهى أن يقوم هذا البائس ويقبل أيادى الرفاق أجمعين ثلاثاً بعد أن يصفعه كل واحد منهم مرة وكيف لا يقبل ذلك الرجل الفقير ذلك وقد وضعت امرأته بالأمس طفلها السادس

ودارت الكؤوس مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة ثم قاموا جميعاً وتناولوا العشاء وعادوا للراحة فى غرفة الاستقبال ولبثوا سكوتاً ومنهم

من أسند رأسه على كتف صاحبه مستسلماً للكرى ومنهم من اتهمز  
القرصة وتناول كأساً من الوسكى دون أن يراه أحد ومنهم من جلس  
يفكر في حيلة يضحك بها البك لينال رضائه أما البك حفظه الله فكان  
كالميت لا يعي شيئاً وهذا حال كل رجل بدين الجسد إذا أكل ولم يحاذر  
في أكله

ثم أفاق البك ونادى أحد الرفاق وكان فتى في مقتبل العمر جميل  
الصورة أهيف القد إذا مشى تثنى كما يثنى الغصن وقد لعب به النسيم  
وكان البك يميل لمحادثة على أفراد لمذوبة القاطلة ورقة حديثه فكان لا  
يصبر على فراقه دقيقة واحدة ولهذا أسكنه البك في غرفة من السلك  
حتى إذا احتاج لرؤيته لا يلبث أن يراه  
ناداه البك **فأثلا**

— أين عودك يا صديقي . أمسك به وشف آذاننا جميعاً فتناول  
الفتى المود وابتدأ في الضرب وغنى لحنا تناول البك عند مصاحبه الكمنجة  
واشترك في الضرب والغناء معه وقام الرفاق يرقصون حتى إذا اعيام  
الرقص جلسوا وهم يصفقون ويميلون طرباً كأنهم يسمعون عبده أو عثمان  
وعند انتهاء الغناء دخل على الجماعة رجل يبلغ الخامسة والأربعين يلبس  
منظاراً أسود يحجب عن الناس ما في عينيه من شر وحسد وحقد وسلم  
على الجميع بعد أن قبل يد البك وقام البك واقفا لرؤيته وعاتقه والرفاق  
في دهشة وكيف لا يدهشون والقادم صعلوك ممن حكم عليهم قديماً بالحبس  
للتزوير والاختلاس وجلس الرجل يجوار البك وأسر إليه كلمات ابتسم

لها البك وتهللت أسارير وجهه ولما رآه الرفاق يسر للبك شيئا ابتعدوا قليلا فقال الرجل لسيدته

— قد انتهى كل شيء.

— كم في المائة

— ثلاثون

— بورك فيك

وماد البك للفناء والضرب على السكمنة والرفاق للرقص والتصفيق

..

لم يكن هذا الزائر الجديد الا رسول البك للمرايين لرهن مائة فدان هي البقية الباقية من تراث آبائه وهل يتسنى لمن كان يمتلك ثلاثمائة فدان أن يتناد هذا البذخ وهذا الاسراف على جماعة يستأجرهم لتقيل يده والتغنى بكرمه وجوده دون أن يرهن ماعنده ليفقده صفقة خاسرة

وهب بعد قليل نسيم عليل ارتاحت له نفس البك فقال وهو يتنسم

— لو من الله على بألفى جنيه لكنت أشتري بها منزلا في رمل

الاسكندرية لأقضى فيه فصل الصيف من كل عام.

وتهد البك آسف على ذلك المنزل الجميل فقال أحد الرفاق

— لا تياس يا سماعة البك من رحمة الله سوف يمن الله عليك

بما تريد

ولم تقع هذه الجملة موقعا حسنا عند البك فنلى الدم في عروقه وقطب

وجهه استياء ثم صاح



— يالك من غرأحق . بمن الله على ؟ أظن أنى فقير أيها المجنون  
وحق البك أن يغضب هذا الغضب الكبير وهو الذى يثبت الفقراء  
ويحمى الضعفاء فقام اليه الزائر الجديد ذو المنظار الاسود وحاول أن يزيل  
غضبه ولكن البك لم يقتنع بشيء . وكاد أن يهجم بضرب من اتهمه بالفقر  
والاحتياج لمعونة الله وعزز الرفاق سيدهم وسقط الرجل فى يده وخرج  
من الغرفة وهو يتعثر فى أثواب خيته وجلس البك وهو يرفى ويتردد  
ثم تناقص غضبه شيئاً فشيئاً الى أن زال وعاد الجمع للغرف والنساء والرقص  
ودارت الكؤوس ولعبت الحمر بالرؤوس فكنت تسمع فى الغرفة النكات  
تتلو النكات والشتائم تتبع الشتام الى أن تلك التعب على القوم . فوسمهم  
فاستسلموا اليه وسقط بمضهم على الأرض لا حراك به واستأذن من تبقى  
له شيء . من قوته تحمله الى بيته الى أن خلا المكان إلا من النائمين وكان  
البك ملقى على مقعد ويجواره الزائر ذو المنظار الاسود يفتش فى جيوبه  
ولما انتهى من عمله نادى ادريس البربرى ليحمل سيده الى الحريم . . . . .

فرغ صديقى من قصته فالتفت الى وهو يقول

— ماذا تقول فى هذه القصة ؟

فتنهت وقلت .

صدق من قال ان شبان مصر الاغنياء لا يعرفون للضجر معنى

فأكرم بهم وأنهم

— هذا طريق واحد من عدة طرق يسلكها هؤلاء الاغنياء لقتل

وقتهم وضياع ثروتهم

— وهل هناك طرق أخرى؟  
— هيا بنا نخرج لاستنشاق الهواء في الجزيرة وهناك أقص عليك  
صمة أخرى فخرجت معه وكلى آذان مصفية لحديثه  
(٢ أغسطس سنة ١٩١٧)

## حفلة طرب

كنت شغوفاً بالكسدير أيام كنت في باريس لا تقوتني من لياليه  
لبلة تجمع بين الأناشيد الشعبية والألحان الفكاهية والوجوه الواضحة  
والقدود المائسة والعيون الضعيفة القائلة . هناك كنت أمتع عيني بالجمال  
الذي صافته بد الخالق في وجوه الحسان واملأ قلبي لذة يمازجها الطهر  
وأذني ألحانا جميلة يفسخ لها الصدر .

..

أيام مضت كما يمر الحلم العذب برأس النائم والآن أنا بمصر محروم  
من تلك الجباه المشرقة والوجوه اللامعة والفرح المتألقة والألحان الشعبية  
الجميلة وما أحوجنى الى رؤية شيء منها ان لم يماثلها جمالا وحسنا فلا أقل  
من أن يكون باعثا من بواعث الذكرى تهيج في قلبي نارا كاد أن يطفى  
أوارها النسيان

جلست أمس في مجلس جمع من الاخوان من كانت تتوق النفس

للقائه ويتأجج الصدر عطشا لرؤيته وكان بينهم صديق لم تره عيني منذ سنين فكنت أجاذبه أطراف الحديث وكلى آذان صاغية له ولبثنا نتحدث الى أن أخرج ساعة من جيبه ونظر فيها مليا ثم قال .

— هيا بنا . لقد دنا الميعاد

— فقلت وأى ميعاد

— أنا على موعد مع أحد الأصدقاء لمعاً مغنية جديدة فهل لك فى مرافقتى ؟ فأجبت لمطلوبه واستاذنا الجماعة ومشيت معه جنبا لجنب وصلنا الى القهوة ووجدنا على بابها شابا ينتظر ، قدّمه الى صديقى ، فابتدروا بقوله :

— ليرجع أدراجنا الى منازلنا

— فقال صديقى وعلام

— أن السيدة ( ... ) لا تنفى هذه الليلة

وحانت منى التفتاة الى القهوة فقلت :

— ولكنى أرى سيدة جالسة على ( التفت )

فقال الشاب

— يا للعجب لقد تأخرت إذا عن ميعادها ربح ساعة .

فقلت لنفسى وأنا أبسم ( يا للعجب أول القصيدة كفر ) وابتدنا

تذاكرنا ودخلنا القهوة ونحن نتسابق لمعاً المغنية وأخذنا محالسا بين

الجمهور وحبسنا وكان على رؤوسنا الطير

القهوة فسيحة الأرجاء جمعت من شتات الناس المطربش والمعمم

ولابس الجلاية الزرقاء جماعة مختلفي المشارب خارج القهوة متعددي  
الأميال فيها توزم ريشة المصور لرسم للناس الصور المضحكة المبكية  
التي تبدو على وجوههم . ثم نظرت لجماعة المغنين وضحككت حتى كدت أن  
ألفت أنظار الناس لولا اندفاعهم لرؤية وجه المغنية الفاتنة التي كانت  
تبسم للجميع وتحببهم أجل تحية .

المغني الاول شاب أسود البشرة يظهر لي أنه من أم زنجية وأب  
مصرى أو أنه نوبى من أهل أسوان أو عامل من عمال الغابر في مصر  
له أنف طويل يكاد يلتطم مع شفته اليسرى وعينان سوداوان بهما جمال  
عبثت به يد السهر والحمر وشارب قصير كريش فرشاة تنظيف الأسنان ،  
وكان مرتديا بدلة بيضاء وبها بقع سوداء فإنا أقرب شكلا لشكل القرمس  
الألق .

والثاني رجل مفلق الأجنان يجتهد في فتحهما كلما دعته الحالة فتعييه .  
الحيلة ، له فم اذا فمه خلت به برأواذنان كبيرتان وذقن طويلة تهز مع رأسه  
كلما أنشد كأنها تسأل الناس المعونة والأجر فإشبهه بحلاق من جهة  
سيدنا الحسين أصيب بالعمى فجاء ليرزق في قهوة عمومية

أما الثالث فكان رجلا مرتديا جلاية بيضاء وحزاما من  
المناديل الحمراء الكبيرة وجبة زرقاء وطربوشا من غير (خوصة) لم يخلق  
لحيته منذ أيام فظهرت شعورها في وجهه كما يظهر النجيل في الأرض  
الفحلاء وكان اذا أنشد أخذ فيه شكلا هندسيا يشبه المعين اذا نظرت  
اليه ظننت أنه منجد ملك عنايه حب الفناء فأتى الى القهوة ليشنف آذانه

ودفعه ذلك الميل الغريزي لامتناء الدكة المعدة للمغنيين جلوس عليها يساعد  
الجماعة على إخراج الأفاقي صحيحة خالية من العيوب

أما الرابع فهو شاب نحيف الجسد أسمر اللون لا تمارق عيناه أديم  
الأرض ولعله من المصايين بداء الحياء الشديد ولهذا لم يتيسر لى أن  
أتمرس فى ملاح وجهه لأصفها للقراء . فهو رجل كما تقول العامة فى ( حاله )  
ولهذا ندعه فى حاله

أما الخامس فهو شيخ أحنث الأيام ظهره فأصبح كالتقوس بداعب  
المغنية من وقت لا آخر ولا أدري لماذا ؟ له طربوش تظهر منه شعوركتك  
الشعور التى أبقتها يد التحنيط على رؤوس الجثث المحنطة فى دار الآثار  
المصرية مرتديا بدلة يحار فكر الناظر أمامها فمن قاتل أنها بدلة عادية ومن  
قاتل أنها رديجوت قصيرة ومن قاتل أنها من نوع جديد سوف يحذو على  
منواله كل حائك فى مصر فلا تلبث أن تصبح الموضه المصرية الجديدة  
بعد أن انقطعت عنا فى أيام الحرب موضه باريس . وهو أشبه الناس  
بكتاب الدوائر الكبيرة .

وأما حامل العود فهو رجل بدين الجسد له وجه متنفخ تغارفيه عيناه .  
البراقتان تظهر عليه بعض مخايل الوجاهة ولا أدري لماذا ؟ ولعل ذلك لأنه  
حامل المود والمود سلطان الآلات الغنائية . وأما حامل القانون فهو شاب  
جميل الصورة أسمر اللون حسن الهندام يظهر عليه أنه كان غنيا ثم أناب  
عليه الدهر بكل كلكله اذا لمست يده أوتار القانون اهتز جسده بأجمه مع

اهتزاز النغمات وتقلصت شفتاه وتقطب وجهه فكانه يبكي أيامه الماضية  
وثروته الضائعة

وأما حامل الكمنجة فهو شاب في ريمان الشباب أصفر الوجه له  
شارب طويل يرتفع طرفه الأيمن الى أعلا ويخفض طرفه الايسر الى  
أسفل له وجه ليس فيه شيء من التناسب بين طوله وعرضه وجهة خليقة  
بأن تكتب عليها بالثلث عناوين الادوار فما أشبهه بمحررى بعض  
الجرائد في مصر

أما الأخير فهو يافع لأدري لماذا أتوا به ، يذكرني بيافع آخر كان يمر  
على قهاوى العاصمة لبيع السجائر ( الفنتزية ) التي اذا أشعلها طار منها  
شعاع يخيف الاطفال الصغار

أما المغنية فهي امرأة ذات جمال اغريقى في نحو الثانية واثلاثين  
من عمرها قصيرة القامة نحيلة الخصر وضاحية الطلعة سافرة الوجه مرتدية  
ملاءة سوداء تصل أطرافها الى ركبتها فتزيدها رقة وحسناً لها فم جميل  
لا تقاربه الابتسامة فكانما تتساقط منه زهور النرجس والورد ولها شفتان  
تتمدد أشكلهما كلما غنت فتارة تظهر عليهما صورة الاستعطاف وطوراً  
صورة الاعراض وأنا صورة الجنو والامثال وآوة منورة للتيه والاعجاب.  
تغنى ثم تضحك، وتضحك ثم تغنى، وتبتسم وتخجل ولا أدري لماذا تخجل  
ولماذا تبتسم ولماذا تضحك وان كنت اعرف لماذا تغنى ا

ويخجل لى انها اذا خلعت ازارها الاسود وجلست لتعاديك خارج

القهوة وهي جادة في قولها ينهب عن وجهها ذلك الجمال الساحر والدلال  
القاتل . يشفع ابتسامها الجميل في ضعف صوتها

..

اتلى الفناء وخرجت مع صاحبي فسمعت عند باب القهوة رجلا يقول

— هذا غناء يخلقه ضحكك وابتسام

قلت في نفسي

— لقد أخطأت يا صاح هذا ضحكك وابتسام يخلقهما غناء

( أغسطس سنة ١٩١٧ )

## صفارة العيد

المطفة التي تتكلم عنها طويلة ضيقة خالية من الارصفة تبثني  
بجائط سميك وتنتهي عند الشارع الكبير ، حيث ترى على يمينها قصرأ  
نخباً يخاله الناظر سجنأ أعد للمجرمين وعلى شمالها قبرأ لشيوخ وهي تقف  
أمامه الرجال والنساء يقرأون الفاتحة وهم ينظرون للسماة نظرة رجاء وابتهاال  
ثم يمسحون وجوههم بأيديهم ليتم الله نعمته عليهم . وإذا سرت فيها فبلقت  
منتصفها وجدت ( أم مليم ) بائمة الطعمية والسلطة والسكرات جالسة  
القرفصاء أمام حانوتها المكون من قفص تمرض عليه ما تبيعه لسائق عربية  
الكلوز ولابن السبيل والفاعل . وإذا اقتربت من بدايتها أى من الحائط

السميك الذى يقف في وجه المارة ليمنعهم من المسير وجدت شجرة كبيرة  
يتفنى ظلها كل من تعب وتلك الانضاء . أما اذا أسرعت في سيرك  
خشيت أن تثر في هاوية صغيرة أو تل لا يزيد ارتفاعه عن عشرة  
سنتيمترات أو في القاذورات التى تلقى بها أيدي المارة بلا خوف ولا حذر .  
أما القصر فهو لأحد البشوات الذين أبوا أن يهجروا الحى الذى نشأ  
فيه أجدادهم . وهو قصر كما قلنا عظيم يجلس على بابه الخصى واضعاً رجلا  
على رجل وممسكاً بمسبحة يستعين بها على قتل الوقت حتى لا يشعر بسأم  
ولا ملل . وهو شيخ في الخامسة والحسين من عمره له شفاه تشبه قطع  
( البفتيك ) التى تقدم لك في مطاعم العاصمة وعينان يزداد احمرارهما كلما  
( أخذته الجلالة ) فنطق باسم الله العظيم وأنف أفتس كأنه منقذ عتوجدت  
في وجه الخصى مبتكراً حسناً . وكان طويل القامة ضخم الجثة اذا مشى اهتز  
كما يهتز الفيل

..

نحن في اليوم الأول من أيام العيد والناس في هرج ومرج والاطفال  
يلعبون في الشارع وقد أمسكوا بالأعيهم وارتدوا ملابسهم الجديدة  
وتساءروا وهم يضجكون ويقفزون . والآباء انشروحت صدورهم ومشوا  
في الشارع وهم يقولون بعضهم لبعض ( كل عام وأنتم بخير ) . وكان بين  
الأطفال طفل نحيل الجسم أصفر الوجه ينظر لرفقائه نظرة تعبر عن غبطة  
لهم وعن رثائه لنفسه لحرمانه من سرورهم وسماتهم . وكان خجولاً من  
لباسه القذر وأقدامه الجافية . يقف بجوارهم ثم يضع يديه خلف ظهره



ويبتسم كأنه يسألهم السماح له بمشاركته أيام سرور العيد وليس في ذلك بأس عليهم وهو طفل مثلهم يبكي إذا ألم به ضرر ويضحك إن نال ما تصبو إليه نفسه وآتى له أن ينال بغيته وهو يتيم توفيت أمه بعد ولادته بخمس سنوات ومات أبوه بعد وفاتها بعامين فماله عمه وأين حنو زوجة المم من حنو الام . مشى الاطفال الهويناء ثم غادروا العطفة وتواعدوا على المدو في الشارع الكبير وجروا فيه أشواطاً عديدة فسقط أحدهم على الارض فأسرع إليه رفقاؤه وهم يضحكون كما تفرد المصافير وطانوه على التهوؤ من سقطته فقام وهو كالحال الوجه كاسف البال وقد جال الدمع في عينيه ولكنه لم ينس أن اليوم عيد وأن البكاء محرم فيه وأن السرور فرض فما لبث أن نسي سقطته وتناسى آلامه وجرى خلفهم الى حيث كانوا يقصدون . أما اليتيم فلم ينس آلام نفسه تلك الآلام القاتلة التي كانت تدب في جسده فتطفئ نوره وتذهب بجماله وروائه .

ثم غادر الاطفال الشارع الكبير ومشوا في العطفة وهم يضحكون وينشدون الأناشيد الصبائية الى أن وصلوا للشجرة الكبيرة وهناك صاح أحدهم :

— لقد ابتعدنا عن الشارع الكبير وهناك نمر الباعة فيها بنا نمود من حيث أتينا وتسابقوا وقد علا صياحهم في الفضاء

..

ومرت في الشارع الكبير في تلك الساعة عربة كارو وقد ركب عليها سائقها وهو شاب يشبه جسده المكعب له رأس لها أربع أركان

يشبه مسطحها المربع . ألهب السائق جواده وهو ينفي أنشودة بلدية جميلة ( أسمع ممر صغير السن لوعنى ) ولما اقترب من الخصى قرأه السلام بصوت جهورى فرد عليه الخصى السلام من أطراف شفتيه وهز رأسه كأنه يأسف على تدهور أخلاق السوق . وعادت الاطفال فى تلك الساعة من الشارع الكبير الى المطقة وهى ملجأهم الوحيد وفى يد كل واحد منهم صفارة اشتراها من بائع يحول فى الطرق . وابتدأوا ينفخون فى صفايرهم ويغنون وتلك لعمري موسيقى تبعث السرور فى القلوب وإن كانت غير شجية تتأفر نغماتها . وقف اليتيم معهم وقد أشجته تلك الموسيقى الجميلة . واقترب من رفقاءه وهم يرقصون ثم رقص معهم اذ لم يكن فى وسعه أن يفعل غير ذلك . فنظر إليه أكبرهم سنا وقال له بملء فيه :

— أين رداؤك الجديد يا على ؟

فلم يجب اليتيم وضحك الآخرون .

وقال ثان : — أين صفارتك أيها الصديق ؟

وقال ثالث : — كفاكم رقصاً ولنصفر جميعنا . ليرقص من ليست

معه صفارة

ولكن اليتيم لم يكف عن الرقص وقد عزّ عليه أن لا يترنح معهم وضرب صفحاً عما مهمه كأن لم يعرض به أحد .

وفى تلك الساعة مر استاذ صغير القامة طويل اللحية يسير الهوينا فى طريقه وهو يداعب لحيته بيده اليسرى ومسبحة بيده اليمنى . فهرعت الأبناء للقاءه وهم الخصى واقفاً ثم مشى وقبل يده بينما كان الآخرون

يقبلون أطراف جبته . أما الشيخ فهو رئيس الطريقة النقشبندية وهي طريقة تحتم على أتباعها أن يذكر كل واحد منهم لفظ الجلالة مرة في كل عشرة دقائق . توفي شيخها القديم منذ خمسمائة سنة بعد أن نقشت التقوى على صدره اسم الجلالة ولهذا سميت طريقته باسم النقشبندية . ثم مر بأنت الحلوى فهرعت اليه الأطفال وجرى معهم اليتيم ولكنه كان في مؤخرتهم فدأ إليه أحدهم قطعة من الحلوى قائلا

— خذ —

فأشار على رأسه رافضاً واستكبر الآخر منه ذلك فألقى بقطعة الحلوى على الأرض فالتقطها اليتيم وأعطاهما لكلب جائع كان يبصص له بذنبه . وغادر اليتيم رفيقه وقد ارتسمت على وجهه صورة البؤس ممزوجة بصورة عزة النفس ولحق برفقائه وهو وحيد القلب وإن كان كثير الرفقاء أما رفيقه الذي أعطاه قطعة الحلوى فقد مشى وهو بهز كتفيه ويعصر خده أهمة واستكباراً .

ثم حانت التفاتة من الأطفال إلى الشارع الكبير فوجدوا محموداً ( الفتوة ) قادماً عليهم فصاحوا جميعاً ( محمود السبع حضر . محمود السبع حضر ) وضمفوا بأيديهم فاقسم لهم محمود وكان ( فتوة ) عطفهم وسار في طريقه على مهل ساجداً أذيال الخيلاء وملوحاً بمصاته في الهواء كما يلوح الفارس بسيفه وكان ضخم الجثة قوى العضلات له في المشاجرات القسط الأوفر والقوز الأكبر مشهور بين فتوات المطفات الأخرى ولذا لقب ( بمحمود السبع )

نظر اليه الخصى نظرة امتحان وامتناع ففقهه محمود صاحكا حتى  
استلقت انظار المارة وبسقى الخصى على الأرض وكان هذا اكبر مجهود  
يقدر على فعله لاهانة محمود ثم صاح أحد الاطفال  
— المصارعة المصارعة خير مما تعمل ومن يتفوق على نظيره يأخذ  
صفارته مكافأة له على قوته وشجاعته

فقال آخر : — وليكن محمود السبع حكما بيننا

فقال محمود : — بلا شك

وقال رابع : — ولكن عليا (اليتيم) لا يملك صفارة .

فصاح الطفل الذى رى لعل بقطعة الحلوى

— لها صارعه فان تقوى على اعطيته صفارتي وان تقوت عليه

صفنته على وجهه امام الجميع .

فصفق الاطفال استحسانا وقطب على وجهه وشمر عن ساعده

فكنت ترى عند التعام جسمه يحسم رفيقه صورة غريبة على وجه كل

واحد منهما . الاول يدافع عن صفارته والثاني يدافع عن شرفه والفرق

بين الصفارة والشرف كبير وتغلب على رفيقه وألقى به على الأرض

وهو ممسك بتلابيبه وفرق بينهما الرفاق فقام على وهو رافع الرأس

وقال : — أين الصفارة ؟

فقال محمود السبع المغلوب : — اعطه الصفارة ثم أدار وجهه عن الاطفال

وذهب للقائه صاحب له . فأخرج المغلوب صفارته من جيبه بعد تردد

ومد يده بها الى عدوه فأخذها على ووضعها في فمه كما يضع الظبان حافة

الكأس المثلج بين شفتيه وكأنه امتلك العالم بأجمه . وما لبث قليلا حتى ضحك الحاضرون ضحكة استهزاء وسخرية وكيف لا يهزؤون به ولا يسخرون منه وهو ينفخ في صفارة لم يشتريها بماله فألقى على<sup>٢</sup> بالصفارة في وجوههم وسار على مهل وهم يصفقون خلقه . وابتعد عنهم فلم يشاؤوا أن يتبعوه خشية أن يفارقوا نهاية العطقة حيث يكثر الباعة فسار اليتيم الموهنا الى أن وصل للشجرة الكبيرة وهناك وقف هنيئة كأنه يفكر ثم جلس في ظل الشجرة وقد أسند ظهره الى ساقها ونظر جهة اليمين وجهة الشمال فوجد العطقة قفرة كقلبه فوضع رأسه بين يديه وبكى وهو يقول:

( أماء . أماء . أبتاه ) بينما كانت الأطفال تغنى في الشارع الكبير

...

ثم أفاق بمد هنيئة فوجد الكلب الذي ألقى بقطعة الحلوى اليه جالسا عند رأسه يلحس دموعه بلسانه الطامئ<sup>٣</sup> .

( أغسطس سنة ١٩١٧ )

---

## ربى لمن خلقت هذا النعم ؟

( هذه القصة لمويسان الكاتب الفرنسى الشهير بتدل المغرب  
أشخاصها وزمانها ومكانها وموضوعها بمصر آكل شئ فيها فلم يبق من  
الأصل إلا روح الكاتب واتباع المغرب فى ذلك خطة تولستوى فى  
قصصه التى نقلها عن مويسان )

...

محمد بك عبد القادر رجل فى الخامسة والخمسين من عمره ألقى  
الأنف أسود العينين مقرون الحاجبين يقص شاربه ويعفو عن لحيته ،  
إن مشى يسير الهويناء وإن جلس يربع على كرسية بعد أن يخلع خفيه ،  
يرتدى الرديجوت ولا يحب سواها من الملابس الأفرنجية لأنها أقربها  
شكلا لمظاهر الصلاح والتقوى . مسلم فى كل أقواله وأفعاله يذب عن  
الدين كلما تعرض له ملحد لا يتقى الله فى دينه ولا دنياه ، ويدافع عن  
حجاب المرأة فى كل مجلس يتناقش فيه أصحاب مذهب السفور مع  
المحافظين على الموائد والتقاليد القديمة . وإن رأى شابا جالسا فى حان  
يتعاطى كأسا من الخمر وقف فى مكانه كالمصوق ثم بصق على الأرض  
ومشى فى سبيله وهو يرتل آيات القرآن . له فى بنك الكريدى ليونيه  
عشرون ألفا من الأصفر الزناب لا يتعاطى عنها فائدة متبعا قوله تعالى  
( وأحل الله البيع وحرم الربا ) .

يسكن محمد بك فى قصر جميل على ضفاف النيل تحوطه حديقة

غناء تمايل أشجارها كلما داعبها النسيم وتسمع فيها موسيقى الطيور  
مزوجة بالحنان أمواج النيل . تلك موسيقى جميلة هادئة كأنها صوت  
الحب في آذان العاشق اليأس . وإذا ظهر الشفق خلف النخيل وارتدت  
السماء ثوبها الأحمر قبيل الغروب خيل للناظر ان هذا الاحمراد هو  
دموع الليل يودع النهار . وإذا بزغ القمر في القبة الزرقاء في ليلة من ليالي  
الصيف ود صاحب البيت أن لا يفارق الحديقة حتى مطلع الفجر . هذا هناك  
كبير جاد به الله على هذا الشيخ الصالح مكافأة له على عبادته وصلاحه .  
فهو به قرير العين مثلوج القواد تلوح عليه أريجحة السرور كلما ذكر الله ،  
ويلمع في غرته نور البشر كلما صلى على نبيه .

لم يرزق محمد بك عبد القادر إلا بفتاة جميلة الصورة حلوة الحديث  
غضة العينين كأنها نرجسة جميلة في حديقة الشعر لا يقف امامها إلا  
كل شاعر كبير الخيال بديع التصوير ولقد بلغت تلك الفتاة العشرين  
منذ عدة أيام وفكر أبوها كثير آفى أمر زواجها وحادث زوجته في هذا  
الشأن مراراً وعدد لها أسماء كثير من الشبان الأغنياء المتعلمين الذين  
يتطلعون لهذا الزواج المبارك . واتفقا على شاب وجدا فيه صالتهما  
المنشودة وحادثت الأم ابنتها عنه فأبدت البنت نفوراً من ذلك الشاب  
فأخبرت الأم زوجها بما كان بينها وبين ابنتها فاستاءت تلك النتيجة ولكنه  
إختار شاباً آخر لم ترفضه الفتاة بل رفضت الزواج كلية . وعز على أبيها  
ذلك الرفض وقامت بنفسه قيامة عصيان البنت لأوامر أبيها فهددها ما  
شاء وشاء تمصبه وتفانيه في حب كل عقيدة قديمة صالحة كانت أو

فاسدة . وأصر على زواج ابنته بألقى الاول وأبلغها ذلك الحكم الصارم  
بشدة لم تمدها فيه من قبل فأبلىها بالصمت والبكاء

..

لم يرق في عين الأم أن ترى ابنتها تبكى وتنوح وهالها أن ينبو الفراش  
عن جسم تلك الفتاة الخروء وأن يطيش سهمها ويخيب رجاؤها وتقف  
آمالها على شفا اليأس . خلت الأم بابنتها في صبيحة يوم من الأيام بعد  
أن خرج والدها للقاء أحد أصحابه وحادثها في شأن زواجها بعد أن أقسمت  
لها أنها ستكون ساعدها الأقوى وعضدها أمام تمسف أبيها وظلمه فبكت  
الفتاة وأنت وجهت أمام أمها تسألها الرحمة والمعونة .

علام تبكى هذه الفتاة ؟ ولماذا تستعطف ؟ وأى باعث يهيج في قلبها  
تلك النار السكامة ؟ كل فتاة تحب الزواج وتبحث عن شاب جميل وغنى  
والشباب الذى انتخبه لها أبوها حسن الأخلاق كريم المنصر باذخ الشرف  
منيع الساحة جميل الصورة كثير المال فلماذا تأبى الزواج به ؟ لعل في  
الامر سرا آخر

هذا ما كانت تقوله الام لنفسها وهى تسمح دموع ابنتها ولما هدأت  
الفتاة قليلا قالت لها بصوت تمازجه الشفقة والحنو . « لى أعدك يا ابنتى  
أن لا تزوجى هذا الشاب بل أعدك أن تزوجى الشاب الذى تصبو له  
نفسك . فن يكون هذا الشاب »

فنكست الفتاة رأسها وابتمت ابتسامة باحت لامها يسرها الدفين  
فقبلتها أمها وقالت ( ومن هو ؟ ) فلازمت الفتاة الصمت وأسندت رأسها



على كنف أمها ولم تشأ الأم أن ترهق الفتاة بالاسئلة فاكثفت بما عرفت .

..

وعاد محمد بك الى منزله وخلت به زوجته ورجته أن يؤخر هذا الزواج المشثوم فأصر على عناده فلم تجدد الأم باباً من أبواب الرجاء والاستعطاف الا وولجته ولكن البك عز عليه أن يقهر في هذا الميدان وقد جهل أن خذلانه أكثر شرفاً من انتصاره . ونظر الى زوجته وقال — لعلها تهوى فتى تود الاقتران به

فقالت الأم وهي غاضبة

— واذا كان الأمر كذلك فأى ضرر يلحق بنا

— أى ضرر يلحق بنا ا انك تلمسين بالنار أيتها المرأة . انى أحرم على هذه الفتاة ترى نور السماء . سوف أعمل على سجنها وسوف تعيش راهبة ما دمت حياً .

وخرج من الغرفة وهو كالجنون ونادى فتاته فأتته مليية طائمة فابتدراها بالشم والسباب وكاد أن يضربها لولا وقوف زوجته في وجهه . وغادر البك المنزل وهو هائم على وجهه .

..

مضى على هذا الحادث شهران لم يحدث فيها شيء جديد . وخيم السكون على هذا المنزل فكان البك هادئاً ساكناً لا يلفظ بكلمة تشير للموضوع القديم ولكن نار الغيظ كانت تتأجج في قلبه وكانت زوجته

هادئة ساكنة أيضاً ولكنها كانت تتألم خفية لآلام ابتها . أما الفتاة فكانت تبكي آناً ليلها وأطراف نهارها وتتوجع سرآدون أنت تبوح لأحد بآلامها . لقد كان لها إارق من المني كذب برقه وعارض من الآمال أخلف ودقه فسلام على ماضى هناثها وسلام على رجائها وآالها وفي ذات ليلة تعشى البك كمادة وشرب فنجانين من القهوة ثم دخن سيجارة وابتدأ في صلاة المشاء ولم يفارق سجاده الا بعد ساعتين قرأ فيهما أربعين ورداً ثم قام وتمشى في المنزل قليلا ودخل غرفة نومه لينام وحاول النوم ساعة من الزمان فلم يفلح فخرج الى الحديقة دون أن يعلم بخروجه أحد .

تمشى البك في الحديقة ونظر الى السماء نظرة ابهال وخضوع فوجد القمر لامع الصفحة والنجوم زاهية فقال مخاطباً ربه ( ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟ ) ثم نظر للأشجار فوجدتها تمايل يمنة ويسرة وقد هب نسيم طليل يحمل اليه شذى الورد وعبق الياسمين فقال مخاطباً ربه ( ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟ ) ونظر للنهر فوجد أشعة القمر القفزية تلاعب أمواج النيل ورأى قارباً يحمل قوما يغنون ويضجكون وسمع في تلك الآونة نشيد طائر يغنى في جوف الليل البهيم فقال مخاطباً ربه ( ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟ ) ثم جلس على كرسى ونظر لكل شئ ، لهذه الصورة الطبيعية التى رسمتها يد الخالق على صفحة الوجود ، لهذا الجمال الذى يكشف الستار عن عظمة الخالق وقوته وشفقته وحنوه ، لهذه الجنة التى هى مهبط الحب وخلوة اللذة والنعيم فقال مخاطباً ربه ( ربى لمن

خلقت هذا النسيم؟) ثم تذكر أيام كان شاباً يحقق قلبه لرؤية النيدفاً غمض عينيه ورتل آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ثم فتح أعفانه وقال ( ما تلك إلا جنة . . . ) ولم يدرك كلمة يتم بها جملة فوقه وهو حائر الطرف وإذا به يرى شبحين يسيران نحوه فاحتق وراء شجرة كبيرة تحجب جسمه عن الناظرين ودق قلبه دقات متتابة وقال لنفسه ( من هو هذا الغريب الذي يحصر على التنزه في حديقتي قبل منتصف الليل )

واقرب الشبحان منه فتفرس فيما فاذا به يرى ابنته تسير بجوار شاب جميل الصورة وقد أسندت رأسها على كتفه . عرف البك الشاب بعد أن تفرس في وجهه وقل لنفسه ( هذا هو الشاب الفقير الذي كان يسكن بجوارنا أيام كنا نسكن بالجزاوى ) ووقف الشبحان وتحدّثا على مسمع منه ، فقال الفتى

— أنا رغم على تركك يا حبيبتي واني أقسم لك أنى سأبقى على عهد حبي الطاهر الشريف الى أن يضم عظامى القبر .

فأجابته الفتاة :

— وأنا أقسم لك على ذلك

وقبلها الفتى في جبهتها وسار معها متخذاً وجهة السور ليعود أدراجه الى منزله .

خرج البك من غيباء وهو ساكن صامت ومكث هنيهة يفكر ثم نظر للسماء والنهر وللأشجار ، لهذا الجمال الطبيعي ، لهذه الجنة الدنيوية ،

لهذا النعيم الحيوى وقال لنفسه بمد أن فكر قليلا فيها رآه وفيما سمعه (ربى  
إنك خلقت هذا النعيم للمحبين ولعمري ما تلك الاجنة الحب ) ورتل  
آيات من القرآن ودخل الى منزله وقد علت شفثيه ابتسامة تعبر عن  
هنائه وغبطته .

..

مضى على هذا الحادث شهر من الزمان أقيمت فى نهايته حفلة قران  
الفتاة الثنية بالشاب الفقير وما كانت تلك الحفلة الا رمز انتصار الحب  
الطاهر على كل شيء .  
( اكتوبر سنة ١٩١٧ )

---

## كان طفلا فصار شابا

أحمد محبوب يبلغ من العمر عشرين علما أفتى الأنف أسود العينين  
مقرون الحاجبين وضاح الطلعة جميل الصورة طويل القوام اذا رآته النساء  
نظرت اليه بطرف خفى واذا رأى النساء مشى مشية التيه والدلال . أبوه  
من أغنياء القاهرة يملك ألف فدان من أجود أطيان الوجه البحرى والقبلى  
وأمه من طائفة عريقة فى الحسب والنسب لا غبار عليها . ربه أبوه تربية  
مصرية بجملة فنشأ يخاف أباه ويخشاه ولا يجسر على محادثته . واختلط بفئة  
وضيعة تعلم منها لعب الميسر وولع به ولوعا أنساء كل لذة فى العالم وكانت

له مريّة تبلغ من العمر الخامسة والأربعين ربّته صغيراً من يوم أن بلغ الخامسة وكان عمرها في ذلك المهد خمساً وعشرين عاماً وكانت قد طلقت من زوجها وهو رجل كان معاوناً في إحدى زراعات الدومين . وعجوب يحب مريّته ولكنه لا ينجشها . يهزأ منها إذا أغضبتة ثم لا يلبث أن يسترضيها فتنسى أساءته وتقبله وتضمه لصدرها ضاحكة مستبشرة .

لقد بلغ عجوب العشرين ولكنه لا ينس أيام كانت تضربه مريّته وهو طفل إذا هفوة أو ارتكب أثماً .

أيّنى يوم أن تسلق شجرة النبق في الحديقة وكاد أن يسقط على الأرض . لقد أمسكت به مريّته والمصا في يمانها تهرعه بها فاهية إياه أن لا يعود لما فعل . وهل ينسى يوم أن مكث في القناء يلعب ويمرح وكان الوقت ظهراً قهاه السقام عبد الرزاق عن ذلك فشتمه ورفضه برجله الصغيرة . انه لا ينسى ذلك اليوم وقد لطمته مريّته على وجهه وهي تؤذيه على ما فعل . وهل ينسى يوم أن التقط من الأرض بقية سيجارة كان يدخنها أبوه وأراد أن يستنشق الدخان فرأته مريّته من النافذة ونادت به فهم بالحرب وأبى الدخول للمنزل الى أن حمّله الخصى وأتى به إليها لينال جزاءه ؟ انه لا ينسى كل ذلك . وان للطفولة حوادث تبقى مرسومة في رؤوس الشبان والرجال الى الأبد .

وكان القصر الذي يسكن فيه عجوب وعائلته في حي من الأحياء الوطنية ذوات الشوارع الضيقة . وكانت تحوطه عدة بيوت صغيرة لأقوام من بيّنة ليست بالفنية ولا بالفقيرة . وسكن أمام قصر عجوب

رجل تاجر حسن السيرة له زوجة وبنت تبلغ الخامسة عشر وولد يبلغ العشرين يساعده في ادارة حانوته .

وكانت تشتغل زوجته طول نهارها في أعمالها المنزلية وتساعدها ابنتها من وقت لآخر . واذا ما خلت البنت بنفسها جلست أمام النافذة التي تطل على غرفة محبوب فتتظر اياه من المدرسة . فكان اذا ما دخل غرفته أشارت اليه بالسلام ويتدآن في المنازلة . ففى ذات يوم دخلت عليه مريته فوجدته يشير يميناه للفتاة فنظرت اليه نظرة ريبة وامتعاض ثم تركته وخرجت من الغرفة دون ان تنبس بكلمة . ولم يمر محبوب ذلك الحادث اهتماماً واقضى اليوم على صفاء . ولكنه لاحظ بعد ذلك ان مريته تكثر من الدخول في غرفته ساعة اياه من المدرسة كأنها تود أن تمنحه عن محادثة الفتاة فساد ذلك منها وود أن تكف عن مراقبته فعد الى حيلة ناجمة فكان اذا عاد من المدرسة أحكم اقفال باب غرفته بالمفتاح ليفعل ما يوحيه اليه هواه

واهددت مريته لسر حيلته فدقت على بابه بيدها ففتحها لها بعد ان أشار لفتاته أن توارى . ودخلت المربية ووجدت نافذة الفتاة خالية ذفا تبسمت ابتسامة الهازئ وقالت له

— لقد طار المصفور من الققص

— وماذا تقصدين من ذلك؟

— انك يا ولدى نسى لنفسك . أنسيت أن الحب يشغل المرء عن

اداء واجباته .

— إلى حريص على أدائها فدعى اللوم جانباً  
 — يا لك من غرأحق  
 — اتى أكره أن يسبى أحد  
 — ولكنك ترتكب المعاصى على مرأى من الناس . ألا تخشى  
 أن أخبر أباك بما تفعل  
 — أنى لم يخرج من غرفته بمدفئ لك أن تذهبي وتقصى عليه ذلك  
 — سأفعل

وخرجت وهي غاضبة وخاف محبوب أن تخبر أباه بهواه . فلما  
 دنا وقت العشاء أتى أن يأكل مع أبيه فادعى المرض ونام وهو جوفان .  
 ثم مضت أيام وهو يسأل نفسه عن سر مراقبة مريته له فلا يهتدى  
 إلى شيء . أنه لم يلاحظ شيئاً فى حركاتها ولا فى مسكناتها فلام لا تركه  
 حراً يفعل ما يشاء وليس فيما يفعل ما يدعو للخوف والحذر . وعلام  
 تغار من هذه الفتاة التى لم تبلغ الخامسة عشر وهى امرأة آربت على الخامسة  
 والأربعين . هذا سر غامض يدعو للتفكير .

..

خرج محبوب فى يوم من أيام الجمعة وقابل رفقة من أصحابه لعب  
 معهم الميسر وخسر ما فى جيبه فرجع البيت وهو يمض بنان الندم .  
 وسأل عن أبيه فقيل له أنه خرج وعن والدته فقيل له أنها ستتناول طعام  
 العشاء عند خاله . فدخل غرفته وجلس أمام نافذته وأمسك برواية من  
 الروايات الحديثة ليقتل بها الوقت . وبعد هنيهة رأى حبيبته فى النافذة

تبسم له . ولبت بحاجتها ويشير لها الى أن رأى خيال مريته في الغرفة الأخرى فكف عن محادثة حبيبته وأشار لها أن تبعد فابتعدت وجلس وحيدا ينتظر الرقيب

فدخلت مريته بمد عدة دقائق وقد استشاطت غضبا وقالت بصوت متهدج

— هذه هي المرة الأخيرة فإن عدت لفعلتك أخبرتك والدك بكل ما فعلته

— وأى باعث يستفز غضبك وأنا لم أجن ذنبا يستحق اللوم ؟

— أى باعث يستفز غضبي ! انك حقاً ساذج لا تعرف الى أى هوة

أنت مسوق . وأخشى أن تدور الدائرة عليك

— انى أكره هذا الحديث

— أأنا بى استماع نصائحى ؟

— انها لا تصلح الآن بمد أن كللتى الرجولة

— يالك من شاب أبله

سمع محبوب هذه الكلمة فقام فاضبا وهم أن ينادى الغرفة فأمسكت به مريته ولقت ذراعها على خصره ومنعته من الخروج فهم بالافلات منها فلمس جسمه فلم يجد بأسا فى البقاء فلف ساعده أيضا على خصرها متظاهرا بالمهجوم ليدافع عن نفسه ووقع نظره على وجهها فاذا به يرى صورة غريبة شهوانية لم يرها من قبل فى ذلك الوجه الذى عرفه من يوم أن كان (يحبو) على الوسائد . فوقف هنيهة ينظر إليها وتنظر اليه وكانت



لم تزل بضة البشرة عليها مسحة من الجمال بالرغم من الخمسة والأربعين  
عاما التي قضتها وكان محبوب شابا يهيج شهوته الخادرة أى باعث  
صغير. فأطال النظر إليها وأطالت النظر إليه وسمع أنفاسها تتردد  
في صدرها وهي تنظر لخصلة شعره الاسود المسدلة على جبينه ثم قبلته  
في فمه قبلها في فمها وتماثقا وتلاصقا جسمها بجسمه وأحس نهساها الذابلين  
تدلك بهما صدره . . . .

ثم غابا عن الوجود

..

لقد كان طفلا جميلا فكانت تحبه مريته كأمر حنون والآن صار  
شابا جميلا فأحبه مريته كمشيقة ضرم الحب أنفاسها.  
فيا للعجب مما تراه العيون في ظلام هذه الحياة ؟

( سنة ١٩١٧ )

## العاشق المفتون

بالرتب والنياشين

( من رسائل مجبور افندى ) (١)

خطاب من كاتب الى رجل لا يعرفه

يا صديق العزيز .

اسمع لى أن أناديك بالصديق العزيز مرة فى كل عام وان كنت لم  
أسعد فى حياتى الماضيه ولن أسعد فى حياتى المقبلة بمعرفتك ، ومعرفتك أمر  
هام جداً ، بل هى شرف عظيم لكل من يجد فى قربك سعادة لنفسه وراحة  
لضميره الممذّب . ولكنى لا أكتبك — وان كانت صراحتى تؤمك —  
إنى لا أود ولن أود أن تسمع لى الظروف بمعرفتك بل برؤياك ....

لماذا إذاً أخاطبك فى العام مرة واحدة ؟ لماذا أكتب اليك  
هذا الخطاب وبينى وبينك مسافة ما بين الارض والسماء ، مسافة طويلة  
جداً ، ولكنها لا توجد إلا بين نفسى ونفسك ! ما جمانا قريبان  
وربما التعلما فى الطريق مرة واحدة لانا نعيش سوياً على صعيد  
واحد ، هو مصر . اذاً لماذا أكتب اليك ؟ انى لا أسأل نفسى لآنى

---

( ١ ) كان فى عزم التقيد أن يكتب سلسلة مقالات تحت هذا العنوان

ولكن لم يتم الا هذه القطعة

أعرف السبب وسأذكره إليك فربما وجدت فيه عزاء لنفسك المضطربة وراحة لضيق الهامج . ولكنى لا أريد أن تكلم سويًا إلا إذا اعتقدت انى صريح فيما أقول وأنه لا يحملنى على مناقشتك إلا أمر واحد هو حبي للناس . ومن هذا الحب تولدت فى قلبى عاطفة غريبة نحوك ، عاطفة تكونت من عصير الشفقة والرثاء . وما أجمل الصراحة التى يتساقط من نورها الوضاح شعاع الشفقة والرثاء .

أنت بلا شك لا تنضب لآنى صريح ولكنى أخشى أن يسوؤك رثائى وشفقتى . لهذا أود من صميم قلبى أن تتنازل عن كبرياءك . . . . عفوًا أيها الصديق العزيز ! عفواً ! لقد أخطأت مرة ثانية وقلت انك من المتكبرين المتفطرسين . ولكن ما الذى يضرك ، وهل يسوءك أن أصفك بهذه الصفة وأنت ممن يحبون فى الكبرياء والابهة لذة لا تقدر أن تظن اذا انى لم أغضبك مرة ثانية وانى لم أخطئ بالمرّة . فاسمع لى اذاً أن أقول لك انى أود من صميم قلبى أن تتنازل عن كبرياءك فى غضون تلك الساعة الزمانية التى نود أن نتحدث فيها سويًا وأن لا يسوءك أنى أشفق عليك وأرثى لحالك .

اذا ظنبت الحديث على الشروط الماضية . وحديثى معك يبدأ هكذا: أنت أيها الصديق أحد رجلين ، فاما أن تكون من أعيان القاهرة ، تلك الجماعة التى تسكن القصور الشاغرة تحوطها الحداثى الفناء ، والتى تركب السيارات ذوات المتناهيخ المزجة ، والتى اذا تكلمت تأت فى كلامها ووزنت كل حرف بميزان الابهة والكبرياء ، والتى تلبس الملابس

الغالية وتأكل الطعام الفاخر ، والتي تجدد في التبخر ، اذا سارت ، باباً جديداً من أبواب الظهور بين الناس ، والتي اذا زارت لا تزور الامن له صلة بكبار رجال الحكومة ولهم تحنى ظهورها ، وتعبد للرق رقبها ، أما لنيرم فتظهر بمظهر المتعجب الشاخص الذي اذا جلس التحف بجلباب الكبير واذا سار امتطى ظهر التيه .

إما أن تكون هذا الرجل وإما أن تكون الرجل الآخر ، أى من أعيان الريف الذين اذا أكلوا فى منازلهم اكتفوا بالمعيش والفتة واذا زارهم المأمور ذبحوا له الخروف يتلوه الخروف ، والذين ينامون فى غرفة ضيقة ويكتفون بملابسهم ولكنهم يعدون فى قصرهم لرجل الحكومة غرفة جميلة وسريراً حريياً ولا يستنكفون من أن يقفوا فى خدمته وقفة الخاضع القليل ولكنهم يستنكفون أن يسبحوا لزوجاتهم وأولادهم أن يأكلوا معهم .

إما أن تكون الرجل الأول أو الثانى . وسيان عندي أن تكون أحد الرجلين لأن نفسيكما نشأت من نبع واحد ، فأتما شخص واحد . دع هناك فروق المعيشة فما هى الا نتيجة الجو الذى عشنا فيه . ولا يهمنى من أمركما إلا شئ واحد هو خضوعكما لمن فى يده القوة واستنكافكما من معاشره الآخرين .

الآن قد انتهيت من وصفك ويخيل لى أنك توافقنى عليه لأنك ماهدتى قبل محادثتك بتنازلك عن كبريائك وباعتقادك أنى أصارحك القول . والآن فلنتحدث قليلا لأعلمك لماذا أناطبك فى المام مرة

واحدة . أظنك لا تنكر يا صديقي أنك تقضى العام كله ما عدا عدة أيام قلائل وأنت مستطار الفؤاد حزين النفس ، تقوم مبكراً من نومك وفي رأسك شاغل كبير يقطع عليك أحلامك ويصور لك الحياة في صورة قبيحة لا ترضاها لنفسك . أليس الأمر كذلك ؟ ذلك الشاغل هو قيمتك في أعين الناس . أنت تود أن تكون قيمتك كبيرة جداً ، تريد أن يكون مقامك بين نظرائك أكبر مقام تسمح به الهيئة الاجتماعية في مصر ! ولكنك مع الأسف تجهل ماهية القيمة الانسانية بل ربما كنت تعرف ماهيتها ولكنك تتغافل عنها لانك لا تجد فيها الطريق السوى الذى تسوغ لك كفاءتك السرفيه . لهذا تسير في طريق آخر آملاً أن تصل به الى العرش الذى تطمح نفسك لارتقائه . وما نتج هذا الا من جهلك لانك بلا نزاع لم تنظر للحياة بمنظار الحقيقة ولم تلبس بعد لباس الحقيقة ولم تشرب أيضاً من ينبوعها الطاهر . وليس الذنب ذنبك أيها الصديق العزيز لانك نشأت في جو لم تنل فيه من العلوم والآداب فسطأوا فرائقاً بطيمنتك جاهل ، لهذا ظل قلبك مقفلاً أمام نور الحقيقة ، ذلك النور الذى يتخلل في حنايا القلوب فيضى ظلماتها القاعية . اذاً أنت من الحزب المصرى الذى يرى قيمة الرجل بالرتبة التى ينالها أو فى النيشان الذى يحلى به صدره . وباليته يرى ذلك فحسب بل يمتد نظره الى قاع تلك الهاوية فيرى أن ليس من العار على الرجل أن يفعل كل ما فى وسعه وأن يبرر كل واسطة للوصول لغايته . فأنت اذاً من هذا الصنف ، أى أنك تود رفعة المقام فى الحياة دون أن تعمل شيئاً يذكر تستحق عليه

رفعة المقام . أظنك تواهني أيضا على ذلك . وأظنك أيضا تقضى العام كله وأنت تزور من له صلة بمن في يده تدير الأمور . تزوره كلما سمعت لك الفرصة فتجلس بين يديه وقد جلس الكبير بين عينيه وتمشي الدل في شرايينك فأحنيت رأسك وتذلت في السؤال والكلام والسلام . ثم تعود الى بيتك وتجلس على كرسيك جلسة الكبرياء والمظمة وتفكر فيما فعلت .

انى أقسم بكل عزيز عندي فوق الأرض وتحت السماء أن ضميرك لا يلبث أن يوحك . وأنت ترى فيما فعلت ما يحمر له وجهك وترصد فرائصك خجلا . ولكنك تنظر الى يمينك فتري صديقك فلان حائزاً لرتبة باشا وانت لم تحز بعد الاربعة يك ثم تنظر لثمالك فتري صديقك الآخر حاز نيشانا وصدرك ما زال خالياً من تلك الأوسمة الجميلة . ترى ذلك بعينك فيزيل احمرار وجهك ويحل محله الاصفرار ، اصفرار منشأه النقيض والحسد ، وتظل ركبتك ترتعدان ، ارتعاداً ليس منشأه الخجل بل الغضب والحقد . فتنسى ما أتيتك به ضميرك وتقوم من مكانك وتركب عربتك لزيارة رجل آخر ممن يتصلون بأولى الحل والعقد . وتظل العام كله وأنت لا يقر لك قرار . فإذا دنا الميعاد وجاء الوقت الذى يتكرمون فيه على الناس بالرتب والأوسمة اكثرت من زياراتك وقضيت لياليك وأنت لا تنام ، يدنيك الأمل ساعة ثم لا يلبث أن يبعدك اليأس . ثم ماذا ؟ تظهر النتيجة فتري نفسك قد سقطت في الامتحان . ويلاه وألف مرة ويلاه . ويلاه لنفسك لأنك لم تسأل غايتك ويلاه لزوجتك لأنك

تحرم عليها الطعام وويلاد لا ولادك لأنك تشبههم ضربا وويلاد لخدمك لأنهم يطلون مدة وعم مهددون بالطرذ . ثم ترجع لنفسك وتسألها لماذا فاز غيرك ولم تفز أنت فلا تهتدى لشيء . ثم تسأل الناس وتعود لزياراتك الى أن يساعدك الحظ وتنال ما تريد . فإذا نلت الرتبة أو النيشان تمشى السرور في نواحيك وهزك القرح هزة تخشى أن تضر بصحتك . ثم تمر الأيام وتفسى كل ذلك وتنظر الى يمينك وإلى يسارك فترى الصورة التي رأيتهما قديما ، ترى قوما آخرين من أصحابك هم أعلامك رتبة أو حازوا نيشانا لم تحزه أنت فتعود الى شاغلك القديم وتكرر الزيارات والخضوع والخضوع ، أى أنك تظل طول حياتك معذبا مكروب النفس حزين القلب فوأسفاه لك ! ومن تلك الحياة المنقصة التي ارتضيتهما لنفسك .

ولعلك بعد هذا الحديث الطويل توافقني بل تشكرني لأني أشفق عليك وارثي لحالك . واسمح لي أيضا أن أقول لك — وإن كنت أشك فيما سأقوله — ربما يجوز بخاطرك الآ هذا السؤال « إذا ما هو الطريق الذي إذا سرت فيه استراح ضميري وهذات فائدة نفسي ؟ » . ما هو هذا الطريق أيها الصديق ؟ سأخبرك عنه واعلم أن من أجل هذا السؤال أكتب اليك هذا الخطاب . أنت لست من العلماء لأن طرق معك باب العلم وأقول « اقرأ وأف وأف واخترع » ، ولست من رجال الصناعة فأقول لك « اعمل في سبيل رواج صناعة بلاطك » ، ولست من رجال الأدب فأقول لك « أى كتاب كتبت ؟ » ولست من التجار ولا رجال الحكومة ولا ولا . . . . . ولكنك من الأغنياء . أنت من الرجال الذين

يكنزون في بيوتهم القناطير المقنطرة من الذهب والذين اذا مشوا أو ركبوا قال عنهم الناس « هذا هو الغني فلان » أنت من هؤلاء أيها الصديق وأنا لا أطالبك بصرف مالك وتبذيره . كلا وألف مرة كلا . أنا أود أن يظل مالك في حوزتك ولكني أرجو أن تتنازل عن بعض ابرادك لمن يستحقه . بلادك أيها الصديق محتاجة لبعض مالك لينفق في سبيل الخير . أمامك الفقراء يودون أن يجدوا أمامهم مدارس يرسلون اليها أبنائهم بلا أجر وأمامك الشيوخ الذين أقدم المرض والفقر والشيخوخة عن العمل . هم في حاجة للمجى يلم شتاتهم ويدفع عنهم ذل السؤال . وأمامك ، اذا مررت في الطريق على قديك الأطلال المتشردون الذين باحسائك ينصلح حالهم فيعودوا بالخير على أمتهم . وأمامك المرضى الفقراء فهل لك أن تنشأ لهم مستشفيات وفي طاعتك أن تعمل ذلك ؟ هذا هو السبيل السوى الذي تستطيع أن تسير فيه بأقدام ثابتة .

أتدري أيها الصديق ماذا يكون من أمرك اذا فعلت ذلك — على شريطة أن لا تزور أحداً ممن كنت تزورهم وأن لا تحنى رأسك للذل ولا تمد رقبتك للرق — أتدري أيها الصديق ماذا يكون من أمرك ؟ انى سأقول لك شيئاً ستندم على له وأخشى أن لا تصدقنى . ولكنى سأقوله على كل حال . انى أؤكد لك أيها الصديق ان تلك الرتبة التى كنت تسعى لها متسعى هى اليك وان النيشان الذى كنت تفتش عنه فى كل ساعة سيفتح عنك بنفسه . وسوف يقول الناس « ان الرتبة والنيشان تقشرفان بك بدل أن تقشرف بهما »



ثم بعد ذلك ، بعد هذا الكلام الطويل بيني وبينك ، ما زلت أحس بدافع يدفعنى لأن أقول لك شيئاً آخر ولكنى أفضل أن لا أقوله خشية أن تنفر منى وتظن انى واهم أو انى أخبط خبط عشواء . أأقول أم لا أقول ؟ لا أعلم ؟ دعنى أفكر ! وأخيراً قد استقر قرارى على أن أقول هذا الشيء . فان كنت حى الضمير صدقتى وشكرتى وربما قبلتني قبله أخوية طاهرة . أما اذا كنت بمن لا ينفع معهم الكلام فاقى لا أخسر شيئاً كبيراً بما سأقوله بعد ما أتعبت نفسى فيما قلته لك . اعلم يا صديقى انك بعد ان تقوم باحدى الاعمال التى طلبتها منك ستشعر بشيء غريب ، بشعور جديد ، براحة فى ضميرك توحى اليك بأن تعتقد أن خير جزاء وأن أكبر مقام هو تلك الراحة التى تشعر بها عند ما ترى عينك الاطفال الذين أصلحت حالهم والشيخوخ الذين آوئتهم ، والمرضى الذين شفيتهم . عندها تسمى ربتك القديمة ونيسانك القديم وتعرف أن الاحسان هو أعظم رتبة وأكبر نيسان وأن الرب والأوسمة ما هى الا وهمام ؟

( سنة ١٩١٧ )



# الشباب الضائع

رواية قصصية مصرية

## الفصل الأول

كان الأستاذ الشيخ محمد عبد العليم يلقي على تلاميذ الفصل الأول من السنة الأولى بالمدرسة الخديوية في الساعة الثالثة بعد الظهر درساً في (المبتدأ والخبر). وكانت التلاميذ مصغية إليه اصغاء الطفل لنصائح أبيه لا حياء في الأستاذ ولكن خوفاً من شدة اذ كان معروفاً بينهم بياسه وغلظ كبده حتى لقبه أشقيائهم بالصاعقة فكان اذا لاح شبحه من بعيد وهم يلعبون ويمرحون في فناء المدرسة صاح أحدهم قائلاً «هلم بنا نغادر هذا المكان قبل أن تحمل به الصاعقة» وتعقب هذه الصيحة ضحكات متواليات تدل على بنفهم للأستاذ وفقرهم منه. وما كان الأستاذ بالرجل ذي القلب الأسود كما يزعمون ولكنه كان ممن يتفانون في حب النظام ومراعاة الآداب وكمن مرة رآف بتلاميذه وأشفق عليهم وساعدهم اذا خانهم الحظ في الامتحان.

أتم الأستاذ درسه ونظر في ساعته ثم قال (ليرفع سباته من تعسر عليه فهم شيء من درس اليوم؟) وأجال بصره بين صفوف تلاميذه فلم يجد بينهم من أجاب سؤاله فابتسم ابتسامة الظافر وقال (نتيجة حسنة تبشر بمستقبل باهر إن كنتم فيما فعلتم صادقين) وحول بصره لوجه شاب أسمر اللون نحيف القوام ألقى أسود العينين يرى الناظر فيهما اثراً للعز والتمكيد. نظر إليه الأستاذ ملياً والتلميذ حاسر

الطرف ثم قال له بلهجة المازي - ( ما رأى أبى الانشاء فى درس اليوم ؟ ) فلم يجب التلميذ ببفت شفة فأردف الأستاذ جملته بجملة أخرى أغضى لها التلميذ حياءً وكاد يجرى الدمع فى عينيه اذ كان من خلقه الحياء الشديد ، حياءً يقرب من الجبن .

قال له الأستاذ . ( أتولى عطفك أفقة وتصبر خديك استكباراً ؟ ) وألقى عليه سؤالاً فى درس اليوم وطلب منه الاجابة فلازم التلميذ الصمت لتشتت فكره فقال الأستاذ وهو يحرق الأرم ( لقد اهملت النحو وانصرفت نفسك للانشاء ولذا تأتى بالخطأ الفادح فى جملة المنفعة ولو تبعت نصيحى وخصصت جزءاً من وقتك لدراسة النحو لكان لك فى فن الانشاء شأن عظيم اذ لا ينكر احد جمال أسلوبك ولكنى أبشرك بنحوم الذكر ما دمت لا تسمع إلا ما توحى اليك نفسك ) . وتمضى الأستاذ يمينه ويسرة وهو غير ملتفت للتلميذ ثم ادار اليه وجهه وقال ( اجلس ) ودق الناقوس معلناً للطلبة ساعة انصرافهم فخرج الأستاذ تتبعه التلاميذ إلى فناء المدرسة

وقف التلاميذ فى الفناء صفّاً صفّاً ونادى الضابط المراقبين وكانوا كثيرين فى ذلك اليوم وانتظر التلاميذ ناظر المدرسة الى ان وافاهم وادوا له التحية وهو واقف على درج لم يكن غير ( سلام الفناء ) فأذن لهم بالانصراف فنادوا باب المدرسة وهم ثملين بنخرة حريتهم بعد سجنهم .

خرج حسن أمين (أبو الانشاء) مع من خرجوا من التلاميذ وهو يتمر بأثواب خجله وخيته وما زال يفكر فيما سمعه من أستاذه أمام اخوانه الى ان وصل الى باب المدرسة الخارجى فابتدره البواب قائلاً :

— ما الذى يشغل بالك يا حسن بك ؟

— لا شئ يا عم طه

وسار حسن فى شارع درب الجمايز وهو مطأطئ الرأس الى أن وصل الى ساحة باب الخلق وهناك عرج على قهوة وطنية معلقة عليها لوحة مكتوب عليها بالثلث (النادى المصرى) . وجلس فى ركن من أركانها يفكر كالشاعر الذى يمنه خياله عن رؤية ما حوله ثم وافاه خادم القهوة حاملاً تحت أبطاه جريدتين وضعهما أمامه وهو يقول هاك اللواء والمؤيد ياسيدى وسأتيك بالاهرام والمقطم بعد ان أعد لك القهوة وتركه ليجيب طلب معمم من لابسى الجلابيب الزرقاء .

أمسك حسن «باللواء» فى يده وقرأ كل ما فيه مستثنيًا الاعلانات وهم بقراءة المؤيد واذا به يرى الخادم يضع أمامه فنجان القهوة يحف به المقطم والاهرام فأعطاه حسن قرش صاخر وشكره الخادم وانصرف . وقرأ حسن الجرائد الأربع ثم هم واقفاً وهمل محفظته تحت أبطاه وسار الهويناً لمنزله وكان يسكن الحزاوى . وصل حسن منزله عند التروب بعد ان قال لنفسه فى الطريق (لقد امتلكت تلك المقالة تسمى وأسرت لى فلهذا كتبها فهو أفضل من كتب) وقام فى يدهاء أفكاره قليلاً

ثم علت شفتيه ابتسامة تشف عما في قلبه من فرح وقال ( يا حبذا لو  
تحققت تلك الأحلام . أأغدو يوماً ما كاتباً ؟ من يدري ؟ ) ثم قرع باب  
منزله ثلاثاً ففتح له الباب وصعد السلم فرأى والدته تنتظره في ردهة  
البيت فقبل يدها وقبلته في خديه وقالت له :

— لقد تأخرت يا حسن فأين كنت ؟

— كنت أقرأ الجرائد يا أمه

— قراءة الجرائد يا ولدى أكبر مدعاة لإهمال الدروس فخل

عنك قراءتها واشتغل بما ينفعك

— انك يا أمه تجهلين ما يجرى خارج المنزل ولذا تلقين القول

جزافاً

— أنا لا أنكر يا ولدى أنى جاهلة ولكن شعورى يوحى الى

بما ينفعك

— لقد أنبنى أستاذى اليوم لانى تبعت ما يوحى الى شعورى

فوالله لا أدرى أنصنح لنصائح الأم أم لنصائح الأستاذ

وترك أمه ودخل الى غرفته

حسن أمين هو ابن المرحوم مصطفى افندى أمين الذى كان

كاتباً بنظارة المعارف العمومية فى عهد توفيق باشا والذى أحيل على

المعاش قبل وفاته بسنتين . توفى مصطفى افندى فى سنة وفاة عزيز مصر

تاركاً ولده حسن وزوجته عزيزه وبيتين صغيرين فى شارع الحمزاوى

استبدلها بمماشه ، كان يسكن الطبقة العليا من أ كبرها ويتقاضى سبعة جنيهات أجرة الثلاث طبقات الباقيات .

مصطفى أفندى رجل لا يعرف عنه الا أنه ، مصرى الأرومة طويل القامة بدين الجسم اذا غضب استرسل فى غضبه دفعة واحدة وتناساه دفعة واحدة ، وكان أ كولا له فى أنواع الأطعمة وألوانها آراء جرت بين أهل ناحيته مجرى المثل ولكنه كان محبوباً من جيرانه يعظمونه ويذكرونه بالحسنى ويقفون له اذا مر أمامهم كأنه سيدم وعميدم

لم يذق مصطفى أفندى فى حياته الحب ولم يستوجف فزاده ذلك الشيطان الرجيم ولكنه كان ممن اذا مرت أمامهم سيدة تحدثوا بجمالها الفتان وحسنها الرائع . تزوج مصطفى أفندى فى شبابه سيدة لم تضرب فى الجلال بسهم وافر ولكنها كانت غفيرة سلسة القياد تقتصد فى بيتها وتكره التخالل فى الزينة والتبرج . عاشرت تلك السيدة دهر أطويلاً أذاقته فيه حلاوة العيش ثم ماتت ولم تترك فى أحضانها ولداً ولا بنتاً .

أسف مصطفى أفندى على زوجته أسفاً كبيراً وبكائها آناً ليله وأطراف نهاره حتى أصيب بمرض أورثه الضعف والهزال وكان قد بلغ الخامسة والخمسين فأشار عليه بعض أصدقائه أن يتزوج فتاة حسنة تزيل الحاظلة الساحرة عن قلبه نار آلامه المستمرة . ضحك مصطفى أفندى لهذه الفكرة وظنّها كالحلم العذب اللذيذ الذى يمر ببال التائم فى ظلام الليل ولا يلبث أن يزول اذا ظهر فى الفضاء شمع الشمس . ولكنه راود فكره كثيراً ورأى فى نفسه الحاجة لتلك الزوجة وما زال يجادل نفسه ويزيل العقبات من



سبيله الى أن تجسست في خيلته تلك الفكرة وأصبح تحقيقها أمينة الوحيدة .  
وبحث مصطفى أفندى عن تلك الفتاة كثيراً الى أن وفق لمائلة ربتها  
شركسية توفى زوجها المصرى تاركا لها ابنة وولدا . فخطب مصطفى أفندى  
الابنة وكانت تبلغ الثامنة والمشرين وقبلت الأم وهى منهلة الوجه  
لأنصراف شبان الناحية عن ابنتها . ولم يهتم مصطفى أفندى بحال زوجته  
إذ لم يكن جالها غاية الشيخ المريض الذى لا يرجو من امرأته الا عفتها  
واعتناءها به . وتزوج بها وعاشت معه ثلاث سنوات ، ماتت فى السنة  
الأولى منها أمها ، ثم ولدت له ولدا سماه حسن فرح به فرحا كاد أن يقتله  
وما زال يرنع الولد فى أحضان أبيه وأمه الى أن توفى مصطفى أفندى بالغا  
الثامنة والستين تاركا ولده بالغا من العمر عشر سنين .

نشأ حسن ضعيف الارادة — وابن الشيخ المريض لا ينشأ الا على  
هذه الحالة ، لا يقدم على عمل الا بعد أن يتردد فيه كثيراً واذا أقدم عليه  
ود أن يتركه ، ولكنه كان يعيل للتفكير والخيال وكان به شغف بالكتابة  
عظيم استحق به فى المدارس الابتدائية لقب « أبا الانشاء » ذلك اللقب  
الجميل الذى لم يفارقه يوم دخوله المدارس الثانوية .

عاشت عزيزة بالسبع دنائير التى كانت تتقاضاها من أجره البيتين  
ولكنها وجدتها غير كافية لقضاء حاجياتها وحاجيات ابنها البالغ السادسة  
عشر ولذا وطدت العزم على العمل فاشتغلت بالخياطة والاتجار ببيع الأقمشة  
فى بيوت الأغنياء والعظماء فكانت ترجح من وراء ذلك ما تسد به نفقاتها  
ونفقات تعليم ابنها .

...

دخل حسن غرفته بعد أن ترك والدته في ردهة البيت ووقف فيها هنيهة كأنه يُقرئ السلام كل ما في الغرفة من كتب وفراش إذ للجهاد في قلوب أهل الخيال مكانة لا تقل عن مكانة بنى الانسان . وقف حسن هنيهة ثم أرسل زفرة أطلققتها جوانحه لم يسمعا غير كلبه الأمين (سحاب) الذى أتاه يصبص بذيبه كأنه يسأله الصفع عن تأخره . جلس حسن على كرسى ونظر لكلبه نظرة العائب ثم ناداه بصوت خنون رقص له الكلب طرباً وقفز ليجلس على ركبتي سيده فأمسك به حسن وداعبه قليلاً قائلاً له (أين كنت يا سحاب ، والى متى تهمل سيدك وهو الذى أحسن اليك وآواك الى منزله ليلة كنت ترتد برداً امام الباب وقد نبذك أصحابك كما ينبذ الطفل النواة . أهذا جزاء الاحسان ؟) وتمادى حسن فى عتابه واستمر الكلب فى اظهار ولائه وكان الوقت كما قلنا وقت الغروب وقد اختفت الشمس ولم يبق فى الأفق الا احمرار الشفق وحانت فى تلك الساعة التفاتة من حسن للنافذة فاذا به يرى فى البيت الذى يقابل لبيه فتاة تطل من نافذتها لتمتع بصرها بجمال الطبيعة وتنظر نظرة المعجب لتورد خدود السماء . نظر حسن للفتاة نظرة لم تمرها التفاتة كأنها أنت للنافذة وفى قصدها غير لقاءه اذ الحياء كما نعلم من خلق النساء . ناداها حسن بصوت يسمع السامع منه رنين الحب والخوف فالتفتت اليه جافة كما يجفل الريم وقد سمع خطوات الصياد . ثم اطمانت له بعد أن عرفته وأشار اليها بالسلام فردته بأحسن منه وتلى

سلامه بقبلة أرسلها على أطراف أنامله احمر لها وجه تلك الفتاة الخروء  
(الكثيرة الحياء) فكسرت من طرفها ثم رفعت اليه وقد علت شفيتها  
ابنسامة جمعت بين آية الجمال والهيام. وابتدأ حسن في محادثتها فكانت  
تسمع كلامه كأنها كانت معه في غرفته اذ لم يكن بين بيتيه وبينها غير  
ثلاثة أمتار لا يعرفها الا من عاش في امثال ناحية الحمزاوى

قال لها حسن

— انى سميد بلقائك يا ابنة خالتي ولقد فكرت فيك طول اليوم  
وأنا مثلوج القواد وكنت كلما استرجعت في غيلتي صورتك المحبوبة  
أشعر بالفرح بهز عطفي وبالصرور يتمشى في جوانحي . كيف حالك اليوم ؟  
— كما ترومه أنت . وكيف حالك ؟

— الحب المحبوب لا يشعر بحزن ولا يتفجع لمكروه

— وهل حل بك مكروه ؟

— لقد خاصمنى أستاذ النحو اليوم وعاقبنى أمام اخواني الطلبة حتى  
ندى وجهى عرقاً .

— أتعد يا عزيزى خصام الأستاذ مصيبة تفتت الكبد وتمزق  
الاحشاء .

— خصام كل أستاذ سهل على أفئدة الطلبة ولكن خصام  
(الصاعقة) . . . . .

— أما زلت تسمى أستاذ النحو ( بالصاعقة ) ؟

— اسم وافق ممهاه يا عزيزى

— دع عنك هذا الفكر جانبا ولنفكر بأمز آخر  
— لنفكر بجنا فهو أحسن وقمّا على قلبي  
أمالت ليديه بعطفها عند سماعها كلمة الحب للمرة الثانية ونظرت  
إليه نظرة المحبة الوفية الصادقة وقالت :

— وهل يبقى هذا الحب في قلوب الرجال طويلا ؟

— ما بقيت الأرض والماء .

— ألم تستهو قوادك اليوم نظرات النيد في الطريق ؟

أسير في الطريق وصورتك في مخيلتي . أنت ممي في كل مكان .

في البيت وفي المدرسة وفي الشارع وفي الحدائق حتى وفي الساعة التي  
أجتهد فيها لفهم درس يصعب على سواد الطلبة فهمه . أنت الحياة . أنت  
الوجود . أنت الدنيا وما فيها من نعيم . واني أقسم لك على الوفاء حقة  
حاشق صدوق المقال ير قسمه حتى آخر نسمة من نسيمات حياته .

واستمر الحب يغازل حبيبته و (سحاب) جالس عند أقدام صاحبه  
كأنه الشاهد العدل على هذا الحب وعلى هذه الاقسام التي تترى على  
ألسنه الناس ولا تلبث أن تذروها الرياح . وصمت ليديه أمها تناديهما  
فأسرعت للقاءها بعد أن حملت النسيم قبلات عديدة وكاد أن يشرح حسن  
بحرارتها على خديه . وما ليديه هذه الابنة تبلغ السابعة عشر تربت تربية  
حسنة وتعلمت تعلما يحسدها عليه الكثيرات من أترابها . وأبوها عبد  
الرؤوف افندى خال حسن رجل طيب السيرة والسريرة سكن أمام منزل  
المرحوم مصطفى افندى بعد وفاته ليكون عونا لأخته (والدة حسن)

إذا دعها الحال لطلب المسوة ، والحياة تدعو النساء كثيراً لذلك .  
وقف حسن بعد أن غادرته ابنة خاله قليلاً ينظر للسماء تارة ولنافذة  
حبيبته تارة أخرى الى أن سمع صوت أمه تناديه قائلة  
— لقد أعددت الطعام يا حسن . هيا لتناول عشاءك  
— ها أنا ذا يا أماء . . . . .

## الفصل الثاني .

— ألم تقرأ مقالة ابراهيم يسرى في مؤيد أمس ؟  
— لم أطلع الجرائد أمس .  
— أنا أعلم الناس بعاداتك يا محمود فأنت ممن يأنفون من مطالعة  
الجرائد  
— بل أنا يا عبد العزيز ممن لا يضيعون أوقاتهم في قراعتها  
— بل ممن يضيعون أوقاتهم في لعب الكرة  
— الكرة ديدني يا عزيزي وانى لا أجد فيها ضياعاً لاوقت كما تزعم .  
وهل وقع ابراهيم مقالته باسمه ؟  
— كتبها تحت اسمه المستعار كمادته  
— انى لا أعرف لقبه الجديد  
— لقد كتبها تحت اسم ( ابن بطليموس )

— لقب مضحك

والتفت يميناً فرأى حسن أمين يقرب منه فصاح به قائلاً  
— ألا ترى يا أبا الانشاء في لقب ( ابن بطليموس ) ما يدعو

للضحك !

— لقد قرأت مقالاته وأصعبنى فيها سمو خياله وجمال أسلوبه  
اذ وصف الأهرام وأبا الهول وصفاً دل على سلامة ذوقه ونصاعة بياضه .  
ألا تشاطرنى رأيت هذا يا محمود ؟

— أنا لا أشاطر الناس أفكاري في شيء لم أقف عليه . واظن اخي  
عبد العزيز يوافقني على ذلك وان كان ينكر على إهمال مطالعة الجرائد  
فقال عبد العزيز وهو كاره

— ان اهوائي لاتوافق اهواءك يا محمود فنبينا الكلام في ذلك .  
— اني ذاهب لأرى من اميل الى منحيه .

وترك محمود رفيقه ومشى يوسع الخطأ مبتعداً ممن لا يتكلمون الا في  
جودة الانشاء وطلاقة اللسان . ثم التفت عبد العزيز لحسن وقال له :  
— وما رأيك انت . انك بلا شك ممن لا يفضيهم الكلام النافع  
— وهل ظننت في غير ذلك ؟

— كلا وحاشا ان اظن فيك الظنون . ولكني أرى بين نابتة  
اليوم قوما لا يمسأون بخدمة بلادهم ولا يعملون الا على خذلانها  
بانصرافهم للهو والألعاب ولذا تراني أرتي لحال محمود مع اعترافي له  
بالتفوق في لعب الكرة . أنا لا ألوم التلاميذ الذين يخصصون جزءاً من

وقتهم للتريض ولكنى ألوم الذين لا يفعلون ذلك . ان للدرس يا حسن ساعة وللتريض ساعة .

— بلا شك . ولكن أتعلم كيف توصل ابراهيم يسرى للكتابة في جريدة كبيرة ؟

— ابتدا بالكتابة في جريدة صغيرة وشجعه صاحبها على المثابرة حتى ثبتت أقدامه في ميدان الكتابة وهو ميدان وعركا تعلم . ووجد في نفسه الكفاءة لأن يحرر في جريدة يقرأها سواد الناس في مصر فكتب في المؤيد

— ولكن علام تسألنى يا أبا الانشاء هذا السؤال . أتى نفسك ميل للكتابة في الجرائد ؟

— منع الحياء حسن أن يصرح عما يجول في خاطره فأجاب صديقه قائلا :

— أنا أكتب في الجرائد ؟ هذا أمل قل . أن يتحقق

— ولم لا ؟ ان اسلوبك يا عزيزى انيق الديباجة مهذب اللفظ ولا أغالى انك في مدرستنا منقطع القرين

وعند ما سمع حسن عبارات المدح من فم صديقه قال دفعة واحدة وقد أنساه المدح حياته الطيبى

— أتظن ان اسلوبى أرق من اسلوب ابراهيم يسرى ؟

وعلت وجهه بعد ذلك خمرة الخجل كأنه لم يكن ينتظر من نفسه

ان يفوه امام احد اخوانه بكلام يشم منه رائحة للنيرة

— ابراهيم كاتب تستعيد الأسماع عبارته ولكنه دونك بمراحل

- انك تمزح يا عبد العزيز  
— لم أتعود المزح متى كنت جاداً. انى ألومك على كسلك وإهمالك  
السير في الطريق التي اختطتها لك مواهبك ولكنى أحذرك لحياءك فأنت  
وان كنت أفصح التلاميذ عبارة فأنت أكثرهم حياءاً وأشدهم خجلاً  
— هذا حق لا مرة فيه وانى أشكو لنفسى حياء نفسى  
وسمع حسن تلميذا يناديه من بعيد فاعتذر لصاحبه وفارقه وهو  
فرحان جذلاً . واتخذ بعد ذلك عبد العزيز وجهة الحديقة وفيها لاقى ابراهيم  
يسرى فقابله وهو متهلل الوجه وصالحه وهو يقول له :  
— قد درك لقد قرأت مقالتك وما زلت عملاً بخمرة بلاغتك الى الآن  
— خمره بلاغتي ؟ إنك تنالى فى القول .  
— أقسم لك بالله وبالشرف انى لا أقول الا الصدق  
— وهل قرأت المقالة حتى آخرها ؟  
— واستمعتها ثلاث مرات متواليات وقرأتها المرة الرابعة صباح  
اليوم وأنا فى الترام  
— وما رأى اخوانى الطلبة فيها ؟  
— كلهم يحبذون عملك ويقررون لك بالتفوق فى ضروب الانشاء  
ومن بينهم من يحسدك  
— من يحسدنى ؟ وعلام هذا الحسد ؟  
— لأنهم يودون الصعود بلا تعب الى المكائنة التي وصلت اليها .  
يحسدك وعملك



— ومن م هؤلاء ؟  
— لم أحداث إلا فرداً منهم  
— ومن هو ؟  
— انى لا أحب نقل الكلام من أفواه الحاسدين الى أذان  
المسودين

— أنت صديقى وأخى ولم أتعود منك اخفاء الحقيقة عني  
— اعذرنى يا صديقى اذ كتبت اسمه عنك  
— وهل فى ذكر اسمه من بأس ؟  
— كلا ولكن علام كثرة الكلام فى مثل ذلك  
— لقد عرفته فهو بلا شك أحمد عبد الله . انه نظيرى من يوم  
أن أسكت أناملى القلم  
— ان الله لا يحب الظالمين يا ابراهيم وحرام أن تظلم الأبرياء  
— هو اذا على فؤاد . انه لا يقرلى بفضلى ويهزأ بمقالانى  
— ولا هذا أيضا . انك تحتال على لأصرح لك باسم ذلك القى  
أخطأ فى غمطك لا فى حسدك .  
— اذا كان هو ممن يغمطونى وليس ممن يحسدونى فلماذا  
لا تصرح باسمه ..

— أخشى أن تكون قد كتبت له الضميمة  
— لست خسيس النفس ولا غليظ الطبع لأفعل ذلك .  
— حاشا أن تكون كذلك يا ابراهيم ولكنى أبرهن لك على حسن

ظنى فيك أقول لك ان الذى غمطك هو حسن أمين

— أبو الانشاء . . . . .

وضحك ابراهيم يسرى ضحكة طويلة وأردف ضحكه بقوله  
— لقد قرأت له موضوعا انشائيا رفع فيه المفعول ونصب الفاعل  
وكاد أن يسكن المبتدأ لولا أن تداركته رحمة من ربه . اذا كان هذا الفقى  
استغفراقة بل ( هذه الفتاة ) يحسدنى على ما أنا فيه من نعمة وهناء فبشره  
بمخذلاته وانحذاره لانه لا ينهض ولن ينهض من الهاوية التى رماه فيها  
حياؤه النسائى .

— ان فى نفسه ميل للكتابة فى الجرائد

— يريد أن يجارىنى ؟

— بل يريد أن يظهر للناس بلاغته

— انه قلق المعانى مضطرب المبانى وسيبقى كذلك الى ما شاء الله .

ودق الناقوس فأسرح الطلبة للدخول فى الفصول .

. . .

جلس حسن أمام مكتبه وأخرج من قطره كتاب كلية ودمنة  
وألقاه أمامه غير طابى به ثم مكث هنيهة يفكر كأنه يسائل نفسه الاقدام  
على شيء ثم أخرج من درجه ورقة يضاء ومن جيبه قلما من الرصاص  
وأسند رأسه بيده اليمنى واضمأ قلبه بين يديه مستسلما لأمانيه العذبة  
وأحلامه اللذيذة ودخل فى هذه الساعة أستاذ المطالعة ( وكان غير  
الصاعقة ) فقامت له التلاميذ وقوا لتودى له التحية ومكث حسن

جالساً كأنه لم يبدأ بأستاذه وحسن حفظه لم يلفت إليه الأستاذ . ابتداءً التلاميذ في المطالعة وكان أول القارئین فتى من أبناء ملوى له لهجة أبناء الصعيد وهي لهجة تستهجنها آذان أبناء مصر وإن كانت أقرب للعربية الفصحى من لهجتهم التي لا تنبؤ عن أسماعهم . قرأ التلميذ واسترسل في قراءته وفسر الالفاظ المخلقة وكان يمارضه الأستاذ في معانيها والاستاذ من الامانة الذين يعتمدون الكلام باللغة الفصحى له منظر لا يفارق عينيه الا ساعة نومه ويقال أن أول شيء تمتد إليه يده عند استيقاظه من نومه هو منظره الكريم ولذا اعتاد أن يضعه تحت وسادته . وقيل أنه حل بالمنظر في احدى الليالي حادث جل وكان الاستاذ مستغرقاً في النوم فلما استيقظ في الصباح بحث عن منظره كمادته فوجد زجاجة مهشمة فلم يفارق سريره طول يومه . كل هذا لا شأن له في قيمة الاستاذ لانه كان وديع الاخلاق لطيف السجايا محبوباً من التلاميذ لتساهله ورقته .

انتهى التلميذ الاول وابتدأ الثاني وحسن تائه في يدهاء افكاره يكتب في ورقته جملة ويشطب أخرى ولا يسمع الا ( قال دبشليم الملك ليديبا الفيلسوف ) تقطع عليه أحلامه الخيالية . وما مرت الساعة الا ومقالة حسن كادت أن تم الا قليلا . ودق الناقوس فهرعت التلاميذ للخروج وطوى حسن رسالته ووضعها في جيبه وحمل محفظته تحت ايضه ووضع يديه في جيبه ( بنطلونه ) ومشى يترنخ يمنة ويسرة وقد أسكرته خرة ما خطته يده .

خرج حسن مع من خرجوا من التلاميذ ومر أمام البواب كما دته فقال له البواب وقد رأه مسروراً

— أسعدت مساءً يا حسن بك

— أسعدت مساءً يا عم طه

وابتسم حسن للبواب وأخرج من كبسه قرشاً أعطاه له في يده فشكره البواب ودعاه له وسار حسن في شارع درب الجمايز إلى أن وصل إلى قهوة (النادي المصري) وجلس في الركن الذي اختارته نفسه منذ طرقت قدماء أرض هذا النادي المبارك وطلب من الخادم القهوة كالعادة وورقة بيضاء وقلماً وجبراً . وما لبث في مكانه هنيهة إلا وأتاه الخادم بما طلب وزاد عليه الجرائد الأربع وأتم حسن مقالته في النادي وفيه انتهى من تبليغها أيضاً . وجلس يقرأها للمرة الأخيرة واستوقفه عنوانها ثلاث دقائق وكيف لا يستوقفه هذا العنوان هذه المدة الطويلة وهو عنوان غريب وجميل ( الأم الشفيقة القتالة ) وما هي تلك الأم التي تشفق على أبنائها ثم لا تلبث أن ترهق أرواحهم . هي بلا نزاع البورصة وأنه حقا اسم وافق مسماه . قرأ حسن العنوان للمرة الخامسة والعشرين بعد المائة وهو يبتسم ويقول لنفسه ( ليت شعري أينشر صاحب الجريدة مقالتي هذه ؟ ولم لا ينشرها ؟ وهل أنا أقل شأنًا ممن يكتبون في جريدته . لقد شهد لي القاصي والداني في المدرسة بثلاثة الأسلوب وعلو الأفكار . أنها بلا شك ستنشر ولا نزاع في ذلك )

وقرأ مقالته مرتين وأراد أن يقرأها للمرة الثالثة ولكنه سئم من

التكرار فطواها ووضعها في ظرف أتاها به الخادم وكتب على الطرف  
بخط واضح :

إدارة جريدة الحقائق بالقاهرة

حضرة الفاضل رئيس التحرير

مصر

وهم واقفا وهو يتنعم ثم سار في شارع محمد علي موسعا الخطا ومر  
على أربعة من صناديق البريد ولكنه فضل ان يلقي خطابه في ( دار البريد  
الكبرى ) بالمتبة الخضراء ليكون آمنا عليه ولما وصل الى تلك الدار  
ألقى في صندوقها الخطاب ثم أرسل زفرة طويلة تعبر عما يخالج قلبه  
من ألم اليأس وحلاوة الأمل .

---

## الفصل الثالث

— ماذا تملين يا ليبة ،

— ألبس ردائي الجديد يا أماء

— وعلام تلبسينه وأنت لا تفادين الدار اليوم ؟

— وهل يسوؤك ذلك ؟

— كلا يا بنتي

لم تلبس ليبة ردائها الجديد الا ليراه حسن . ونعيمة هائم أمها لانجهل ذلك ولكنها تجاهله لأن الامهات يتنافضن عن هفوات بناتهن ويسعين سرأ في اصلاحها . ولذا سككت نعيمة هائم ولم تناقش بعد ذلك فئاتها فيما فعلت

وظلت ليبة تروح وتجي أمام المرأة وهي تصلح من شأنها الى أن حان ميعاد حبيبها فذهبت الى الغرفة التي تطل من شباكها لتقرأ السلام وتستقبل قبلاته الحارة يحملها اليها نسيم الغروب .

..

دخل عبد الرؤوف أفندى بيته ونادى زوجته لتساعده على خلع

ملابسه فلبت نداءه وبعد ان لبس لباس المنزل جلس على مقعد من الخيزران واشعل سجارة واسترسل في تأملاته . وجلست زوجته بجواره وهي تنظر للدخان المتصاعد من فم الى سقف الغرفة . ثم التفت اليها بعد قليل وقال :

— سنغادر هذا المنزل آخر الشهر

— ماذا تقول ؟

— أقول إننا سنغادر هذا المنزل آخر الشهر

— والى أين نذهب ؟

— الى حيث يسوقنا القدر

— أتمانح القاهرة ؟

— هذا ما لا ريب فيه

— وأى حادث حدث ؟

حدث ما لم يكن في الحسبان . لقد خاصمى رئيسى فى الديوان فسمعت مراراً لحنه على نسيان تلك الحفوة الصغيرة فأبت نفسه الصفح وقرر نقلى فى آخر الشهر . فلعنة الله على اللساسين الذين لا تهدأ نفوسهم الا اذا أوقفوا بين المرء وأخيه

— ومن هم هؤلاء اللساسين ؟

— قوم فى الديوان حادونى لنشاطى واستقامتى وعز عليهم أن أكون محبوباً من رئيسى فتهربوا اليه بحيلهم الشيطانية وانتظروا هفوة صغيرة ارتكبتها . فلما حانت لهم الفرصة أغروهم على نقلى فصمدع لاغرائهم

— أما من رجا في صفحه ؟

— لقد فعلت المستحيل فلم أنجح فكلى الأمر لله

سكنت نعمة وقد هالها ما سمعت ومكثت مدة وهي تفكر في أشياء كثيرة . عزّ عليها أن تفادر هذه الدار التي تربت فيها ابنتها . عزّ عليها أن تبتمد عن المنزل الذي يسكن فيه أهل زوجها . عزّ عليها أن تفارق القطعة التي ألفتها . وعزّ عليها أن ترى الدمع يحول في عيني ابنتها لفراق من وهبته روحها الطاهرة . والأُم وإن كانت تكره من ابنتها أن تميل لأحد الشبان فإنها تكره أيضاً أن تراها تبكي وتنتحب لفراق من تميل إليه . وما زالت نعمة هائم مسترسلة في أفكارها إلى أن قال لها زوجها .

— وما قولك في هذه المصيبة الجديدة ؟

— وماذا تريد أن أقول ؟

— كنت أظن أني سأقل الى بلدة قريصة كالجزيرة حتى لا أرغم على مفارقة هذا المنزل المحبوب ولكني سمعت اليوم بل تأكدت إنا سنسافر الى أسيوط أو الى دمياط

— يا لله . سنحرم من لقاء أحبابنا أعواماً عديدة

— ربما كان الامر كذلك . تلك بلاد لا نعرف من أهلها أحدا

وسنعيش فيها كالغرباء حيناً من الدهر . عيشة الغرباء مؤلمة لا تحتملها النفس .

— تلك مشيئة الله يا عبد الرؤوف



...

بينما كان عبد الرؤوف أفندي يحدث زوجته كانت ابنته ليبة واقفة  
أمام الشباك وقد أتمدت رأسها بذراعها واستسلمت لأحلام غرامها الى  
أن سمعت صوت ابن عمها يقول

— مساء الخير يا عزيزتى

احمر وجه ليبة وقالت

— أتمدت ، مساء يا حسن . كيف حالك اليوم ؟

— كما يودلى كل حبيب ، ما هذا الثوب الجميل ؟

— أترأه جميلاً ؟

— جداً . ولكنه أقل جمالا من لابسته

— أنتظن ذلك

— بلا شك يا فانتتى ، ان ثوبك جميل وزيدته جمالا قدك الأهيف

وشعرك الاسود ومعصك الجميل وعيونك الساحرة

— لا تطل مديحك يا حسن

— أنت حورية ، من حور الجنان وأنا عبدك الواله المطيع . ألا

تعرفين يا ليبة فيم أفكر كثيراً ؟

— فى نوالك الشهادة

— أنا لا أنكر انى أفكر فى ذلك ولكنى أفكر فى أمر آخر

تصبوا اليه نفعى كثيراً ، احضرى يا ليبة . احضرى فانه يلذلى أن تحضرى

ما يحول فى فكرى فى كل دقيقة بل فى كل ثانية

سكتت ليبة هنية لفكر ثم قالت :

— لا أعلم

— انك اذا لاتحيتنى لآئك لا تفكرين فيما أفكر فيه

احمر وجه ليبة ووضعت كفها على وجهها لتخفى احمراره لأنها أدركت أن حسن لا يفكر الا بزواجه بها وهو ما تفكر فيه أيضا ، ثم قالت له بعد قليل .

— بأى شىء تفكر يا حسن ؟

— ألم تدركى بعد ، انى أفكر فى زواجنا . فهل تفكرين فيه أيضا

فقالت وهى معططة الرأس

— فى كل آونة

فابتسم وقد سره سماع هذا الاقرار من ذلك القم الجميل ثم قل

لها وقد ارتسم السرور على وجهه

— انى سميد يا ليبة اليوم لثلاث أمور ، أولها رؤيتك فى هذا

الثوب الجميل وثانيها اقرارك لى بأنك تفكرين فى زواجنا كل آونة .

وثالثها أمر آخر لم يتحقق بعد

— وما هو ؟

— أنت تعرفين انى أحب الانشاء كثيرا

— نعم

— وأود أن أصبح يوما كاتبا عظيما فى احدى ..

— نعم

— لقد أقدمت على عمل عظيم اليوم

— وما هو؟

— كتبت مقالة وأرسلتها لتشر في إحدى الجرائد

— ولأى جريدة أرسلتها؟

— لجريدة الحقائق ...

ولم تبد لييبة اهتماماً كبيراً لما أخبرها به حسن لتفكيرها بمحبها وزوجها  
وسعادتها فمز على حسن بل ساءه كثيراً أن يرى من لييبة ذلك . فاحمر  
وجهه قليلا ونص بريقه عند ما حاول متابعة حديثه شأن كل حي يدفعه  
الحياء الى ما يقرب من الجبن ثم نظر الى السماء كأنه يسأل الله خلاصه من  
خيئته ثم نظر الى الارض هربا من نظرات لييبة وكأنها شعرت بما يدور  
في خلده فودت إصلاح خطأها فحادثته بصوت حنون تبرا عند سماعه  
القلوب الكليمة قائلة

— أو أائق أنت من نشر مقالتك؟

— لا أعلم

وسكت خروفا من الكلام فابنست لييبة ابتسامة تعبر عن هزيمتها

وسكنت ناظرة للفضاء

لبث حسن هنيئة يفكر وكل فتى حي يحلوه التفكير اذ فيه التمزية  
الكبرى لخيئته وقد حدا به فكره الى مخادعة حبيبته ولكنه لم يستصوب  
هذا الرأي مخافة أن يسى لمن يهوى فزادت حيرته ولكنه اهتمدى دفعة  
واحدة لرأى ظله صائبا وسرعان ما يهتدى القنى الحى للآراء الجديدة .

فقال لنفسه سأشرح لها شؤون الكتابة والكتاب لتقف عليها. فالتفت إليها فوجدتها تبتم كأنها تسأله الصفع والرضى فقال لها بصوت متهدج — انك بلا شك لا تعرفين ما يمازيه الكاتب عند كتابته مقالته —  
— أود أن أعرف ذلك

وكان هذا الرضى مفتاح استرسال حسن في حديثه فقال — أه يا عزيزتي لو كنت تعرفين ذلك ؟ إن الكاتب إذا جلس أمام مكتبه وأمسك بالقلم في يده استرسل للتفكير أولاً فإذا ما اخترت الفكرة في رأسه أراد أن يكسو معانيها ألفاظاً أنيقة تلذ القارىء. فإذا وفق لذلك خطها قلعه على الورق الأبيض بالمداد الأسود ويكون هذا شأنه في كل ما يكتب ولا تظنين أن الافكار تترى في رأس الكاتب تباحا ولا أن الألفاظ دانية القطوف . وإذا أراد الكاتب أن يكون مبسوط العبارة متناسب الفقر بعيداً فيما يكتب عن شوائب اللبس فإنه لعمرى يحاول المستحيل والدليل أنا لا نجد في مصر عدداً كبيراً من الكتاب — وإذا وفق الكاتب الى كل ذلك ،

— إذا وفق . يدخل جنة الحياة يحمله إليها ملائكة البلاغة —  
— ما أحلى وقع هذا الكلام في أذنى . أستحظى يا حسن بكل ذلك —  
— إذا أراد الله لى الخير

— سأسأله في كل لحظة أن ينيك هذا المقام الرفيع —  
— أنت أذاً تشارطينى فرحى ؟ انك لا تعلمين كم أنا سعيد بذلك . ظننتك لا تهتمين بما تصبو اليه فعسى ، بتلك الامنية التى أصبح إذا قلتها

أسمع إنسان في مصر فاذا بك تسألين الله أن أحظى بها عاجلاً فشكراً  
لك ، اللهم شكراً لك .

ورفع حسن يديه للسماء شاكراً فابتسمت حبيبته وقالت له

— ومتى تظهر مقالتك ؟

— بعد ثلاثة أيام أو أربع لأنهم سيقدمون عليها مقالات كبار

الكتاب واني أعدك انك ستكونين أول من يسمع بظهورها

— يا لسعادة نفسي في ذلك اليوم

ونظر المحبان للسماء فوجدا الظلام بدأ يضرب خيامه فافترقا وهما

يتسلمان . فلما أدار حسن وجهه لشرفته وجد تمسه فيها وحيداً ولم يطلق

أن يستأثر بسعادته الكبرى فلم يدرك ما يفعل فابتدأ بالقفز في غرفته فاذا

به يرى كلبه ( صاحب ) يقفز خلفه كأنه يشاطره هنائه وسعادته .

## الفصل الرابع

---

أتى ناظر المدرسة الخديوية بمشى الهوينى الى أن وصل الى الدرج فوقف عليه ليحيى طلبته قبل انصرفهم . وكانت الطلبة قبل ظهور ناظرهم فى هرج ومرج فلما رأوه قادما اليهم لموا السكون كأنهم كانوا متأهين له . حيا الطلبة رئيسهم وحياهم وانصرفوا الى الخارج والحرية نصب أعينهم ، وليس شئ أحب الى قلب الطالب من تلك الساعة الجميلة ساعة انتهاء من درسه واستنشاقه عير حريته

مشى ابراهيم يسرى الهوينى الى أن وصل الى الباب الخارجى وهناك قابل عبدالمزيز واقفا يمسح حذاه وهو يطالع جريدة اللواء فابتدعه بقوله .

— هل من أخبار جديدة

— لا أرى شيئا يستحق المنايا

— وباب المقالات ؟

— أرى فيه ردألمن يكتب تحت لقب ( عبد ربه ) على مقالات  
احمد نديم

— لقد صار احمد نديم ذائع الصيت بين كبار الكتّاب

— انه يكتب منذ سنين عديدة

— ومن هذا الذى يكتب تحت اسم ( عبد ربه ) ؟

— يقولون انه موظف بأحدى النظارات وآخرون يقولون انه تلميذ  
( بالمدرسة السعيدية ) وآخرون يقولون انه من كبار قضائنا .

— أصدق أنه قاض أو موظف ولكنى لا أظن أنه طالب

— ولم لا ؟

— أيمكنك الطلاب كلاماً كهذا

— وهل تستكثر عليهم ذلك وأنت منهم ؟

— انى ما زلت من الكتّاب الحديثين

وابتسم ابتسامة تدل على اعتقاده عكس ما يقول ولا يستغرب

القارىء ذلك من ابراهيم يسرى بعد أن عرف كل اخوانه أنه ممن

يمتدنون فى أنفسهم الألوهية فى فن الكتابة وزد على ذلك أنه حسود

يكبره أن يرى تلميذاً مثله يجاربه فى مضمار القلم . أما عبد العزيز فهو من

التمامين الذين تدب عقاربهم بين القوم فتقطع بينهم جبال الود والاءاء

وممن يتبعون السيئة حتى يقضوا لياتهم وينالوا غرضهم .

سمع عبد العزيز جملة ابراهيم وقال له :

— انى لا أعتقد ذلك

— أأساوى (عبد ربه) وهو من جهابذة أهل العلم أصحاب النقد  
الصحيح والفكر الثاقب  
— لكل منكم طريق لم يسلكه الآخر . أنت تكتب فى الخيال  
وهو فى النقد

— وهل تظن أنى عاجز عن انتقاد الكتاب أجمعين ؟  
— أنا لا أقول ذلك ويسرنى أن أرى فى نقدك ان شاء الله صواب  
الفكر ودقة النظر .

— سوف تقرأ عن قريب فى إحدى مجلاتنا الكبيرة عدة مقالات  
فى معنى النقد وشروطه  
— وأتشم أن تكون بتوقيعك  
— ان شاء الله تعالى . ألا ترى ان الكتاب الذين يكتبون فى النقد  
يحيدون كثيراً عن الصراط المستقيم ؟  
— لا ارى ذلك .

— هذا لأنك لم تقرأ فى الانكليزية كتب النقد الصحيح وهى  
كثيرة يا صديق وان شئت اقرضتك كتاباً منها لتقف على هذه الروح  
العالية المفقودة عند كتابتنا ساعهم الله  
واتمى عبد العزيز من مسح حدائه ونفع ماسح الأحذية قرشاً  
ومشى مع ابراهيم جنباً لجنب وهو يقول له  
— انى أشكرك يا عزيزى ومتى أحظى منك بهذه المنحة العظيمة  
غداً ان شئت ذلك



— ان نفسي انوافة لقراءة هذا الكتاب  
— غدا تبتدىء في مطالعته في حصة المطالعة الانجليزية لان  
مستاذها كما تعلم لا يهتم كثيراً ما تفعله التلاميذ  
— إنه اذا دخل الفصل جلس على مقعده إلى أن يدق الناقوس  
— ولكن نتيجته حسنة دائماً . فما السر في ذلك ؟  
— سعادة حظه

عند ما قال عبد العزيز كلمة « سعادة حظه » ضرب بيده على رأسه  
كأنه يأسف على نسيانه ذكر أمر كان بوده أن يقوله ليسرى . ثم قال له  
— لقد نسيت أن أقول لك أن صديقك أبا الانشاء قد أرسل  
مقالة لجريدة الحقائق

— لقد أخطأت يا صديقي في إلصاق لفظ الصداقة بصفاته وكان  
الأولى أن تقول ( حاسدك لا صديقك )  
— انك ما زلت تضرر له الشر

— انى أمزح معك يا عبد العزيز ولا أخالك تمتد في غير ذلك  
وما موضوع مقالته ؟

— البورصة

— وما عنوانها ؟

— الأم الشفيقة القاتلة

— ومتى أرسلها ؟

— منذ يومين

— ومتى أخبرك بذلك ؟

— صباح اليوم

— عنوان يأخذ بجامع القلوب . انى أهنى ، صاحبك يا صاح على

هذا الذكاء .

— اما زلت تهزأ به ؟

— ان العنوان أطربنى ولذا ترانى أترنح كالشارب النمل

ومشى وهو يترنح بمنة ويسرة مقلداً شارب الخمر وضحك بعد

ذلك ضحكة عالية ثم التفت الى صديقه وقال له

— بشر صاحبك بنجاحه فى مسعاه لأن صاحب « الحقائق »

فقير المادة فسوف يرى فى « قال أبى الانشاء » عوناً له يستعين به

— أتهزأ بصاحب « الحقائق » وأنت أول من كتب فيها .

— ان للحقائق فضل على ولى عليها أيضاً فضل عظيم وأظنك

لا تتكر ذلك .

ووصل الصاحبان الى ميدان العتبة الخضراء فقال عبد العزيز لصاحبه

— كنت أود أن أتم حديثى معك ولكنى مجبر على منادرتك

— وأين تقصد ؟

— شارع الموسيقى حيث أشترى ( نصف دسمة ) من الشرابات .

وفادر عبد العزيز صاحبه فوقف ابراهيم هنيئة ينظر طوراً للغيراء

وطوراً للسماء وهم الى جهة دار البريد وإذا به يسمع صوتاً يناديه فالتفت

خلقه ليرى المناهى وعندها صاح بملء فيه

— أنت أما دارمخلدى أن أراك اليوم . فيا حسن حظى . لقد صدق  
المثل العامى ( افكرنا القط جانا ينط ) واين كنت ؟

كنت جالساً على هذه القهوة ( وأشار يده قهوة النيل ) لا ستريح  
وإذا بى أراك تقلب نظرك فى أديم الأرض طوراً وفى صفحة السماء تارة .  
أخرى فقلت لنفسى والنفس كما تعلم تحب لقاء الأديب : هاك طلبتك التى  
كنت تطلبها منذ حين . فناديتك وأنا آمل أن تشملى بطفلك  
بعد أن رمتنى بهجرتك وسدك

— لا صد ولا هجر فبافعلت أيها الأخ الكريم ولكن المدرسة . . .

— لا تلجئنى لأن أقول ( العذر أقبح من الذنب )

— مغفرة وصفحاً لو كنت أذنبت وتسامحا لو كانت الظروف  
أذنبت .

— هذا كثير يا عزيزى . فلا تجملنى بالله عبد لطفك أبدي الدهر

— لا يسع عدئك الا أن يقر لك بالتفوق فى كل شئ .

— هل لك أن تجالسنى قليلاً ؟

— ذلك ما تصبو اليه نفسى . انى كنت أنظر لأديم الغبراء تارة

ولصفحة السماء طوراً لاني كنت أبحث عن أخ كريم مثلك يسمعنى من  
فيه آيات السحر الحلال .

— يورك فيك يا عزيزى .

وذهب الصديقان لقهوة النيل وجلسا أمام خوان صنير وابتدآ

فى الحديث بعد أن صفق صاحبنا الجديد مرتين فلما آتاه خادم القهوة طلب

منه أن يأتي إبراهيم بنجان قهوة أتى به الخادم بعد قليل .  
— كنت متنحنٍ مع بعض الإخوان وكنا نتحدث بشأن

جريدتك

— انى لأعجب لذلك بعد أن أغضبت الطرف عن جريدة لا أعدها  
إلا من بنات فكرك

— لقد اعتذرت لك يا صديقى فلم تقبل عذرى وليس أمامى إلا شئ  
واحد أصلح به خطأى . سأكتب فى جريدتك من جديد حتى لا تقول  
عنى انى أهملتها بعد ان كنت من الماملين على نجاحها  
— أشكرك يا صديقى

— ولكن كيف حال جريدتك ؟ أتى عزمك أن تجعلها يومية ؟  
— لمن الله من يذوق لذة العلم فى بلد كعصر . انى أقرأ الجرائد  
والمجلات الأوربية وأقتطف منها ما لذ وطاب وأشره على صفحات  
جريدتى ليستفيد منها المعتم والمطربش ولا يكون جزائى على كل ذلك  
إلا العبر والاعراض

— لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم  
— ولقد طرقت باب السياسة وباب الاجتماع وأردت أن أكتب  
فى الفلك والرياضيات ولكن خاب قالى وتلاشت كل آمالى وكرهت  
الصحافة بعد ان كنت أتفانى فى الزود عن حياضها

— كل هذا يفت فى ساعد اهل الأدب ولولا انك ذو همة قصية  
المرى وعزيمة قهل الحديد لنصحت لك بإيقاف جريدتك

— حاشا أن أفعل ذلك ولو قُطعت أرباً أرباً . وسأعمل الى النهاية  
وان أقلت صحيفتي عطاءها ولم أنل منها الا النذر اليسير  
— ألا تخاف الخراب ؟

— أنا واقع فيه يا صديقي من يوم أن فكرت في انشاء الصحيفة.  
أنسيت ان الصحافة لم تنم على بشئ

— وبعد ؟

— سأجاهد حتى ألفظ النفس الأخير

— همة شماء فله درك من وجل

— ألم تقرأ ( برق ) يوم الجمعة الماضي

— كلا

— لقد كانت ( افتتاحيته ) ملاءى بالمطاعن

— ومن كان فريسة ( البرق ) في الأسبوع الماضي ؟

— جريدة الحقائق

— جريدتك أنت

— نعم . وعلام العجب والبرق جريدة لم تنشأ الا لنمش

أعراض الناس

— وما الذى ذكره صاحبها فى مقاله هذه

— قال انى أسب الناس لاستدر أموالهم

— حاشا ان تكون ذلك الرجل

— لقد كتبت عدة مقالات أستحث بها اغنياءنا على مساعدة اهل

العلم والأدب ولت بعضهم على توانيه وتقاعدته عن خدمة رجال الصحافة

— وهل ذكرت أسماء الأشخاص ؟

— لم أذكر أسماءهم ولكنى وصفت صفات بعضهم وصفاً دقيقاً

يعرف به القارئ اسم الموصوف

— أفعلت ذلك ؟

— وكيف لا أفعل ذلك وقد أصبحنا في هذا البلد الأليم كالمشردين

لا نجد لقمة بها

— وما الذى دفعتك لارتكاب هذا الزلل ؟

— لازلل فيما فعلت أيها الصديق القديم . ذهبت عند أحد

البشوات لأسأله بدل الاشتراك فاعتذر بمرضه أولاً وبثقيبه عن قصره

ثانياً ثم جردى من القصر ثالثاً ٠٠٠ وذهبت عند أحد الليكوات فقال

لى بسماحتي المروفة ( لقد أخطأت يا صاح فى العنوان ) وذهبت عند

أحد الكبراء فقفر فاه عند ملاقاتى وسبى أمام خدمه ولولا ما أظهرته

من الشمم والاباء لضربى يده ورفضنى بقدمه فاذا تقول فى كل ذلك ؟

— جنائيات فظيعة على رجال الصحافة

— أليس كذلك ؟

— لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . لقد أصبحت الصحافة

محترقة فى أعين العظماء والكبراء والأغنياء فمن يعولها فى كنانة الله

بدمهم ؟

— كنانة الله ! أتسمى مصر بهذا الاسم : قل جعيم الله . قل

غضب الله . قل صواعق السماء . قل قاذورة البلاد قل ماشئت فقد  
أجأنا الحاجة في هذه البلاد لتصير كالذئاب الجائعة تأكل بعضها بعضا  
ولكن يظهرلى أنك لا تقرأ « الحقائق » منذ مدة طويلة لأنك تجهل  
ما يكتب فيها

وابتدا ابراهيم في خلق اعتذاراته وشرحها بما أتاه الله من فصاحة  
اللسان وبلاغة الكلام حتى صرف مافى ذهن صاحب الحقائق نحوه .  
وما صاحب الحقائق هذا إلا تلميذ حاز شهادة الكفاءة ثم الجأته الضرورة  
لان يتخذ الصحافة مهنة فابتدا عمله شريفا ثم ختمه بسب الناس وشتمهم  
كما تمل أصحاب الجرائد الأسبوعية التي لم تنشأ الا لهذا الغرض .  
وهو صديق قديم لابراهيم يسرى وابراهيم هذا كان من أكابر معضدى  
الحقائق وعلى صفحاتها نشر مقالاته الاولى ولما وجدها تتدهور من هاوية  
الى هاوية صدعها وابتدا بالكتابة في الجرائد الكبيرة الى أن حاز الشهرة  
التي رفعت الى مقامه الكبير بين اخوانه الطلبة . ولقد اراد حسن امين .  
ان يقلده فيما يفعل اينال في الحياة حظا اكبر من حظله واعظم فأرسل  
مقاتله الأولى لجريدة الحقائق .  
مكث ابراهيم يتحدث مع صاحب « الحقائق » مدة طويلة الى  
أن قال له

— ومن ذا الذى يماونك على التحرير ؟

— رأسى ويندى

— الا ترد إليك رسائل من كبار الكتاب ؟

- بل من صفارهم  
وأخرج من جيبه خطاباً أعطاه لآبراهيم وهو يقول له :  
— هاك ، مقالة وصلتني أمس من كاتب مجهول يسألني فيها ان لا  
اذكر اسمه الحقيقي  
— وأى اسم اختاره لنفسه ؟  
— رخصيس الثانى . خذ وقرأ لتقف على المقالة  
قرأ آبراهيم المقالة ثم ردها لصاحبه وقل :  
— انى أعرف هذا المصردور الصغير . انه معنا فى المدرسة  
خفى السنة الرابعة معك  
— فى السنة الاولى وله كلف عظيم بالانشاء حتى لقبه الطلبة بأبى  
الانشاء . أعازم أنت على نشر هذه السخافات ؟  
— لم يقر رأى بعد على شىء .  
— انى اربأ بجر يدك الراقية ان تلوث بهذه القاذورات النجسه  
— انزأى فى مقال صاحبك ذلك ؟  
— انى لا أعد هزوة المدرسة صاحباً لى  
— أنهرأ الطلبة بهذا التلميذ ؟  
— هو . موضوع سخريتهم أجمعين  
— انك اذاً لعلى حق . مزق المقالة والقها على الارض لتدوسها المارة  
وكفى جريدتنا ماحل بها من المصائب حتى ازدها بكلام هذا التلميذ  
المهزأ مصيبة على مصيبة



— أنا لا أمزق كلام الناس يا صديق

— هاتها ....

وأخذها من يد ابراهيم ومزقها وألقى بها على الارض وهو لا يعلم  
انه يمزق بذلك غشاء ذلك القلب المسكين قلب حسن أمين وقد دفعه على  
ذلك ما كان قائماً في قلبه من الحقد على أعدائه وعلى الاغنياء والمعلماء  
وقام يتبعه ابراهيم وقد ارتسمت على شفتى هذا الخبيث ابتسامة  
الغلبة والظفر

---

## الفصل الخامس

دخل حسن قهوة « النادي المصرى » وطلب جريدة الحقائق فأجابه الخادم قائلا ( اتنا لا نشترى هذه الجريدة ياسيدى ) فأخرج حسن من جيبه قرشا وقال للخادم ( اذهب واشترىها لى ) فصدم الخادم لأمره واتاه بها بعد حين

أمسك حسن جريدة الحقائق بيده وبحث فى الفهرست عن عنوان مقالته فلم يجد فكذب الفهرست وبحث فى جميع الصفحات فلم يجد من مقالته حرفا واحداً فأظلمت الدنيا فى عينيه وأقبل الجريدة وألقى بها على الخوان وعافت نفسه قراءة الجرائد الأخرى فأطلق لفكره العنان .

مكث حيناً يفكر فى أشياء كثيرة الى ان سئم التفكير فقام يتمشى وهو مطرق برأسه . ثم أطلق من بين جوانحه زفرة ألفت الى انظار المارة ومشى غير عابئ بأحد .

لم يسلك حسن سبيله الى المنزل لأنه كان سائر على غير هدى ولكنه كان يأمل الخير في الغد مع أن شواهد الحال كانت تنطق بغير ذلك . لقد مرت على مقامه ثلاثة أيام والأقدام تدوسها في الشارع ولكنه كان يجهل ذلك فكان يقول لنفسه « إن لم تنشر مقاتي في الغد فلي آمالي السلام » وباليته كان عالماً بما حل بها حتى لا يفاجأ في الغد بمالم يهجنس في ضديره قبل ثلاثة أيام

ليس شيء أصعب على نفس الناشيء من حبوط أول أمل له ، كما أن هذا الحبوط هو أكبر باعث له على إعادة الكرة لنيل أمنيته وتحقيق غرضه . وتكبر صعوبة حبوط المسمى على الناشيء إذا كان من خلقه الحياء وضعف الارادة وحسن أعظم مثال لهذا النوع من الناشئين . ولذا كان الله عظيماً ، ولم يبعث في قلبه داعي التأسى إلا أمله في الغد وكان الغد آخر موعد للنشر . مقاته ، ففي الغد يفتح حسن صدره للبؤس أو للسعادة مشى حسن من شارع الى شارع وهو لا يلوى على أحد الى أن وصل الى منزله بعد الغروب فأبته أمه فلم يحب عليها وانتظرت حبيبته لتقرؤه السلام كالعادة فذهب انتظارها سدى ولم يعزیه على مصابه في ذلك اليوم الا كلبه « سحاب » .

...

أشرقت الشمس في الصباح وخرجت الناس من منازلها والطير من أعشاشها وتكلمت السنة المدينة بعد أن سكنت طول الليل ومشى حسن من بيته الى المدرسة وهو غير عابئ بما حوله ولما وصل إليها وقضى

بها ساعتين وقف في الفناء مع اخوانه الثلاثة يذيتجاذب أطراف الحديث  
واذا ابراهيم يسرى يقرئه السلام ويقول له

— مالك تفكر يا حسن . أظنت بك مصيبة ؟

— أينبتك حالي بذلك ؟

— نعم .

— انك وام يا عزيزي . لم تحمل بي مصيبة كبرى ولكن حياة

الانسان لا تخلو من المكدرات

— صدقت . اقرأت أمس جريدة الحقائق ؟

— وهل « الحقائق » جريدة تستحق المطالعة ؟

— لقد اخبرني صديقي عبد العزيز أنك أرسلت لمديرها مقالة نفيسة .

ارنج على حسن في هذه الساعة ولم يعلم ما يقول واحمر وجهه خجلا  
وسكت هنيهة وهو ينظر لأقدام من كان حوله ثم رفع بصره لابراهيم  
يسرى وقال له

— أخبرك عبد العزيز بذلك ؟

— وهل في ذلك بأس ؟

— لقد كذب عليك عبد العزيز يا صديقي لأنني لم أغتر بدمجدمع

الآمال حتى أكتب بالجرائد

— أنت أبو الانشاء

— هذه نعمة من يهزأ بي يا ابراهيم فان كنت من هؤلاء فاني

أسألك .

- أنا لا أهزأ بك يا صديقي ولا أرى داعياً يدعوك لاختفاء الحقيقة عني .

- وأى حقيقة أخفيتها عنك ؟ .

- وما الذى يدغو عبد العزيز للكذب . إنك بلا شك ممن لا يحبون التنفى بما ترهم .

- وأى مأثرة يحق لى أن أفتخر بها أيها الصديق

- ومن ذا الذى ينكر فضلك ؟

سكت حسن ولكن لم ينظر للأرض خجلاً كما دته بل نظر الى ابراهيم نظرة تجسست فيها الأثرة من هزوه والاحتقار لشخصه ولوى ظهره له وابتعد عنه وهو يسمع ابراهيم يناديه قائلاً لا تنضب يا (رعميس الثانى) فقال لنفسه ( انه يعرف أيضاً انى كتبتهما تحت اسم مستعار فان لم تنشر المقالة اليوم صغرت فى عينه وهو ممن يتطلعون لذلك . فأف منك يا عبد العزيز لقد أخبرتك بأمر هذه المقالة ورجوتك كل الرجاء أن تنفى أمرها عن كل التلاميذ ولكنك أخبرت به القاصى والدانى فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

تجسست فى رأس حسن فكرة عدم نشر المقالة وكان خوفه من فضيعته أمام ابراهيم يسرى أكبر من خوفه من عدم نشر المقالة وكل ذلك أنه من حياته وضعف ارادته

قضى حسن فى المدرسة يوماً عصياً لم يفقه فيه لاقوال أساتذته

الى أن دق ناقوس الانصراف في عصر ذلك اليوم فخرج مع من خرج من التلاميذ ومشى مسرعاً الى الترام وركب فيه وود أن يسوقه بنفسه فلما وصل الترام الى باب الخلق ازداد اضطراب قلبه وتعددت أهاسه وظهر على وجهه القلق وهم واقفاً ثم جلس ثم وقف ثم جلس وأعاد ذلك مراراً وقفز منه دفعة واحدة وإذا به يسمع بائى الجرائد يقولون (اللواء . اللواء . المؤيد والاهرام) فأخرج من كيسه قرشاً ومد يده لأحدهم صائحاً (الحقائق . على بالحقائق) فبحث البائع هنيهة في أعداد الجرائد التي كانت تحت أبطه وقال له (لم تظهر بعد) . فهم حسن بضرب البائع ولم يستوفقه إلا الترام الذي كان يسير بجواره الى العتبة الخضراء والعتبة الخضراء محط رحال كل الجرائد فقفز فيه كمن به جنة .

وصل به الترام الى العتبة الخضراء واشترى حسن (الحقائق) وقطعها ليرى مقالته الشائقة فاستلقت نظره لاول وهلة لفظة (أم) وكانت عنواناً لاحدى المقالات فظننها مقالته فشر بالدم يعلو الى رأسه وتلثم لسانه وغص ريقه ولكنه قرأ العنوان بامعان فوجده (الأم العادلة) وكانت المقالة غير مقالته . فشرع في البحث عنها في كل جزء من أجزاء الجريدة في باب الوفيات ، في باب الاعلانات ، في باب أخبار البورصة ، حتى وفي العنوان نفسه ولكنه رجع بخفى حنين وكاد أن يصعق امام الناس فألقى بالجريدة على الأرض ولكنه لم يلبث هنيهة حتى حاوده الامل فالتقطها مرة ثانية وابتدأ في مطالعة مقالة « الأم العادلة » ثم حول بصره مرة ثانية لكل كلمة في الجريدة وأخيراً انقطع رجاؤه منها فرمى بها

على الأرض وداسها بقدمه فاعلا بها ما فعل رئيس التحرير بمقالاته ومثى  
الى يته مستمسكا من الامل بخيط باطل .

...

فى تلك الغرفة التى سمعت أذانها كل ماجرى بين حسن وليبية ،  
وامام هذا الشباك الذى استقبل النسيم يحمل للماشقة قبلات حبيبها  
جلست ليبية تبكى وهى تنظر للقضاء . وما ليبية الا فتاة وديمة هادئة  
طيبة السيرة والسريرة لا تستحق من الحياة سهمها القاتل ولا من الوجود  
سلاحه القاطع . لقد وقع على قلبها خبر السفر وقوع الصاعقة فوضعت  
يدها على قلبها الخافق كأنها تبحث عنه بل كأنها تبحث عن آمالها فيه  
وما هى آمال الفتاة السجينة فى الحياة بعد أن يتخلص ظل أمانها فيمن  
تحب ، فيمن عليه تعتمد وبه تسعد وبغيره لا تعرف غير الشقاء

تميش الفتاة المصرية فى بيتها وهى لا تعرف عن الحياة إلا ما يقع  
فى ذلك البيت ولا تسمع من الاصوات الا صوت أهلها ولا ترى من  
الاشياء إلا جدران هذا البيت الضيق وإذا لاح لها برق آمالها فى  
طلعة شاب تراه عفواً ويكون من أقربائها تحكم عليها الظروف بالابتعاد  
عنه فلا تجد تمزية إلا فى الاستسلام للأسمى والدموع .

تلك حال فتاتنا ليبية وهى كما قلنا فتاة لا تستحق ذلك .

ذهبت للنافذة لتقص على حبيبها ذلك الخبر المؤلم فوجدته بعد  
قليل داخلا غرفته هو وكلبه ثم وقف هنيئة يمسح دموعه تساقطت

على خده ثم أقفل باب الترفه وأحكم إقفاله وخلق معطفه وارتمى على سريره ليكي وينتجب فنادته بصوت يسمع السامع منه رنة الحزن والأسى فهم واقفاً وذهب للنافذة وهو يكي واندesh لما رأى حبيته تبكي مثله .

ظننت ليبة أن حسناً واقفاً على جلية الامر فقالت له

— سنسافر بعد أسبوع يا حسن

— تسافرين ! وإلى أين ؟

— إلى اسيوط

— وهل تحقق ذلك .

وكف عن البكاء لاندeshه العظيم فوقف واجماً لا يعرف ما يقول .  
فكانت له ليبة

— ظننتك واقفاً على الحقيقة . لقد نقل أبى الى اسيوط وسأفارقك

بالرغم منى . ولكن ما الذى كان ييكبك ؟

فأجوش حسن بالبكاء دفعة واحدة وقال بعد قليل

— تلك كبرى المصائب . لقد أراد الحظ الاسود أن لا تنشر مقالتي

وأن تسافر حبيتي فوداعاً أيتها الآمال الكاذبة ووداعاً يا أحاديث المني فما أنت إلا وسالوس الاطماع وأضغاث الاحلام . واسترسل فى البكاء واسترسلت معه حبيته وظل العاشقان ردحاً من الوقت يتناجيان ويشكون مصيبة أغلظتهما على غير حسابان ولا انتظار .



واقترق الماشقان بعد أن تساقطت تسبيهما غما وتقطعت أحشاؤهما  
حزنا ولهفا .

...

ورجع حسن الى مقعده وارغمى عليه وهو كاسف البال وقد أتنس  
بوحده واقتراده ليطلق لدمعه العنان وانكب على البكاء انكباب من  
انقطرت مريته . وتساقطت دموعه على الارض فكان يلتقطها كلبه  
الامين سحاب وكان سحاب في عرفة أوفى من الانسان .

---

## الفصل السادس

اظلم الليل وخيم السكون على أنحاء المدينة وحسن ملقى على مقعده  
يبكى وينتجب وقد لذه البكاء، والبكاء أكبر تعزية للأنفس الحزينة.  
أنت أمه وطرقت الباب تسأله الخروج للمشاء فأصاح من شأنه وفتح  
الباب فقال لها وهو يصنع الثبات في القول والعمل .

— لست بمجوعات يا أماء هذه الليلة وأود الخلوة لحفظ درس  
التاريخ لأنني أتوقع أن أكون غداً ضمن المتقدمين .

— عبتاً تحاول يا ولدى إخفاء ما في نفسك ، لأن شعور الام يدلها  
على خفايا قلب ولدها . إنك بلا شك حزين وتشهد بقايا دمعك بذلك .  
فما الذي أحزنك اليوم . أنت ساجرت مع أحد أقرانك ، أم خاصمك  
أستاذك ، تكلم يا ولدى وبجلى بالحقيقة حتى أشاطرك ما في نفسك من  
الاشجان .

— أنت واهمة يا أماء . . .

وأم جلته والدموع تحنقه وارتمى على صدر أمه ليسكب في

أحضانها دموعه الحارة ، وما أحسن صدر الام على فؤاد الولد الحزين ،  
ففي هذا الصدر ينشأ الرضيع ومنه يتغذى وفي هذا الصدر يلعب الطفل  
هازئاً بالحياة وآلامها ، وفي هذا الصدر تستدرف جفون الشاب آلام  
الغربة واليأس . صدر الام هو العنقبة الدافئة الصغيرة التي بتها يد الحب  
والحنان ففيها يتلاقى السرور بالسعادة وفيها يلتطم الاسى بالمصائب .

حملت الام ابنها ووضعت في سريريه وجلست بجواره تلاعب  
شعوره الجميلة وقبله من آونة لاخرى وهي تحاول الصبر حابسة دمعها  
وواضحة يدعها على قلبها كأنها تود أن لا يتحقق فيسمع منه ولدها صوت  
المهم .

سألت الام ابنها عن سبب أشجانه فذكره لها . فأكبرت عليه أن  
يكي لأجل مقالة أخطأ رئيس التحرير في فهمها وسألته أن يهون عليه  
وينسى ما مضى ويهيئ للفرد مقالا آخر يرسله « للفاروق » وهو  
أكبر جريدة مصرية كانت تظهر في ذلك العهد . وما رامت من كل  
ذلك إلا إزالة الهم عن قللة كبدها . ولقد فازت بأمنيتها وسرعان  
ما ينسى ضيف الارادة الماضي إذا وجد من المستقبل بارقة أمل وإن  
كانت خلافة . تسيطر فكرة الكتابة في « الفاروق » في فكره وقلم  
يتبع أمه ليتناول العشاء . وأكل هنيئاً وشرب مريئاً ورجع الى غرفته لينام  
بعد أن أقسم لأمه أنه لا يعود للبكاء .

دخل غرفته وأوصد الباب وأشعل مصباحه وجلس أمام خواتمه

ليكتب . أمسك في يده القلم وهياً الدواء والورقة قبل أن يهتدى  
للموضوع ولكنه ما لبث قليلا على هذه الحالة المضحكة المبكية حتى  
اعتراه اليأس فألقى بالقلم وكاد أن يهشم الدواء ومزق الورقة وألقى  
بنفسه على الارض يلطم وجهه بكفيه . وتلك هى حال عصي المزاج  
إذا كان ضيف الارادة لا يشكوهم إلا لنفسه ولا يفتقم إلا من نفسه  
أيضا .

سكن قليلا فقام الى سريره وارتمى عليه مستهزا بكل ما وافته  
بل بالعالم أجمع . فسكنت نائرة نفسه وحاول النوم متناسيا نكباته  
الشديدة والنوم لا يزور من في قلبه كمد باطن وحزن دفين . وتذكر  
فراق حبيبته في هذه الساعة التي أحس فيها بالراحة قليلا وجسم له  
مزاجه العصبي وضعف ارادته أن هذا الفراق ألبيا فهم من نومه جالسا  
ونظر الى النافذة وكانت مقفلة كأنه يسألها جلية الخبر ثم قام اليها وفتحها  
ونظر لبيت حبيبته وتناسى في تلك الساعة مقاته وما جرت عليه من  
الاصواب والسكروب . ومد يديه للسماء وما أقسى قلب السماء على من  
تخالجه الموم . ولبت هتية ساكنا لا يتحرك وكان لابسا لباسا أبيض  
اللون أصبح فيه كالتمثال في جوف الليل البهيم .

عشا حاول نسيان أشجائه فأقفل النافذة ورجع الى سريره يمد به  
شجوه وارتمى عليه لينام بعد أن يئس من كل شيء حتى من استرساله  
في الموم . وأقبل جنونه فكانت فكرة الكتابة في « الفاروق » وفكرة

فراق حبيبته تتبادلان إزعاج رأسه المسكين وأخيراً استسلم للنوم فنام الى الصباح .

...

انقضت الحصة الرابعة فنزل التلاميذ الى فناء المدرسة وطلت كل جماعة منهم بركن من أركان الفناء تتجاذب فيه أطراف الحديث . ومنهم من آثر اللعب والجري ومنهم من ذهب الى فناء الكرة ليرضى نفسه . ولزمت جماعة ابراهيم يسرى المقعد المجاور لسلم الفناء وكان من بينهم عبد العزيز ومحمود وقد سلف لنا ذكرهم وابتدأوا بذكر حداثات الأساتذة وسبائهم ولا يلذ للطلبة الا التكلم في ذلك . ثم انتقلوا من ذلك الحديث الى السخرية من بعض الطلبة الذين كانوا موضعاً لهزئهم وسخريتهم ولذا لابراهيم يسرى أن يقص على جماعته خبر مقالة حسن أمين وأقرب في الضحك لما حل بها وشاركه اخوانه في ذلك ولقبوا ذلك المسكين بلقب « رعمسيس الثاني » ورأوه بعد آونة يسير الهولينا على السلم وهو مطرق للأرض فنادوه بصوت واحد « يارعمسيس الثاني » فالتفت بالرغم منه فرأهم يضحكون ويسرون اليه بأصابعهم فسار في طريقه وقد علت وجهه حمرة الحجل وود أن يصق في ساعته وذهب بعد ذلك الى الحديقة ليخفي نفسه خاف أشبارها الكثة . وهناك جلس على مقعد خشبي ينظر للتلاميذ ولا يراه أحد واستسلم لأشجاعانه فرت امام فكره صور أحزانه تباعاً فكانه كان يستعرض شريطاً من شرائط الصور المتحركة وهم من مكانه ليشفى في الحديقة راجياً أن يخفف من حزنه

فاذا به يرى أمامه عبد العزيز فايتسم له ابتسامة الحزين وقال له والدع  
يكاد ينطق بالآلامه

— أ كنت تشاركهم في ضحكهم يا عبد العزيز ؟

— بل كنت ألومهم على فعلتهم الشنعاء .

— أشكرك يا أخى على رقيق احساسك

وسكت الاثنان دفعة واحدة فلم يجد أحدهما سبيلا للتكلم والتفت  
عبد العزيز بعد قليل الى عيونه ثم الى خلقه كأنه كان يخشى أن يسمع أحد  
ما أراد ذكره لحسن ثم قال له وهو يتلثم .

— أود أن أسر اليك شيئاً وأريد أن تصدقه

— قل ماشئت

— عدنى أولاً أن تصدق ما أقوله لك .

— انى أثق بك أيها الأخ ثقة عمياء فحدثنى بما تريد .

— أنعلم السر فى ضرب رئيس التحرير بمقاتلتك عرض الحائط ؟

— وأنى لى أن أعرف سر ذلك . أظن أنها لم ترق فى عيونه .

— حاشا أن يكون ذلك سر المسألة وانى أخلك أكبر من أن

تظن ذلك .

— وهل أنت واقف على الحقيقة ؟

— كان يقصها علينا ابراهيم يسرى بصوته الجهورى .

— وماذا قال لكم ؟

— قال لنا أنه قبَّح لرئيس التحرير أن ينشر مقالاتك بل وعده

بالتخاصم إن هو فعل ذلك . فألقى رئيس التحرير مقالاتك على أديم الثرى  
بعد أن رزقها .

— ألقى مقالتي على الأرض ؟ رزق مقالتي ؟ أتدوس المارة كلاماً  
تعبت في انشائه ؟ يا للعار ! وما الذى دفع ابراهيم لفعل ذلك ؟ ولكنى  
نسيت أن أومك على خطأ فعلته ساءنى فعله كثيراً .  
— أنا ؟ وأى خطأ فعلت ؟

— لقد استعطفتك أن لا تذكر لأحد خبر كتابتى تلك المقالة  
فلماذا أسررت له بخبرها ؟

— انى لم أفعل ذلك وأشهد الله والنبي والأخاء والود على ذلك .  
ولكنى أعلم أن ابراهيم قابل رئيس التحرير عفواً فى العتبة الخضراء  
فقرأ عليه مقالاتك فعمل ابراهيم بها ما ذكرته لك .

وكذب عبد الزيز على الله والنبي والأخاء والود لانه وإن  
صدق فى مقابلة ابراهيم لرئيس التحرير فقد كذب فى اتصاله من أخباره  
بشأن مقالة حسن . وعبد الزيز هذا كما قلنا يجب الايقاع بين التلاميذ  
لا لمال يكتسبه ولا لنصر يفوز به ولكن لمرض فى نفسه ابتلاه به  
المجتمع الانسانى .

نظر حسن لعبد الزيز نظرة الحائر ثم قال له .

— أعيد عليك سؤالى هذا ( ما الذى دفع ابراهيم لفعل ذلك ؟ )

— انك ما زلت صدياً صغيراً لاتعرف من شؤون الناس شيئاً . ان

ابراهيم يخشاك كما يخشى الفأر القط . أتجهل ما يحل باسمه لو ظهر

اسمك بين الكتاب مكللا بزهور الفصاحة والبلاغة ؟ واعلم أن نفسه  
لاتود لك الخير لأنه يخشى أن تكون كاتباً عظيماً .

— ولكن الوسيلة التي اتخذها لمنى عن ذلك المقصد الشريف  
وسيلة تدل على دناءته وضعة نفسه وما كان عهدى به كذلك .

— انه عزة قومه . وهل ظننته قبل اليوم من ذوى الشرف والحسب  
والنسب . أعوذ بالله من ذكر السوء عن الاخوان ولكنى مجبر على  
ذلك وما دعانى الى ذكر حقيقة هذا الشاب الاحي لك وشغفى بما  
يخطه بنائك .

— انى أشكرك يا عبد العزيز ،

— لى كلمة أخرى .

— تكلم

— أود أن تكتب مقالا آخر تنشره فى جريدة كبرى كالمؤيد  
أو الفاروق لتكيد به هذا الوعد .

سكت حسن ونظر للأرض هنية ثم للسماء وقال :

— لقد طلقت الانشاء ثلاثا وحاشا لمثلى أن يتغمر فى حمأة  
الكتاب بعد اليوم .

— ماذاقول : أظن بك جنة يا عزيزى .

— أنا سليم العقل وأكره أن تناقشنى فى ذلك ولا يفضبك قولى

هذا ....



— انى أجمع الناقوس يدق فميًا بنا تناول الغذاء .  
وسار الاثنان جنبًا لجنب الى غرفة الطعام

...

غادر حسن المدرسة قاصدا منزله فلما وصل سأل عن أمه فقيل له  
أنها ذهبت لبيت أخيها لتعد مع زوجته معدات السفر فقصد منزل خاله  
وفيه قابل والدته وزوجة خاله وجلس معها يتكلم فى شؤون السفر  
ويتأسف على العراق وكانت تسمعه لييبة من وراء السجف وهى تبكى  
لكلامه وتتوجع لآلامه . ودخل عليهم خاله فقام حسن من كرسية  
وقبل يده وقال له

— كيف حال خالى اليوم ؟ عسى أن تكون فى خير وسلام .  
— لا يؤلمنى يا ولدى الا فراقكم ولقد حكم به القضاء فبينا نحاول

دفعه .

— هل من حيلة لرد هذا القدر ؟  
— انى أجد فى السفر مأمنا يقينى شر رئيسى  
— وهل ينوى لك الشر ؟  
— انه يعمل على النكابة بى لظنه أنى أرميه فى كل ناد بالرمونة  
والعطيش والجهل التام .

— ومن صاحب هذه الوشاية ؟  
— كثيرون يا ولدى ولقد صفت عنهم وقته الأمر .  
ثم التفت عبد الرؤوف أفندى لزوجته وقال لها :

— سنسافر بعد با کر فهل أعددت كل شيء ؟

فأجابته أخته قائلة

— كدنا أن نتم كل شيء ولم يبق الى عدة حقائب سنجهزها غدا .

وأنت القطعة ( دلال ) وتمسحت في لُذَيال سبيدها فأخذها على

ركبتيه ولاعبها قليلا وقال .

— وكيف تأخذ دلال معنا ؟ هل أعددت لها قفصا جميلا ؟ أود ان

تضمو فيه قطعه من القماش حتى لا يؤلم جريد القفص عظام هذا الحيوان  
الجميل .

فأجابته زوجته

— لقد هيأت ليبة لها القفص قبل أن تهيه حقائبنا فلا يشغل

بالك أمرها

— اني واثق من حب ابنتي لهذا الحيوان الصامت .

ثم التفت لابن أخته وقال

— كيف حال كلبك سحاب ؟

— لقد وجدته اليوم في ساحة محمد علي ولا أدري ماذا كان يصنع .

فرافقني الى الدار ولقد تركته هناك .

— ان سحاب كلب أمين .

فقالت أخته

— ولكنه نجس .

— يتهم الانسان الكلب بالنجاسة لأنه يزار من وفائه .  
ثم قام الى غرفته لينظف ملابسه . ولما فارقها الى الفسحة وجد  
الطعام مهياً يجلس مع زوجته واخته وابن اخته يتناولون العشاء سوياً .  
أما ليديه فأكلت بعض ما تبقى منهم وكانت تشعر بالسعادة والحزن  
في ساعة واحدة . سعادة قرب حبيبها منها وحزن فراقها عنه بعد يومين .  
فرغ القوم من العشاء وودعت الأخت أخيها وخرجت مع ابنها  
الى منزلها ومكثت معه هنيئة يتجاذبان أطراف الحديث ثم قام حسن  
وقبل يدها وأغلق باب غرفته بعد أن أشعل مصباحه وجلس أمام مكتبه  
يفكر . ثم أخذ القلم في يده وغمسه في الدواة وكتب في وسط السطر  
( الحاسد والمحسود ) ولبت بعدها عشر دقائق وهو بين عاملين يتجاذبان  
عامل الاقدام وعامل الاحجام الى أن تغلب العامل الأول على الثاني  
فابتدأ في الكتابة وهو ممتنع اللون خافق القلب وما زال يكتب سطرآ  
ويشطب آخر الى أن أتم مقاله ثم قرأها لنفسه مرتين وهو يتمشى في  
غرفته بعد أن أعاد كتابتها على ورق جيد ثم طواها ووضعها في ظرف  
أعده لذلك وكتب عليه بالثلث

ادارة جريدة القاروق

بشارع خيرت مصر

حضرة رئيس التحرير

ودى بها على مكتبه ووقف يتمطى فى الغرفة ثم هدد القضاء بيده  
كأنه يكلم شخصاً خيالياً وقال بصوت خافت ( ستنشر هذه المقالة فى  
الفاروق فيسعد المحسود ويشقى الحاسد ) ودخل الى سريره وقد وثق  
بنفسه واستغرق فى نومه الى أن أشرقت الشمس .

---

## الفصل السابع

---

كان اليوم الثلاثاء فخرجت طلبة المدرسة الخديوية الى ملعب الكرة لتشاهد فرقة مدرستها تلاعب فرقة انكليزية تفوقت على فرق كثيرة . وكان حسن ممن يميلون لرؤية لعب الكرة فرافق اخوانه الى الملعب وفي عزمه أن يشتري الفاروق من ميدان الخلمية . فلما وصل الى الميدان تناول الجريدة من يد أحد البائمين وأجال بصره في الصفحة الأولى فوجد مقالته الثانية فقرأها مرتين وهو لم يبرح مكانه وقد ارتعشت يداه واصطكت أسنانه وارتجف ساقاه . وبينما هو يقرأ مقالته اذ به يرى عبد العزيز ماراً بجواره فاستوقفه بنظرة دلت عما يحتاج قلبه المسكين من السرور . فلما رآه عبد العزيز بارق الشر لاعم الصفحة وقف يسأله السبب فقال

— لملك غير ما كان ...

ولكن حسنا لم يمهله ليم جملته وقال له وهو يسحب أذيال النبطية

— لقد نشر (الفاروق) مقالتي بعد أن مزقت (الحقائق) أختها .  
 خذ وقرأ ثم أعط الجريدة لصاحبك ابراهيم لتقوم عنده قيامة الاحزان  
 وتضيفه الهموم والاشجان . اقرأ يا عبد العزيز وثق بعد ذلك بأخيك  
 حسن أمين فقد أضاع نجم سعدة وأصبح ممن لا تُفتح العين على مثلهم في  
 الناس .

اصفر وجه عبد العزيز وارتجفت شفاته لأنه كان ممن لا يريدون  
 الخير لاحد وتناول الجريدة من يد صاحبه وأجال نظره في مقالته وقد  
 أظلمت الدنيا في عينه فتصر عليه أن يفهم منها كلمة واحدة فأمسك  
 بالجريدة مدة وهو كالصنم لا يتحرك ولا يتكلم الى أن قال له حسن وهو  
 ضاحك السن

— هيا بنا الى الملعب لنصلا قبل ابتداء اللعب .

وسار الصديقان الى الملعب وفي صدر أحدهما جنة البشر والسرور  
 وفي صدر الثاني جعيم الحقد والبغضاء .

اشترى حسن نسخة أخرى من الفاروق ودخل بها الملعب وأراها  
 لكل من توسم فيه الصداقة والاخلاص فطاف بها الملعب خمس مرات  
 متواليات استوقفه فيها إخوانه كثيراً . وأخيراً وقف بجوار الكشك  
 يقرأ مقالته على فئة من إخوانه .

...

اقترب عبد العزيز من حسن عند باب الملعب لأنه لم يشأ أن يطوف  
 معه الملعب ووقف في ركن من الاركان يقرأ المقالة وهو يعض شفتيه من

الغيظ والكمد وبعد أن أُنمها سمع صوت إبراهيم يسرى يطن في أذانه ...

— أى مقال تقرأ يا عبد العزيز ؟

— أقرأ مقال من مزقت مقالته ودهيت بها على الأرض .

— أيجراً حسن على الكتابة في الفاروق ؟

— خذ واقرأ

أخذ إبراهيم الجريدة وقرأ المقالة الى النهاية . وضحك ضحكة غير طبيعية ثم رد الجريدة لعبد العزيز وقال له :

— لقد كان هزأة القوم وأضحكتهم فأصبح واسمه يكتب على صفحات الجرائد الكبيرة .

— هذا ما يدهشنى يا أخى .

ومرأه، امهما حسن في هذه الساعة فالتفت لإبراهيم وقال له :

— ( سلام من رئيسى الثانى الى إبراهيم يسرى سيد الكتاب

في مصر ) .

ومشى في طريقه دون أن يزيد حرفاً أو يسمع من إبراهيم كلمة

فالتفت إبراهيم لعبد العزيز وقال له :

— ما الذى يقصده من قوله ؟

فلم يجب عبد العزيز ولكن نظرته كانت توحى لإبراهيم ما معناه

( كما يدين الفتى يدان ) .

...

اتهى لب الكرة فخرج حسن مع من خرجوا وهو يمد سروراً

وفرحاً وقد أنسته مقالته العالم أجمع . نسي أمه الحنون ، وحبيته الوفية ،  
وبيته وكلبه ، وكل من يعرف من الاصحاب ولم يفكر الا في مقالته التي  
نشرها الفاروق والفاروق شيخ الجرائد في مصر . لقد نال حسن ما كانت  
تصبو اليه نفسه ولقد أثبتت له مقالته الجديدة أن البلاغة أنزلت على  
قواده وأن الالفاظ السلسة سخرت لقلمه وأنه غدا بين الكتاب سيديم  
وأمرهم بعد أن يش من الفوز في مضارم ، وقف حسن في وسط  
الطريق ينتظر للسماء رافقاً يديه يشكر الله على هذه النعمة ويسأله أن  
يديمها عليه ثم سار في طريقه ينتحى جهة منزله . فلما وصل صعد السلم  
وهو يجرى الى أن لاقى أمه في ردهة البيت فألقى بنفسه في أحضانها  
يسكب دموع الفرح والحناء وقال لها وقد تهديج صوته .

— لقد نشرت مقالتي يا أماء . اني سعيد الحظ .

— أنشرت الحقائق مقالتك ؟

— لقد نشرها الفاروق .

— وهل أرسلت له مقالة جديدة ؟

— كتبتها ليلة أول أمس وأرسلتها له صباح أمس فنشرها اليوم .

قبلته أمه وهي محزونة الصدر فساءه ذلك لأنه لم يهد منها الا الفرح  
لفرحه والحزن لحزنه فنظر اليها نظرة العاتب كأنه يسألها الا فصحاح عن  
حزنها وكدها . وحانت منه في هذه اللحظة التفاتة الى نوافذ بيت خاله  
فوجدتها مقفلة فالتفت لأمه وقال .

— وهل سافروا صباح اليوم ؟



— كان في عزهم السفر غداً كما تعلم ولكنهم سافروا فجأة صباح اليوم .

لم يحب حسن على كلام أمه ودخل غرفته ليقف هنيهة أمام النافذة ينسحب الهوى ويكي الفراق . لقد اغضت أحلامه اللذيذة . تحطم سراج حبه الوهاج وغداً يسكن بيت حبيبته قوم لا صلة بينه وبينهم . لقد كتب له القضاء البؤس حتى في يوم سعدة ففارقت حبيبته يوم نشرت مقالته فلم يتيسر لها أن تشاركه هذا الفرح العظيم .  
والقضاء أحكام تحار فيها المقول .

جلس حسن على كرسي كان يجوار النافذة وأرسل دمة تحدث على خديه تخط عليهما ما قدرته له الأيام .

---

## القسم الثانى

### الفصل الأول

بعد عامين

رجلان قطعا من الحياة نصف مرحلتها. الاول معمم والثانى مطربش. الاول له حية كثة وأنف كبير وعينان لهما أطار أحمر وضعته يد الأحمر والسهر وجبة سوداء يصيح لنا أن نطلق عليها كلمة نظيفة ولو أنها لا تخلو من بعض بقع لا تظهر إلا لعين الفاحص المدقق. والثانى حليق ذو أنف أفطس وعينان برافتان يلعب فيهما نور الذكاء وبدلة كلح لونها وعذره فى ذلك أنها بدلة عمل. الأول مصرى مسلم والثانى سورى مسيحى. هذا يشتغل فى الفاروق ليحرر باب الاخبار ويصحح ما يكتبه كتاب الاقاليم، وذاك ليترجم النبد السياسية عن الجرائد الفرنسية. والغرفة التى كانا بها مساحتها أربعة أمتار فى خمسة وليس بها إلا مكتبان وعدة كراسى من الخيزران ولوحة، ملقاة فوق مكتب الاستاذ ومكتوب عليها بالثلث « الفاروق » .

جلس الاستاذ أمام مكتبه وخلق عمامته ثم وضعها فوق كتاب المصباح النير وابتدأ يداعبها بيده اليسرى ويشرب لفاقة تبغ بيده اليمنى بعد أن انتهى من شرب فنجان القهوة . أما الاقلام والاوراق فكانت ملقاة فوق المكتب بعضها فوق بعض . ووقف الافندى أمامه واضمًا يسراه على كرسى من الخيزران وممسكًا بيمينه جريدة المانان . يقرأ فيها فصولها الهامة . فابتدر الاستاذ صاحبه قائلاً .

— تفضل سيبحاره .

— أشكرك . لقد انتهيت من أختها منذ قليل .

واستمر الافندى فى المطالعة والاستاذ فى أفكله الخيالية حتى أعياه التفكير فنظر لصاحبه فرجده قد طوى جريدته وعم بالذهاب لمكتبه فاستوقفه قائلاً .

— هل من جديد ؟

— أكاد لا أجد شيئاً يستوقف النظر الاهم إلا مقالة عن الزواج

فى أمريكا زبما اشتغلت بعد حين بترجمتها

— وما قولك فى مقال أمين خربوش

— أحسده على سمو خياله ورقة اسلوبه وأسف لفقر مادته

— صدقت . لو كان مثلك له دراية باللغات الافرنكية لبزهيجو

وشكسبير

— يا صديقى اللغات تفتح للاعين طريقاً مغلفة ولكن لانكساب

النفس مواهب جديدة

- وهل تظن أن خربوشاً محروم من مواهب الفن؟
- من مواهب الابتكار فقط والابتكار أساس الكتابة
- وهل قرأت قصيدة على بدر . لقد دفع الى بها رئيسنا لتنشر في

صدر الجريدة

- أظنها لا تخلو من المدح
- كمادته
- أف لشعرائنا الكرام . فقد قل من يعتنى منهم بالخيال والمعنى
- وما تقصد بذلك .
- أقصد أن الشعر لا يستعذبه القارئ إلا اذا كان لشاعره وحى

من السماء

- الشعر يا صاحبي هو اللفظ الحسن والديباجة الأنيقة .
- سكت الافندى هنيهة وهو مطرق للأرض ثم رفع رأسه وحلق
- في وجه الاستاذ وقال (ربما) وذهب تواء الى مكتبه وع بالترجمة فاذا
- بالاستاذ يقول له

- لعل لك رأى آخر؟
- فاجبأ الافندى في الكتابة وقال وهو ينظر في الجريدة (ربما)
- فمز على شيخنا ذلك فقال

- أتهزأ يا بحرى أفندى بالكلام المنسجم واللفظ الأنيق
- حاشا أن أكون ذلك الرجل ولكنى أكبر على شعرائنا
- المفلقين أن يصرفوا همهم للفرل والمدح والثناء والمجور وينتقون لذلك

الديباجة المليحة واللفظ الشائق ويمتلون عن تلك الروح العالية التي اذا  
قرأها القارئ جرت في نفسه مجرى الماء المتلوج في صدر الظامئ  
وسكت عن الكلام مشتغلا بالكتابة . فنظر له الأستاذ نظرة  
عتاب واستهجان وأمسك بقلمه ليكتب وخط على الورقة في السطر الأول  
( داس قطار المطرية مساء أمس بجوار محطة منشية الصدر غلاماً يبلغ  
العاشرة فأسال دماءه وهشم عظامه ونحن نستلفت انظار اصحاب .. )  
وإذا به يسمع من النافذة صوتاً رقيقاً يناديه قائلاً

— عم صباحاً يا شيخ عبد الله

فرفع رأسه لاتجاه الصوت ولما عرف صاحبه ابتسم وقال

صباح الخير يا حسن افندى . تفضل .

وإذا بصاحب الصوت يقرئ السلام بمجرى افندى فردده بما هو  
أحسن منه ودخل حسن امين عليهما وجلس على كرسى بعد ان صاحفها  
ثم التفت بمنة ويسرة ورفع رأسه للسقف ثم قال

— انى أتيتكم اليوم بالمقال الأول من مقالات ( خواطر )

فقال الأستاذ .

— وكم عدد هذه المقالات الشائمة ؟

— ربما أربت على العشرين .

— ما شاء الله .

— وأود أن تظهر المقالة الاولى في القاروق اليوم

— وهل اطلع عليها اليك ؟

(وكان اليك صاحب الجريدة) .

— سأطالع عليها بعد حين .

— جرى هذا الحديث الصغير وبحرى افندى مشتغل بالترجمة  
كأنه فى واد والآخرون فى واد آخر . قالت حسن له وقال :

— وما رأى بحرى افندى ؟

— وعن أى شئ يريد سيدى الكريم أن أبدي رأى ؟

— عن الخواطر .

— المقالات التى وعدت الفاروق بها ؟

— نعم .

— إنى أرحب بها كما أرحب بك الآن .

— شكرا لك . وهل فى عزمك ترجمة مقالات القيقجارو عن

المرأة المصرية ؟

— وبما صح منى العزم .

— يا حبذا لو أقدمت على ذلك وأخرجت تلك المقالات ذات

التخيل اللطيف والمنهج الواضح .

— أخشى أن تذهب الترجمة بحسنها الرائع .

— هذا تواضع أجل صاحبه عنه

ثم التفت حسن للشيخ عبد الله وقال :

— وما ذاك الخبر الذى نشرته أمس ؟

أى خبر ؟

— خبر استقالة مدير مصلحة البريد . أصبح ذلك ؟  
— الفاروق لا ينشر غير الاخبار الصادقة وإن نشرها قبل  
أن يتحقق .  
— فله ذك .

وإذا بأحد الخدم داخلًا وفي يديه ورقتان دفع بهما للشيخ عبد الله  
وهو يقول

— بريد زفتي وميت غمر يرجو اليك أن تصلح ما به من خطأ .  
فتناول الأستاذ الورقتين وهو يقول ( الأولى بك أن تقول البك  
يرجوك في كتابته من جديد ) وخرج الخادم وكأنه لم يسمع ما قاله  
الاستاذ .

فالتفت حسن لشيخنا المسكين وقال :

— أيسرك اصلاح بريد الاقليم ؟

— مرة في كل شهر

— بل قل مرة في كل عام . وهل عزم الفاروق على زيادة صفحاته

الى اثنتى عشر

— هذا ما لا علم لي به ولا اظن مذيع هذا الخبر صادقًا

— ولم ؟

— يصعب علينا ان نغلا ثمانى صفحات طويلة عريضة فأنى لنا ان

نحرر اثنتى عشر صفحة . ومن . من المصريين يقدم على مطالعتها .

— المصريون متشوقون للمطالمة .

— إذا كان ما نكتبه في جرائدنا من نوع مقالاتك . وامثالك .  
كما نعلم جميعاً قليلون في هذا البلد الأمين .  
— إنك تطربني يا شيخ عبد الله .  
— أنا لا أقول إلا الصدق فان ظننت فيه الاطراء فشأنك  
وما تظن .

— أشكرك . ولو انى أظننى أقل كفاءة من ذلك .  
وم وافقاً فقال له بحرى .  
— وإلى أين ؟  
— أود أن أرى البك .  
وخرج مسرعاً لا يلوى على أحد .  
...

كان محمود بك عبد اللطيف صاحب الفاروق ورئيس تحريره جالساً  
أمام مكتبه يحمر المقالة الافتتاحية . وكانت الغرفة التى كان جالساً بها  
مزدانة بأفخر الرياض وبها لوحة كبيرة مكتوب عليها بالثلث ( بسم الله  
الرحمن الرحيم . إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ) وصورة متقنة للبك مرسومة  
بالزيت صنمها له أحد ماهرى الرسامين بمصر .

جلس البك جلسة الكاتب المفكر ينظر للنافذة تارة ليستجمع  
أفكاره وللورقة تارة أخرى ليخطط ما يعلبه عليه قلبه . فلما انتهى من  
مقالته سمع خادمه الخصوصى يقول له :

— احمد بك أبو شناق ينتظر في غرفة الاستقبال .



— أدخله .

ودخل البك الجديد مهرولاً يتمر في أذيال جيته وقفظاته وصاح  
بعل فيه .

— السلام عليكم

— وعليكم السلام ورحمة الله .

وممّ البك واقفاً وصافح زائرہ بيده وأجلسه في صدر المكان وقدم  
له سيجارة بمد أن أمر الخادم أن يأتيه بفنجان قهوة وابتدأ يحادثه وهو  
يبتسم .

— لقد تكرم البك بزيارة القاروق فرحى له وأهلاً وسهلاً به .

— لقد تشرفت بهذه الزيارة التي كانت تطمح اليها حتى منذ عام .  
إني مشترك بالقاروق وأقرأ كل يوم ويلذ لي مطالعته كثيراً ولولا  
إقامتي في الريف لكنت أول من يكثر التردد على صاحبه . فسنراً  
يا سيدي عنراً والكريم من يقبل المنر .

— إن عنر سيدي البك مقبول على العين والرأس أما زيارته  
لادارة القاروق فهي منة كبرى لا أنساها أبداً الدهر .  
— ولقد أتيت بالاشتراك فأرجو قبوله .

فأظهر صاحب الجريدة امتعاضاً ولكنه قرع الجرس وأمر الخادم  
أن يناديه بأحد رجال الادارة وما غاب الخادم دقيقة حتى عاد ومعه محمود  
افندي المنوفي محضل الاشتراكات واليه دفع البك قيمة الاشتراك فلما  
قدم اليه الوصل لم يضيئه اعتر البك لآلم في يده وسأله أن يمضيه عنه .

وكان البك من الممد الذين لم يتعلموا القراءة ولا الكتابة . وانصرف محمود افندى حاملا في يده الدرهم بعد أن أعطى لابي شتى الوصل ممضى عليه .

وتحدث صاحب الجريدة مع البك عن أحوال بلده وعن الامن العام فيها وعن رأيه في النفي الادارى وأبدى له الزائر آراء آتوا لا كرم الضيافة لقمه لسماعها صاحب الجريدة هازئا ساخرآ . وانصرف البك بعد أن شرب القهوة وهو يمتثر بأذيال جنته وقطعانه ويصيح بـ « السلام عليكم » .

ولما خلا صاحب الجريدة بنفسه قرع الجرس ودفع للخادم بالمقالة الافتتاحية ليذهب بها لتشر . ومكث هنيهة يضرب أنفاسآ في أسداس . ثم دخل عليه الخادم ليعلم قدوم زائر جديد .

دخل الزائر فلم يقم له عبد اللطيف بك لما بينهما من الود والاخاء فصاحفه الزائر ثم جالس بعد أن سأل صاحب الجريدة أن يعطيه سيجارة اعطاها له عن طيب خاطر وهو يتسم . وابتدأ الحديث قائلا .

— كيف حالك اليوم ؟

— على ما يرام . لقد أتيت مبكرا . أليس في عزمك الذهاب للمحكمة ؟

— ليس عندي من القضايا ما يعنى على زيارة المحكمة اليوم وعندي من الحامين كما تعلم من يقوم بأداء الواجب بالنيابة عني . — حينئذ فلت .

— أُنيتُ لأُحادثك بشأن المقالة التي تعرضتَ لك فيها إحدى  
جرائد أَس . أتسكت عن هذه الوقاحة ؟  
— السكوت خير وأولى .

— ليست هذه الجريدة من الجرائد الساقطة التي تباع شرفها في  
سبيل المال وليست المقالة مقالة مدح ولا ذم والسكوت يسئ من صمعة  
الفاروق فأولى لك أن تكتب رداً يكبح جماح أعدائك ويرد كيدهم  
في منحرم  
— أنتصوب ذلك ؟

— بلا شك . إن الفاروق هو الجريدة الإسلامية الوحيدة المنتشرة  
في جميع أنحاء العالم الإسلامي نخذ لنفسك الحيلة يا صديقي واعمل أن الله  
مع العاملين .

مكث صاحب الفاروق هنيهة يفكر ثم نظر لصديقه نظرة  
طويلة وقال :

— ستظهر المقالة غدا .

— بل اليوم .

— محال لقد أزف الوقت وليس هندي . تسع للكتابة .

— إذا فلنرجئها للغد . وما الذي أنت عازم على فعله مع المحرر

السوري ؟

— قررت فصله .

— وهل هو عليم به ؟

— كلا . سأعلمه به بعد اتفاقى مع من سأستعيض به عنه .

— وهل وقتت لشاب حسن السيرة والمريرة ؟

— نعم . ولا ينقصنى إلا الاتفاق معه .

ودخل عليهما فى هذه الساعة حسن أمين وهو باسم الثغر فالتفت  
عبد اللطيف بك لصاحبه المحامى وأسرره هذه الجملة ( افتركا القط جانا  
ينط ) . وصافح حسن أمين المحامى بعد أن قدمه له صاحب القاروق  
وجلس الثلاثة يجاذبون أطراف الحديث . فقال المحامى .

— لقد حادثنى عبد اللطيف بك عن حضرتهم كثيراً ومنذح لى  
غيرتهم على تقديم الصحافة .

فاهر وجهه حسن وقل بصوت متهدج .

— إني لا أستحق كل هذا المدح .

— إنك لا تحب أن تذكر الناس حسناتك وهذا شأن كل

قائبة عظيم .

— حاشا لله أن أكون قائبة لاني ما زلت تلميذاً أتلقى العلم فى

المدارس الثانوية .

— وفى أى مدرسة أنت ؟

فأجاب صاحب الجريدة .

— فى السنة الرابعة بالمدرسة الخديوية .

فأجاب المحامى .

— ما شاء الله .

وقال صاحب الجريدة .

— ولم يمنعه اشتغاله بالعلم من مساعدة جريدة كجريدة القاروق

— هذه خصلة حميدة تثبت لنا تعلقك الشديد بالصحافة وكلفك بها

فأجاب حسن وهو يتردد فى القول .

— هذا من حسن أفضالكم وجميل سجاياكم .

فقال المحامى .

— وأى المواضيع يطرقها حسن افندى ؟

— أكتب فى مواضيع خيالية وأحب المقالات الاخلاقية ولى

كلف بترجمة ما يكتب فى الجرائد الانكليزية .

— شئ جميل . انى أبشرك بمستقبل عظيم . متفدو يومًا ما

صاحب جريدة .

— هذا حلم جميل .

— الاحلام تتحقق يا صديقى إذا ارتكن الانسان على نفسه .

فقال صاحب القاروق مخاطبًا حسنًا .

— وهل أتيتنا بشئ جديد ؟

— بالمقال الاول من مقالات خواطر .

وأخرج من جيبه رزمة أوراق دفعها لصاحب الجريدة . فدنق

عبد اللطيف بك الجرس وأعطى المقالة للخادم أمراً بإياه أن يدفع بها  
لتنشر . فقال لعبد اللطيف بك .

— كنت أود أن يقرأ البك المقالة ليصححها .

— نحن لا نصح ما تجود به قرائح رصفائنا . ولكن قل لى متى

ينتهى امتحانك ؟

— بعد خمسة عشر يوماً .

— أود أن تمر على بعد انتهائك منه لأحدثك فى مسألة هامة .

— لى رهن إشارتك .

وعم المحامى واقفاً واستأذن فى الخروج وهو يقول لحسن .

— أعيد عليك جملى السالفة ( الأحلام يا ولدى تحقق إذا ارتكن

الانسان على نفسه ) .

ثم خرج بعد أن صافح صديقيه .

وحسن لا يوزن فى الدنيا إلا ارتكابه على نفسه فهل يفلح فى مسعاه .

ثم جلس صاحب الجريدة ليفاوض حسناً فى اشتغاله بالتأروق

رئيساً لقلم الترجمة .

---

( ملحوظة : الى هنا ينتهى ما كتبه المؤلف من رواية الشباب الضائع )

## ملحوظات ختامية<sup>(١)</sup>

(يُعرف منها موضوع الرواية الختامي)

- ١ حسن يرسل لحبيته خطاباً باسم صاحبة لها مُدرسة
- ٢ امتحان البكالوريا — سقوط حسن
- ٣ خطاب من حبيته
- ٤ مشاجرة مع أمه . لا يريد دخول الامتحان مرة أخرى .  
أول مرة أهاز أمه فيها
- ٥ يرد على خطاب حبيته ويثذر اليها
- ٦ دخوله الفاروق كعمر
- ٧ أصبح محرراً وأصبحت حياته كما يأتي : يقضى عصر يومه  
في القهاوى وليله في عمار الخمر
- ٨ يتعرف بشبان أغنياء يفرونه على القمار
- ٩ أصبح حسن مقامراً
- ١٠ مشاجرة مع والدته من أجل القمار .  
أنه في احتياج شديد للدرهم . تعرضه والدته
- ١١ الوالدة تباع حليها

---

(١) كتب المؤلف هذه الملحوظات الختامية ليستعين بها على اتمام فصول

الرواية فنشرناها ليعرف القارئ منها موضوع الرواية الختامي باختصار

- ١٢ يعود الذهب متأخراً لدار القاروق ويبدأ أن يهمل أعماله  
١٣ يذهب الى إحدى الحانات ليلا فيقضى فيها ليلته للمباح  
ثم يقصد دار القاروق ثملا مترجما  
١٤ يطرد نهائيا من دار القاروق  
١٥ أصبح حسن محرراً مبعوكا يعيش عيشة الأدياء الساقطين.

تم

---



الكتاب الخامس

---

خوارزمي

قطع مصريه ضمنها موطاة عن الحياة



## ريان يا فجل

قضيت صباح أمس ساعة في قهوة بميدان الاوبرا قرأت فيها الجرائد  
وشربت فنجانا من القهوة ثم هممت واقفا وعزمت على العودة لدارى  
للغناء فقصدت ميدان التبة الخضراء لاركب الترام . وبينما كنت ماراً  
أمام دار البريد استوقفتنى شاب أصغر الوجه وضاح الطلعة قوى المضلات  
رشيق الحركات يدل بريق عينيه على ما فى قلبه من عزم ونشاط : وكان  
لابساً معطفاً جديداً يخفى بدلة ما شككت فى أنها من عمل دليا أوريو .  
استوقفتنى الشاب بقوله :

— صباح الخير

فرددت السلام ونظرت اليه نظرة عبرت له عن استغرابي وحيرتي  
وقلت لنفسى « ماذا يريد الشاب منى وليس لى به معرفة ولم أصادفه فى  
طريقى قبل اليوم . لعله صديق أحد أصدقائى يود محادثتى فى أمر يخص  
ذلك الصديق أو لعل له قصد آخر » . وشى الشاب بجاني وهو يتسم  
ويقول :

— البك بلا شك على موعد لأنه يسرع فى سيره .

— كلا يا سيدى أنا عائد لدارى .

— أيسمح لى البك بخمس دقائق .

— بلا شك .

— اليك يعرف ما يلقاه الأديب من الضيم في مصر، والبيك يعرف  
كساد سوق الأدب في مصر، والبيك يهيم أمر الأديب في مصر، والبيك  
يساعد الأديب في مصر .

فأجبت به بائسامة صفراء قائلا .

— والبيك ليس في جيبه إلا عن تذكر الترام .

فضحك الشاب وقال .

— أنا أطلب مبلغاً لا يزيد عن شلن ولا ينقص عن نصف فرنك

والبيك كريم .

فأخرجت من جيبى قرشين أعطيتهما له وسرت في طريقى  
لأركب الترام .

...

نزلت من الترام عند باب الحمية واتخذت جهة دارى وأنا أسير  
الهوينا وعند وصولى للمنزل وجدت شيخاً يبلغ الستين صنم الجنة معنى  
الظهر له لحية بيضاء تمتدلى على صدره يدفع يده عربة صغيرة عليها جمل  
يبيعه للناس . يسير هنيئة ويستريح أخرى ويصرخ من أعماق قلبه  
( ريان يا جمل ) والناس تسير يحواره دون أن تهز قلوبهم الشفقة فيجودون  
له بشمن كأس من الجمرة اعتادوا شربه كل مساء .

سار الرجل في طريقه الى أن وصل الى نهاية الشارع وحانت منى  
التفاتة له فوجدته يصرخ ( ريان يا جمل ) ثم وقف هنيئة ليستريح وإذا به  
يهوى على الأرض فأمرعت مع الخدم اليه فوجدناه ملقى على الترى

وهو يلهث من التنب وقد عجز عن الكلام فخلناه الى الدار ليستريح  
ويأكل ويشرب .

سبحان ربى ، الفرق كبير بين الاثنين . الاول شاب اتخذ الكسل  
حرفة والادب ذريعة . والكسل سبيل التدهور الى الدنيا التى تموت فيها  
العواطف أو بلحرى الى الموت الأبدى . والثانى شيخ أقصده الكبر ونال  
منه الضعف ولكنه أبى أن يرجع القهقرى فى المعركة الكبيرة معركة  
الحياة وعزّ عليه أن يمد يده للسؤال فعمد للعمل مفضلا الموت على الجبن .  
والعمل سبيل الارتقاء الى الدنيا التى يسوفها الانسان لذروة الشرف  
أو يموت فيها ميتة الابطال مـ

( مايو سنة ١٩١٨ )

---

## للفقراء هجانا

بينما كان الظلام . لتقيا رداءه الأسود على المدينة والسكون صئارا  
خياله والناس رقوداً في منازلهم كان الدكتور ( . . . بك ) جالسا أمام  
مكتبه بخط يده الكريمة ما يحل عليه وجدانه الحى . وكيف لا يكتب  
الدكتور في تلك الساعة وغداً ستقام حفلة كبرى لأول مجمع طبي مصرى  
يخطب فيها الدكتور خطبة شائعة تمتلك على الناس نفوسهم وتستهوئ  
أفئدتهم . أجل يكتب الدكتور ثم يفكر ثم يكتب وهو ممسك بالقلم  
في يده كأنه رمز الجذ والعمل والحنو والشفقة ، وما لبث الدكتور في  
مكانه قليلا حتى سمع صوت الساعة تدق الثانية عشرة فوضع يده على  
رأسه وقال ( حان ميعاد النوم ولكن الخطبة لم تتم بعد ) وأمسك بيده  
القلم مرة ثانية وكتب الجملة الآتية : (الطب أيها السادة هو النبع الفياض  
الذى يستقى منه الفقير بلا أجر ولا ثمن ، الطب هو الدار التى يدخلها  
المريض وقد أشفى على الهلاك فيخرج منها صحيحا مفاىء ، بل الطب  
في نظري أيها السادة كيبوت الله تجمع بين الفقير والغنى والبائس والسعيد  
في مستو واحد ، بل ربما كان الطب أوسع صدراً للفقراء وأخفى قلبا على  
الضعفاء البائسين ، الطب . . ) ثم تمهل الطيب قليلا وفكر كثيرا وهو  
جالس أمام مكتبه يمنة عن النوم والراحة ضميره الطاهر ذلك الباعث  
القوى باعث الخير والاحسان والشفقة على الفقراء من بني جنسه .

وكان الدكتور يسكن حياً وطنياً يضم في أحشائه جماعة ممن يبيتون على الخسف ويشربون على غير ثمنه ، قوم فقراء ، أضربهم المرض وشفهم الحزن . وطلق الدكتور على باب داره لوحة كبيرة كتب عليها بالثلاث « للفقراء مجاناً » . ما أجل هاتين الكلمتين ( للفقراء مجاناً ) إذا مر الفقير وقراها دخل دار الدكتور وهو يقول : ( سأدخل مريضاً وأخرج صحيحاً دون أن أدفع للدكتور ثمن عشاء الاطفال في البيت ) أجل إذا قرأها الفقير تهلل وجهه وبرقت أسرته وابتم ابتسامة تبرد عما في قلبه من الشكر والرضى وما رضى الفقير إلا حسنة من حسنات الله على بنى الانسان .

فلما أن الساعة كانت تدق الثانية عشرة وأن الدكتور كان يكتب ونسينا أن أحد الفقراء في تلك الساعة كان جالساً القرفصاء بجوار فراش ابنته الحامل التي كانت تصرخ من الألم وهي ترتعد من البرد وقد اصططكت أسنانها وتقلصت شفتاها وسالت دموعها على خديها تكتب سطور البؤس والألم . ابنة في الثامنة عشرة من عمرها مات زوجها بعد أن تركها حاملاً وهي الليلة تلد وقد تسمرت ولادتها فأصبحت على قيد شبرين من الموت . جلس الرجل الفقير القرفصاء واضماً رأسه بين يديه وهو كاسف البال غائر العينين لا يعرف ماذا يفعل ولا يبتدىء لوسيلة يخفف بها آلام ابنته . وإذا بزوجه العمياء التي كانت تبكي وتضرب رأسها في الحائط تقول له : ( أنسي أن الدكتور . . . . بك يعالج الفقراء مجاناً . إذ هب إليه واعرق بابه فربما رقى قلبه وانقذ ابنتنا من

مخالب الموت ) فقام الرجل دون أن يفوه يئنت شفه وأتمخذ وجهة الباب  
وخرج للشارع ليأتى بالطبيب . ومشى الرجل فى الشارع وهو يترنح  
كالشارب المثل الى أن وصل لباب الطبيب ودقه ثلاثا فخرج خادم أسود  
وهو يهيم ويترجم وقل له ( ماذا تريد ؟ )

— ابنتى تموت . أريد أن أحدث الدكتور .

— الدكتور مشغول جداً وقد نبه على أن لا أجيب سائلا .

— ولكن ابنتى تموت .

فأقل الخادم الباب ورجع الفقير من حيث أتى وهو خافق القلب  
ولكنه وقف هنيهة قبل أن يصل لمنزله وقال لنفسه ( أجل سأفعل ذلك  
وماضرنى لو فعلته ) وإذا به يرى رجلا يسير الهوينا فى الطريق فدله يده  
وقال ( حسنة ياسيدى ) فانتهره الرجل يسيار فى طريقه . ومر رجل ثان  
وثالث ورابع وكان نصيب الفقير الحنية فى كل مرة . وإذا بالشرطى  
يقول له : ( ما هذا افعل يارجل ؟ متسول فى الطريق . هيا الى القسم )  
ولم يكن مع الفقير ما يسد به فم ذلك الشرطى فقال له : ( لم أعود التسول  
ياسيدى ولكن ابنتى تموت فأردت أن أجمع أجرة الطبيب فلم أجد غير  
هذه الوسيلة ) ولكن الشرطى قاده للقسم وهناك قضى ليلته .

وفى الصباح عاد الفقير لمنزله بعد أن أطلق سراحه وكانت الساعة  
تدق العاشرة وإذا به يسمع صراخا وولولة فهرول لداره فوجد زوجته  
تبكى وتصرخ وابنته قد فارقت الحياة فانكب عليها وقد فقد الرشده .  
وفى هذه الساعة . الساعة العاشرة كان الطبيب «الدكتور... بك»



واقفاً يخطب في المجمع ويصيح بل فيه ( الطب أيها السادة هو النبع  
الفياض الذي يستقى منه الفقير بلا أجر ولا ثمن ، الطب هو الدار التي  
يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك فيخرج منها صحيحاً معافى ،  
بل الطب في نظري أيها السادة كيوت الله تجمع بين الفقير والغني  
والبائس والسعيد في مستو واحد . بل ربما كان الطب أوسع صدى للفقراء  
وأخى قلباً على الضعفاء والبائسين ، الطب . . . )

٤ أبريل سنة ١٩٢٨

## درس في كتاب

يطلق سكان باب الخلق والحزاي والسكة الجديدة على حارة  
درب سعادة اسم (شارع) ولا أخرى لماذا يفعلون ذلك وحارة درب  
سعادة ضيقة تكاد تلتطم العربات يجدرانها إذا مرت فيها وهي ملائى  
بالتأذورات والالواح صيفاً وشتاء . وقد عززت الحكومة رأى السكان  
فلم ترض عليهم بلوحة مكتوب عليها بخط جميل ( شارع درب سعادة )  
وان كانت صنعت عليهم بمصايح الانارة . وفي هذه الحارة ، أستفقر الله  
بل في هذا الشارع ، جامع يقصده عباد الله للصلاة ويجوار هذا الجامع  
كتاب صغير يطلق عليه كتاب (سينو افا). كنت أسكن هذه الناحية  
وأنا صغير بل في هذه الناحية ولدت وفيها ربيت ولم أتركها إلا وأنا يافع  
بعد أن بنا دارنا الكبيرة التي لم يبق منها إلا دهن تبعث الذكري في  
القلوب ، ذكرى الطفولة المذبة الجميلة . أذكر اني وددت وأنا صغير أن  
أزور الكتاب لأقارن بينه وبين المدرسة التي كنت أذهب اليها كل  
يوم فدخلت مع خادى وصعدت للطابق الاعلى ورأيت الاطفال جلوساً  
كلاً أمام قطره وهم يرددون آيات القرآن الكريم بنغمة حلوة شجية  
وكان ( الفتى ) غائباً ذلك اليوم أما ( الريف ) فكان واقفاً في وسط  
الغرفة ويده عصا ( جريدة ) تنظر اليها الاطفال نظرات ينبعث من  
بريقها الخوف والوجل . رأيتني المرغوب وحياتي أجمل تحية وأجلسني على

كرسيه وصرخ في الاطفال صرخة أراد بها اظهار مقامه بينهم ولكنى  
لا أنكر انى ارتعدت عند سماعها كما يرتعد المصفور أمام الباشق . ثم  
التفت يميناً وشمالاً فرأيت طفلاً ينسل من مكانه لركن الغرفة وهو يخفى  
في يده شيئاً وإذا بالمریف يصيح .

— إلى أين ؟ وكيف تجرأ على مخالفة النظام ؟ تعال هنا  
فأنتي الطفل وهو يتنمر في مشيته وصاح المریف مرة ثانية .  
— على ( بالقلعة ) .

فأتاه بها أكبر الاطفال سنّاً وشدوا وثاق الطفل وأقسم المریف  
بأغلظ الايمان أنه سيضرب الطفل ضرباً مبرحاً لانه خالف النظام  
والاوامر الجديدة وهم بضربه وهو يقول .

— أقسم بالله والنبي والرسل والصحابة والاولياء والاتقياء الاحياء  
منهم والاموات إنك لا تهلت من يدي . سوف ترى . سأحل بك  
أشد عقاب رائته العيون وصممت عنه الآذان من عهد آدم ونوح .  
ما الذى تخفيه في يدك ؟ تكلم لماذا غادرت مكانك خفية . ما الذى يدك ؟  
فصاح الطفل وقد رأى المریف بهم بأن بهوى بعصاه على  
جسده الناعم .

— حلاوة . حلاوة . والنبي يا سيدنا حلاوة .

فابتسم المریف وقال

— صفحت عنك لأنك قلت الحقيقة .

وأمر بحل وثاقه وأخذه على ناحية وهمس في أذنه وهو يلحظ وقد  
سال اللعاب من فيه .

— ما الذى معك . حلاوة . هيه حلاوة .

— نعم حلاوة .

— هات حته

فأعطاه الطفل الحلاوة والتمها المريف وهو يتسم وعاد الطفل  
لمكانه . وخرجت من الكتاب بعد أن شاهدت فيه درساً من أخلاق  
السوقة لا أظن أنى أراه فى مكان آخر

٢٣ مايو سنة ١٩١٨

## عرس وماتم

شارع (ال . .) شارع قديم جداً أنشأ في عهد أمير مصر سعيد باشا وبقي على حاله الاول الى يومنا هذا ولعل السر في ذلك وجوده في حي قديم بعيد عن الاحياء الاوربية . وهو كالشوارع القديمة يجمع بين القصور الكبيرة تحوطها الاسوار العالية والبيوت الصغيرة الحفيرة التي لا تأوى تحت سقفها إلا المساكين . في هذا الشارع قصر كبير لأحد بشوات مصر المعروفين بالجاه والحسب والثروة ولهذا الباشا أربعة من الاولاد الذكور واثنتان من الاناث يعيشون عبثة هادئة مرضية وينعمون بلذات الحياة ومسراتها

أراد الباشا أن يزوج ابنه الأكبر فخطب له ابنة تساويه مقاماً ومالاً وأقام الأفراح في قصره أربعين ليلة متوالية حتى ملت النفوس سماع النغمات وروية التمايلق والانوار

عرس يجمع أربعين عرساً ١١١ لك لعمرى مسألة عريضة طويلة حوت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . شيء كانت له ضجة هائلة في ذلك الحى بل كان حديث الناس في كل مكان

وفي ذلك الشارع أيضاً بيت حقير لحوذى من أصحاب الربات الكارولة ولد مريض أربى على الثامنة عشر لازم القراش أربعين ليلة

واقفت ليالى العرس . كان الباشا يضحك وكان الحوذى يبكي . كان الباشا يمد معدات العرس ويصرف من أجل ذلك عن سعة وكان الحوذى يبيع أثاث بيته يشتري الدواء لابنه المسكين . كانت النغمات تطن في أذان الباشا فينشرح لها صدره وتبسط نفسه وكانت أهناس الابن تقع في قلب الوالد فتقطع البقية الباقية منه .

وفي صبيحة اليوم الواحد والاربعين زاد على أهل القصر الكبير شخص وهو زوجة الابن الاكبر وتقص من أهل البيت الحقيق شخص هو ابن الحوذى البائس ..

أصبح الزوج ينعم مع زوجته بما لذ وطاب وأصبح الشاب الفقير جثة هامدة تبللها دموع أبيه المسكين

ذهب الحوذى لقصر الباشا باكي المين كاسف البال خاوى الوطاب وسأله أن يعطيه ما ينفقه في سبيل دفن ولده فامتنع الباشا معتذراً بأنه أنفق المال الكثير أربعين ليلة متوالية لزواج ولده .  
إن ذلك شديد هائل على كل نفس حرة أية .

(٦ يونيو سنة ١٩١٨)

## رمضان في قهوة ماتاتيا

خلف المحكمة المختلطة وأمام بنك الكريدى وفي كتف دكان  
مدكور وقفت قهوة ماتاتيا وقفة الرجل الديمقراطي منهلة الوجه باسمه  
التم تجمع من الناس الغنى والفقير والرفيع والوضيع والتكبر والوديع :  
ما أجمل قهوة ماتاتيا وهي تنظر لحديقة الازبكية نظرة الهازي  
تقول لها وهي تبسم : أنت شاسعة الارجاء كثيرة الاشجار طويلة  
الطرق والدروب وأنا صغيرة وحقيرة وإن شئت فأنا أيضا غير نظيفة  
ولكنى أضمر تحت لوائى عددا من الناس لم يطلأ أرضك بدربمه ولا خمسة  
فأنا أكبر منك مكانة وأرفع مقاما

ما أجمل قهوة ماتاتيا وقد وقف على كل باب من أبوابها رجل  
اسرائيلى أمام خوانه الصغير بعد أن وضع عليه قدرة الفول للمدس يحف  
بها البصل والخيار والقوطه الحمراء والفجل والكرات .

ما أجمل قهوة ماتاتيا وقد جلس فيها الشاب ذو الوجه الجميل  
والشعور المسدلة والقند النحيف واللباس النظيف ينتظر مرور الناس  
ليسرق من جيوبهم باسم ( حرفة ) الادب والشعر أو باسم ( الاحرفة )  
الدرام التى أعدوها للفقراء والمساكين . بل ما أجمل قهوة ماتاتيا وقد  
جلس فيها أيضا الصعفى صاحب الجريدة الأسبوعية الشهيرة التى تصدر  
لسب الناس واتقادهم بلا ذنب ولا جريرة .

بل ما أجمل النغمات الموسيقية في قهوة ماتاتيا نفحات (أحجار  
الطاولة) ممزجة بصوات بائعي أوراق اليانصيب . ما أجمل قهوة ماتاتيا  
إذا جلست فيها وأتاك أحد المماسرة يعرض عليك شراء منزل أو بيع  
قطعة من الأرض الخ . بل ما أجملها أيضاً وقد جلس فيها كتاب المحامين  
يناقشون أصحاب الدعاوى وصغار الممثلين يتحدثون في شتم اخوانهم  
ورؤسائهم . والاهمل من كل ذلك أن ترى قهوة ماتاتيا وهي تنظر  
بعين العطرسة والعجرفة للنخيم الصغيرة والكراسي المشهمة التي أعدها  
كاتبو العرضحالات لانفسهم ولزبائنهم على رصيف المحكمة المختلطة .  
كل هذا جميل . هذه مناظر من مناظر الحياة تسرعى نظر  
الكتاب الذي يكره الجلوس في سولت وجروبي والكو تيننتال والذي  
يجب أن يرى بينه من غرائب الحياة ما يجري في أمثال قهوة ماتاتيا .  
كل هذه المناظر الحيوية يراها الرائي كل يوم ولا يعبأ بها ولكنه  
إذا مر على القهوة في شهر رمضان رأى مناظر أخرى تستوقف نظره :  
أربعة مناظر جديدة من مناظر التمثيل ليست أجمل من المناظر الاولى  
ولكنها أكثر منها غرابة .

المنظر الاول منظر رجل من لابسى الجبة والقفطان ناعس الجفون  
جهم الحيا ممسكا بمسبحة طويلة عريضة يقتل بها الوقت ، هذا هو منظر  
الشيخ الصائم الذي ضاق في عينه منزله فأتى ليقضى وقته في القهوة بلا  
أجر ولا ثمن .

والمنظر الثالث منظر رجل مثله أقل منه عبوسة ونوماً يظهر أمام



الناس بمظهر الصائم حتى إذا جاع دخل القهوة سرّاً ودخل في ركن من أركانها يشرب البيرة ويأكل الفول . هذا هو منظر الرجل الصائم جهاراً والفاطر سرّاً .

والمنظر الثالث ، منظر الرجل الفقير الضعيف المريض الذى أتى القهوة ليستنشق هواء حديقة الازبكية ويشرب فنجان قهوة وكوب ماء ، وكل هذا بقرش تعريفه فقط .

هذا الرجل أجبرته ظروف الحياة على الافطار فلم يخش الناس وشرب القهوة والماء أمامهم وهو يقول لنفسه ( الله يعلم انى مفطر فلتعلم أيضاً الناس لانى لم أفعل ما يغضب الله ) .

والمنظر الرابع ، منظر شاب مصرى لا يتكلم إلا بالفرنسية أو الانكليزية مملوءة بالاغلاط المضحكة ولا يلبس إلا اللباس الجميل ولا يمشى إلا مشية الاعجاب والتبخطر وإن ضحك كانت ضحكته نسائية تستلفت أنظار الرجال قبل النساء وإن تكلم سالت من فه الرقة وادعى أنه ممن تتفانى النساء في محبتهم . يجلس هذا الشاب على قهوة ماتاتيا وامنصاً رجله اليمنى على رجله اليسرى خالماً طربوشه وممسكاً بميمينه كأس الوسكى أو الكونياك يحتسيه جرعة جرعة . هذا هو منظر من لا يخشى الله ولا الناس منظر المتمرنج ، منظر العضو الأشل في جسم الامة المصرية .

---

## ولكن المرأة لم تخلق لهذا الهناء في مصر

ما أجل الصيف في رمل الاسكندرية وما أجل رمل الاسكندرية  
في عين المصطاف : الأرض صفراء والحدائق خضراء ومياه البحر زرقاء  
واللامواج زئير تألفه النفوس كأنه موسيقى الصيف والقمر في منتصف  
كل شهر أشعته زاهرة تتمكس على وجه الماء فتبدو للمعين فضية اللون .  
والاستحمام في ماء البحر كل صباح يعيد للنفس نشاطها وللقلب طمأنينته  
وراحته . كل هذا جميل وأجل منه أن تخرج من منزلك عصر كل يوم  
للتنزه فتصادف في طريقك صديقاً تأنس لحديثه فتسيران الموبنا معا  
تنظران لجمال الطبيعة وتناجيان قدرة الخالق وعظمته تبدو في صفائر  
الاموز وكبارها فوق هذه الرمال

أخرج في العصر للتنزه ساعة ثم أعود لمنزلى قبيل المغرب . ففى  
ذات يوم خرجت للترويض كعادتى وبينما أنا سائر فى طريقى لحلت رجلا  
يقرب منى من بعيد وشعرت برجل آخر يسير خلفى ثم اقترب الرجلان  
وسلما على بعض وهما يتسلمان ووقفا هنيهة يتحادثان ثم سارا معا أمامى وهما  
يعتبان على بعضهما لطول غيبة الواحد عن الثانى فاشككت فى أنهما  
صديقات التمتيا فى هذا الطريق بعد فراق طويل . ثم دلفت لمنزلى  
وتركتهما معا ولم أعلم عن أمرهما شيئاً إلا عصر اليوم التالى .

خرجت فى اليوم التالى للتنزه كالعادة وسرت فى الطريق التى

وطئتها أقدامى بالامس فاذا نى أرى رجل الأمس يقترب منى وكانت تسير بجواره عادة ما شككت فى أنها زوجته . وشمرت خلفى أيضا بالرجل الثانى يسير مع سيدة ما شككت أيضا فى أنها زوجته . ولما تلاقى الجمعان انفصل كل من الرجلين عن زوجته ووقفا من بعيد ينظران للارض دون أن يحسرا أحدهما على رؤية الآخر . أما الزوجتان فقد كانتا على ضد ذلك . وقفت كل واحدة منهما تحدث الأخرى وهى لامة الصفعة باسمه الفم ثم انفصلتا عن بعضهما وسارت كل واحدة بجانب زوجها متخذة وجهها لمنزلها .

يا للعجب . بالامس وقف الرجلان يتتب الواحد منهما على الآخر لطول غيبته ثم سارا جنباً لجنب يتحدثان ويضحكان . واليوم وقف كل واحد منهما بعيداً كالصنم لا يتكلم ولا يتحرك كأنه لم يكن بين الاول والثانى ود وصداقة . كل هذا لا فعله احتراماً للنسائنا بل احتراماً لتلك الخرقه التى نضمها على وجوههن ، والتى نسميها بالبرقع . حرام أن يكلم الصديق صديقه إذا قابله مع زوجته فلنا منه أن فى ذلك ما يحبط من قدر الزوجية إذ للرجال عالماً منفصلاً عن النساء . ألم يكن أحسن من ذلك وأولى أن يقف الأربعة ليتحدثوا مما وتنزهوا معا وعلى الأخص إذا كان الرجل صديق الرجل والزوجة صديقة الزوجة . أى حائل يحول بينهم والى متى تبقى تلك الحال السيئة ونحن فى غنى عنها .

ولكن المرأة لم تخلق لهذا الهناء فى مصر

(٤ يوليو سنة ١٩١٨)

## لبن بقهوة ولبن بالتراب

صباح اليوم ، بعد أن صحت من نومي ولبست ملابسى ، أتتني الخادمة بالفطور لآكل ثم أخرج . ألقيت نظرى على الطعام فوجدته مختلف الألوان من جبن وزيتون وبيض ولبن وقهوة وكانت لى شبيهة للأكل فأكات من الجبن والزيتون والبيض حتى شبعتم ثم نظرت للبن والقهوة وقلت لنفسى ( إني أشرب اللبن مع القهوة صباح كل يوم ولقد شبعتم من غيره اليوم وليس فى مقدورى أن أضيف الى ما فى مسدنى من اللبن شيئاً ) وقت لآرتدى ملابسى وإذا بى أرى كلبى يعصب لى بذنبه فأفرغت ما كان فى فتجائى من اللبن فى وعاء الكلب وتركته والواء .

ركبت ركاب الرمل حتى الاسكندرية وقضيت بعض حوائجى ثم أردت الرجوع فانتظرت فى المحطة قليلا متربحا وصول القطر الذى يقلى حتى المحطة التى أسكن فيها وإذا بى أرى رجلا يباغ الحسنيين يسير وراءه طفل ماشككت فى أنه ولده يحمل معه قدرا مملوا بساتل لا أعرفه وحاولا ركوب قطار كان قد غادر المحطة وابتعد عنها قليلا وإذا بالولد يهوى على الارض والاب يهوى فوقه ولحسن حظهما لم يصابا بسوء ولكن القدر انكسر وسال ما فيه على الارض وكان لبنا ناصع الياض فنظر اليه الرجل نظرة ملؤها الاسف وكادت الدموع تسيل من

عينه ثم سار في طريقه مع ابنه وكأنه تفاعل شراً مما حدث فعاد من حيث أتى .

لم ألبث في طريقى قليلا حتى رأيت طفلين من أطفال شوارع الاسكندرية يتسابقان لمكان الحادثة وكانا لا يسين من الملابس ما لا يجلب من جسدتهما إلا القليل، عاري الرأس حافي الاقدام تتراكم على جبهتهما ولبسهما القاذورات والاساخ - تسابقا لمكان الحادثة ولما وصلا اليه ركما على الارض ولبنا يلحسان اللبن وكان لبنا بالتراب لا بالقهوة .

يا لله أترفض نفسى في هذا الصباح فتجان لبن بقهوة وترضى نفسا هذين الفقيرين لبنا ممزوجا بالتراب  
( ٢٥ يوليو سنة ١٩١٨ )

---

## س من أسرار تأخر المصينين

يسكن بجوار منزلنا رجل أشيب معم ذو ثروة كبيرة ، إذا مشى في طريقه ينبعث من وجهه جلال ووقار ، وإذا نظر اليك نظرة اختبار واستفسار قرأت في عينيه الطيبة ولا أعالى إذا قلت السذاجة . هذا هو جارنا الجديد المحبوب صاحب المال والبنين والبنات والثروة والجاه والفضل الكبير .

مضى عليه في الحى الذى نسكر فيه أربعة أشهر ثم جاء شهر رمضان فإذا بي أراه من نافذة عرقى يجلس مع أولاده في غرفة من غرف داره ليقرأ البخارى وإذا بي أرى شيخاً آخر من الذين يطرقون بيوت الناس كل يوم جالساً بجواره يسمع أحاديث النبى ويهز رأسه استحساناً حتى إذا تعب صاحب الدار من القراءة أمسك شيخنا الجديد بالكتاب وابتدأ في تلاوة الاحاديث .

جميل ذلك المنظر، منظر الشيخين والاولاد الصغار يتلون ويرددون أحاديث النبى وفي ذلك عبرة لمن يستبرو وذكر لمن يتذكر . ثم زارنا الشيخ الآخر ذلك الذى اعتاد الدخول في بيوت الناس كل يوم فجلست معه ساعة من الزمن وسقت معه الحديث في مواضيع شتى الى أن تكلمنا عن قراءة البخارى فقلت له .

— أرى سيدي الفاضل يجلس كل يوم مع جارنا لتلاوة أحاديث النبي .

— نعم يا ولدي وعلى بركة الله .

— قراءة أحاديث النبي ذات فوائد عظيمة لعلكم وجدتم فيها شيئا يميز بعض آراء النحويين .

— نحن نقرأها يا ولدي على بركة الله .

— ألم تجدوا في معاني أحاديثه نظريات تتفق أو تدحض بعض نظريات علم الاجتماع .

— نحن نقرأها يا ولدي على بركة الله .

— ألم تجدوا فيها شيئا من سياسة الأمم .

فنظر الرجل نظرة حيرة واستغراب وأمسك بأحيمته وتردد قليلا ثم قال .

— نحن نقرأها يا ولدي على بركة الله .

ثم ودعنا وانصرف .

...

وانقضى شهر رمضان وكنت أن أُنسى ذلك اللقاء الى أن سافرت  
الطُروف لدارنا مستشرقا من مستشرق أوربا شيخا أشيب وقورا حلیم  
الطبع لأمع الصفة ، قدم الى مصر للبحث عن كتاب عربي قديم في  
أمراض العيون بحث عنه في جميع مكاتب العالم فلم يجده في غير مكتبته  
جلست مع الرجل وحادثته مليا وقلت له :

- شكرًا لك يا سيدى لانك بطبع هذا الكتاب نخدم الشرق أجمع
- بل إنى أشكركم بالسماح لى بطبعه .
- إنك تظهر ما أثر العرب وتنتشر علومهم الدفينة .
- أجل ولكنى أيضا أظهر للعالم الانسانى كيف كان حال الطب فى ذلك العهد ولهذا أخدم تاريخ هذا العلم وللى أوفق لذلك .
- وودعنا الرجل وانصرف حاملا الكتاب وأتانا به بعد أشهر معدودة مطبوعا متقنا جيلا .
- لعل بكتابة هذه الخاطرة أشرح لابناء وطنى سراً من أسرار تأخر المصريين .

( ١٩ سبتمبر ١٩١٨ )



## سارق وسارق

الشيخ احمد يافع أصفر الوجه نحيل الجسم إذا مشى سار الهوينا  
لضعفه وانحلال قواه وإذا نظر اليك إنبعث من عينه بريق يهز أوتار  
قلبك ويبعث فيه الشفقة والحنان . تراه في صبيحة كل يوم يحمل على ظهره  
المقوس الواح الثلج يسير بها في شوارع الرمل ليودعها في البيوت  
والقصور وما ساقته لذلك غير الحاجة ولا قاذته غير البلوى فهو من  
الفقراء البائسين الذين لا حول لهم ولا طول . ولقد أطلق عليه أطفال  
الرمل اسم الشيخ احمد لسذاجة طبعه وضعف قوته فهو في نظرم العوبة  
يتناولن به الوقت والوقت في نظر الاطفال لا قيمة له . بيد أن اسم الشيخ  
احمد التصق بشخصية ذلك العامل المسكين فردده الكبير والصغير  
والغنى والفقير والشريف والحقير وأصبح حامل الثلج لا يعرف في حى  
الرمل بغير ذلك الاسم .

اعتدنا أن نرى وجه ذلك المسكين فى كل رصيف عند محيئنا  
للاسكندرية وكأننا نرى بروثته جزءاً من رمال الرمل وغياضها وبحرها  
الهائج غير أننا فى هذا العام حرمنارؤية وجهه البائس شهراً من  
الزمن شعرنا باختفاء شيء اعتدنا رؤيته كل صيف . ثم ظهر الشيخ احمد  
فى ربوع الرمل يحمل على ظهره الواح الثلج ورأيناه فى صبيحة يوم من  
الايام يطرق بابنا ويدخل فناءنا وهو يتنسم كأنه يقرئ أرض الدار

وجدرانها وكل شئ فيها سلامه ويثها أشواقه ولو كان للارض والجدران  
لسان يتكلم لسمعتا حديث الشوق ونحيبات اللقاء بعد الفراق . ناديته  
قلبي ندائي ووافاني يتعترف مشيته فسألته عن سر غيته فقال :

— كنت رهين السجن ياسيدى .

— الشيخ احمد يزج فى أعماق السجن ؟

— إني والله برئ .

— وكيف كان ذلك ؟

— سيدى لا يعرف الرجل الذى يشتري الملابس الرثة ثم يبيعها فى

الطرق بعد اصلاحها .

— أعرفه ياشيخ احمد وأسمع صوته كل يوم فما هو إلا حانوت متنقل

— بورك فيك يا سيدى فقد عرفت الرجل . لقد سألتُه يوماً بشراء

ثوب كان فى يده وسأولته على الثمن فأبى أن يبيع الثوب بمشرة قروش

وإغادرنى وسار فى طريقه ولكنه التفت الى بعد حين ونادانى قائلاً هات

الثمن وخذ الثوب فاعطيته ما كان فى جيبى وكنت لا أملك سوى عشرة

قروش فوضع الدرهم فى جيبه وسار فى طريقه فجريت وراءه لا آخذ

الثوب ولكنه نهزنى ثم ضربنى ورمى الصفقة منى فالتفت يئمة ويسرة لى

أجد فى الطريق رجلاً ذا شهامة ومروءة يرد الى مالى فلم تقع عينى على

غير آكام الرمل فمدت أذراجى صفر اليدين لا أملك أبيض ولا أسود

ولكنى أقسمت أن أنتقم من ذلك الوحش بل من ذلك الجبان الذى

وجد ضيعتى وبؤسبى وبسيلة يبرر بها جريمته . وقابلته بعد أيام ثلاثة وكان

قد وضع حمله أمام بيت دخل فيه يساوم بعض الخدم على شراء ثوب عتيق  
فأخذت من بين بضاعته الثوب الذى دفعت ثمنه وما دفعنى لذلك غير  
الانتقام وإذا بالرجل خرج من البيت وجرى ورائى وأمسك بى ثم أخذ  
الثوب منى وما زلت بين يديه يصفعنى تارة ويهزنى طوراً الى أن سلمونى  
ليد البوليس وحكم على بشهرين قضيتهما بين جدران السجن . ثم تبسم  
الشيخ احمد وقال ولكنى لا أ كذب القول لقد كنت على أحسن حال  
فى سجنى فما شكوت ضيقاً ولا جوعاً . وغادرنى الشيخ احمد وهو يبتسم  
حاملًا الواح الثلج كمادته فقلت فى نفسى حرام أن يعاقب الابرياء أما  
المجرمون فما زالوا يميثون فى الارض فساداً ثم القيت نظرة أخرى على  
الشيخ احمد وهو يتوارى عن نظرى فرأيت فيه صورة البائس الذى  
يخرج من المجتمع الانسانى من حيز الابرياء الى حيز المجرمين وكيف لا  
يكون الامر كذلك والشيخ احمد لم يشك فى سجنه ضيقاً ولا جوعاً .  
( ٣ أكتوبر ١٩١٨ )

## هنا وهناك

ما أجمل جبل السنسير بضواحي ليون ، جبل أخضر اللون تكتنفه  
تلال تكسوها الأشجار ومروج تقطعها الطرق ، وعلى قته بَنَتْ يد فاسك  
متكشف يتتا صغيراً يقضى فيه حياته نحو طه حديقة غرس أشجارها يده.  
هناك تشرق عليه الشمس وهناك يم الظلام يتته وهناك اعزل العالم  
وهناك سيموت . وبين هذه الجبال نزلت منذ ثمان سنوات في أسرة  
افرنسية لأقضى بينهم ثلاثة أشهر أدرس فيها اللغة الافرنسية ، وكان  
يتهم غير بعيد عن الجبل وكنت أشرف منه على مدينة ليون فتتراءى  
لى في ظلام الليل بمصايحها اللامعة . أيام جميلة تسيدها الذكرى لنفسى  
وما أجمل الذكرى والانسان بعيد عن هذه البلاد التى قضى فيها جزءاً  
من عمره لاقى فيه السعادة والصفاء . قات إني كنت نزيل أسرة  
إفرنسية مكونة من رجل وزوجته وشقيقته وولدين له يذهبان صباحاً  
إلى المدرسة ويعودان منها قبيل الغروب فيلبان ويمرحان فى الحديقة الى  
أن يدنو الليل فيدخلان غرفة المطالعة ويقضيان مع عمته ساعة من  
الزمن قبل العشاء يعيدان فيها درس اليوم ويدوران درس الغد . وأصبح  
لى أن أشهد هذه الدروس لتعتاد أذنى سماع النعمة الافرنسية ، ففى ذات  
ليلة رأيت فى يد الطفل الصغير ، وكان لا يبلغ من العمر إلا ثمان سنوات ،  
قطعا من الحجارة يدرس أسماءها مع عمته ورأيت الطفل الكبير ، وكان

يباغ الثانية عشر من عمره ، يمسك بكتاب في يده مكتوب عليه هذا العنوان ( مبادئ علم الفلسفة ) ولبنا يتناقشان مع صمتها ثم قنسا سويا للعشاء ومكثنا تسامر بعد ذلك ثم دخل كل الى غرفته لينام .

سبحان ربى لقد كنت أباغ التاسعة عشرة بل كنت على أبواب العشرين وكنت من حملة الشهادة الثانوية ولكنى كنت جاهلا بعلم طبقات الارض ومبادئ الفلسفة .

أما الطفل الافرنسى البالغ من العمر ثمان سنوات أو اثنتى عشرة سنة فهو خير بعلم طبقات الارض وبعلم الحيوان والنبات والمنطق وعلم النفس . لقد كنت أمام هذا الطفل الصغير كالتلميذ الجاهل أمام الاستاذ المتعلم .

يحمل الشاب منا الشهادة الثانوية فأن كان من القسم العلمى جهل على التاريخ والجغرافيا وإن كان من القسم الادبى جهل الرياضيات والكيمياء والطبيعة . أما علم طبقات الارض والحيوان والنبات والفلسفة فلم تقرر بعد فى برنامج المدارس الثانوية ولا ندرى السبب فى ذلك . نكتب هذا لوزارة المعارف ونحن نأمل أن تصالح فى النقد ما أهملته بالامس .

( ٣١ أكتوبر ١٩١٨ )

## خواطر

- ١ لا يهدم المشروع الكبير غير الحياء .
- ٢ الجبن هو سرّ تأخر الشرقيين لأنهم لا يخاطرون بكل ما  
عندهم في سبيل نجاحهم .
- ٣ الرأى الجديد يؤلم لأنه يفاجئ الانسان قبل أن يأخذله عدته .
- ٤ لا خوف على الأمة من الرأى الجديد لأنه يفيد إن كان  
صائباً ويموت إن كان واهناً .
- ٥ الرجل ذو الإرادة القوية إذا كان سبي النية يكون أقل خطراً  
على الأمة من الرجل ذى الإرادة الضعيفة إن كان  
خالص النية .
- ٦ يستحيل على من ولد فقيراً أن يعتنى في سبيل الصدقة والخداع  
أن يصبح يوماً صديقاً يمول عليه .
- ٧ من الناس قوم يستحيل عليهم أن لا يخلطوا الجسد بالهزل .  
هؤلاء والبهائم في مستو واحد .
- ٨ الصداقة كالحب تحمل في نفسها مهدها ولحدها .
- ٩ ليست التعاسة في أن نحب وأن لا تكون محبوباً ولكن  
التعاسة في أن تكون محباً محبوباً وتجبرك الظروف على  
مفارقة من تحب .
- ١٠ الحب يحمل تحت ابطه رداء الفضيلة ليرتديه كل انسان  
وضيعاً كان أو رفيعاً .

الكتابُ السَّادِسُ

---

مِلْكُ كَلَامِ تَابِ بَشَرٍ





## مذكراتى عن باريس

أكتب اليوم مذكراتى عن باريس ، أكتبها كما تملها على نفسى ،  
لا أريد تقيق العبارة ولا المنالاة فى الوصف شأن فطاحل الكتاب  
والشعراء ولكنى أريد كتابة ما شعرت به نفسى وتصوير ما رأيته عيني  
فى غضون عدة سنوات قضيتها فى بلد العواطف والجبال والعلم والعرفان  
والحقيقة والخيال .

(١)

### اليوم الاول

ركبنا القطار من برلين ظهراً قاصدين باريس فوصلناها صبيحة اليوم  
التالى . قضينا الليل فى تلك الغرفة الخشبية وحاولنا النوم مراراً فلم تفلح  
فكثرتنا تتجاذب أطراف الحديث الى أن لاح الصباح وما أجل إنبثاق  
النور على تلك الاراضى الخضراء . أما السماء فكانت متلبدة بالغيوم ثم  
بكت عين السماء قليلاً فשמعنا بوحشة واتعباض ولبثنا واجمين لا ننطق  
بينت شفة ننظر لتلك القصور القديمة التى كنا نراها من نافذة القطار ،  
قصور شاهقة قائمة فوق تلال خضراء عليها مسحة من القمم دعتنا لأن

نذكر العهد القديم أيام كانت فرنسا مقر الأرستقراطية ومهبط الملكية .  
ثم أمطرتنا السماء مدروراً فأرأينا باريس من بعيد كأنها تستقبلنا وكم  
استقبلت باريس الغرباء من قبل ، ثم وصل بنا القطار الى محطة الشمال  
فزلنا منه بعد أن نادينا خالاً أتنا وهو يتربع في مشيته غير مابئ بنا ثم  
قال لنا وهو ينظر إلينا نظرة الند الى نده .

( أى فندق قصبون ) فقلنا ( فندق الكونتينتال شارع جراند  
بلفراد ) فجز رأسه وابتم ابتسامة الساخر وقال ( ليس فندق —  
الكونتينتال في شارع جراند بلفراد يا صديقي ) وحمل أمتعتنا فسيرنا  
خافه الى أن وصلنا الى سيارة وضعنا فيها أحمالنا وركبناها الى فندق  
الكونتينتال .

جال بخاطري وأنا جالس في السيارة مع والدى خواطر ثلاث :  
الاول إني رأيت في الباريسيين وجوها ليست بالغريبة عن وجوه الشعوب  
اللاينية التي يعيش كثير من أفرادها تحت سماء بلادنا . والثاني إني  
شعرت بالفرق الهائل بين الشعب الالماني والفرنسي فالاول شعب  
أرستقراطي والثاني شعب ديموقراطي ففي المانيا ترى الخدم يلبون إشارة  
السيد طائنين كالبيد وفي فرنسا تجد الحالمين ياملونك بمسألة النظر  
وما أجمل أن يشعر جميع أفراد الشعب بكرامة أنفسهم . والثالث إني  
لم أجد باريس تستهوى الافئدة وتأسر القلوب فأين جمالها الذي كانت  
تتوق نسي لرويته . لقد كنت أظنها بلدة أديمها من فضة وحجارتها من  
ذهب فإذا بها بلدة من البلاد بل هي كالقاهرة إذا نظرت اليها من فوق

جبل المقطم بمنظار معظم ولكنى لا أكنم القارئ أنى بعد أن وقفت على جمال باريس الحقيقى وعرفت كيف تفضى الحياة فيها أحييت تلك البلدة كثيراً وعرفت ما بينها وبين بلادنا الشرقية من الفرق الكبير . لهذا أنصح لكل سائح أن لا يفد الى باريس فى الصباح فى ساعة تسيل فيها دموع السماء .

سارت بنا السيارة الى أن وصلنا الى الفندق ثم صعدنا الى غرفتنا وأخذنا فى اصلاح شؤوننا ثم نزلنا بعد ذلك الى غرفة الطعام لتناول غذائنا ونحن لا يسون طرايشتنا فكنا موضع أنظار الآكلين . وفى عصر ذلك اليوم خرجنا للتنزه فى غاب بولونيا فركبنا سيارة أخرى وجلس خادمتنا المصرى بجوار السائق ثم ما لبثنا قليلا حتى تحادنا وطال حديثهما فأخذنا العجب كل ، أخذ سائق باريسى لا يعرف المربية بمحدث خادما مصرى يا مجهل الافرنسية ؟ ألا يدعو ذلك للدهشة والعجب ؟ وعند عودتنا سألتنا الخادم عن حقيقة الامر فقال لنا إن السائق قضى فى مصر عدة سنوات وإنه يتقن المصرية فقلت لنفسى وقد أخذتني هزة الطرب ( بلادنا يؤمها الباريزيون أيضا ) ولكنى ما لبثت أن انقلب مرورى الى حزن وم بعد أن أدركت أن من يؤم بلادنا ليشاهد جمال أنارها ويتمتع بصفاء سمائها أقل عدداً ممن يفد اليها سعيًا وراء الرزق ليزاحم أهلها فيما هو حق لهم . ثم تناولنا عشاءنا وصعدنا لغرفتنا ونمنا ملا جفوتنا وفى الصباح استيقظنا مبكرين وأخذنا وجهتنا الى محطة ليون وهناك ودعنى والذى وركب القطار الى مرسليا وتركنى فى باريس وحيداً فريداً .

رجعت من المحطة الى الفندق وأنا شارد اللب ، رأيت نفسى غريقا  
فى بحر عروج بالناس فدخلت الى غرفتى ونظرت من النافذة ومرت  
بمخيلتى صور مصرية عديدة . تذكرت سريرى الذى لا يحلو النوم لعينى  
فى غيره وتذكرت دارنا التى فيها نشأت وشارعنا الذى كنت ألعب فيه  
مع الاطفال وأنا طفل صغير . وتذكرت أهلى واخوانى وما حدث لى  
فى مصر من الحوادث صغيرة كانت أو كبيرة . كل هذا رأيته بين  
الخيال وأنا أنظر من نافذة الفندق الى تلك السماء السوداء وذلك الخضم  
المائج بالناس والمركبات والسيارات . ثم أطلقت زفرة من بين الجوانح  
وأرسلت دمعة خلت على الخد ما فى القلب من هم وألم . ولكنى نشطت  
من عقالى دفعة واحدة وقلت لنفسى ( علام هذا الضعف . لقد جئت  
لهذا البلد لأتلم فى هذا البلد تمتبث أقدامى ) ثم نظرت الى ساعتى  
فرايت أنى قضيت فى باريس أربعين ساعة فقلت ( لقد مضى  
اليوم الأول دون أن أفعل شيئا يذكر ) وغادرت الفندق لأبحث لى عن  
أسرة أعيش معها

( ١٣ فبراير سنة ١٩١٩ )

## حول المرأة

— كلا يا صديقي كلا . إني لا أساير أهواءك فيرلوتى كاتب ماهر  
يصور لك ما تراه عينه وما تشعر به نفسه أمام تلك الصور المخيية التي  
رآها في الشرق .

فأجابها المسير جاردية وهو يتنعم

— أجل يا مدموازيل جان ولكنه يسير على وتيرة واحدة في كل  
ما يكتب وفي ذلك ما يدعو للمل والسأم .

فامسكت المدموازيل جان بمخضلة من شعرها الأسود كانت قد  
انحدرت على جبينها الجميل وأعادتها الى مكانها ثم قالت :

— يسير على وتيرة واحدة ! وما ضره لو فعل ذلك . أتتنبى سهولة  
أنفاظه ورقة أسلوبي وسمو خياله ؟ أترى بين كتابنا من يدانيه في ذلك ؟  
فقال لها المسير جاردية بعد أن شرب كوبة من الماء :

— نحن لا نتفق يا مدموازيل . بيرلوتى كاتب شهير طبقت  
شهرته الخافقين وتحدث الناس باسمه في أوروبا وأمريكا ولكني أفضل  
عليه الكثير من كتابنا . . .

فقاطعت المدموازيل جان وهي تمضغ قطعة من اللحم قائلة :

— أنت من أنصار بول بورجيه .  
— أجل يا مدموازيل أنا من أنصاره ويا حبذا لو اقتدى بي جميع  
الافرنسيين .

— لو فعلوا ذلك قل على الحرية السلام .  
— بل لو فعلوا ذلك لما تشقت بينهم تلك الامراض الاجتماعية  
التي تسترها عن عيونهم كلمة حرية .

— عشتا أحاول اقناعك يا صديقي فنحن على طرفي قيعض .  
والفتت المدموازيل جان الى فتاة روسية كانت تدرس معها الآداب  
في السربون وقالت ا

— وما رأى المدموازيل لنا ؟  
فأجابتها قائلة :

— رأيي اأختي أن يدعشكم رأيي . إلى أحب الكاتيين من  
صميم قلبي فصرخ الميسو كازنوف من طرف المائدة .

— تحبين الاثنين اأجمعين بين الماء والنار ؟  
فقات له الفتاة الروسية .

— علام هذا التعجب يا سيدي ؟ أحب بيير لشاعريته وإن كان لم  
ينظم الشعر بد وأحب بورجيه لدقته في تحليل خفايا النفوس . الاول  
شاعر فيض خياله في ثره والثاني بجائه لا يخطئ في بحثه . يد إلى أرى  
كتب الاول خالية من كل رأى اجتماعي أو فلسفي وأرى نظريات  
الثاني لا تتفق مع روح التقدم .

فقال المسيو جاردية : هذا عجيب .  
فأجابته المدية وازيل لينا وقد آلتها جلته :  
— والاعجب منه يا سيدى انتصارك لنظريات جورجيه .  
فأحنى المسيو جاردية رأسه وقال :  
— عفواً يا مدموازيل عفواً .

وكنا قد فرغنا من تناول الغذاء فقمنا الى الصالون وأشعلنا سيجارنا  
وجلسنا نتحدث وما أجل المحادثة بين قوم غرباء لا تجمعهم صلة الوطن  
ولا القومية .

الغريب في مصر يحن للغريب والافرنسى يحن للغريب والنزل الذى  
آوانا جميعاً جمع بين الروسى والانكليزى والافرنسى والبولوى والصينى  
وكانت المناقشات تتجدد فيه كل يوم حول المائدة وبعد الفراغ من الطعام  
ثم يذهب كل الى غرفته أو يفاذر النزل لعمل يمله . وكنت أجد في  
هذه المناقشات طالما جديداً لم تره عيني في مصر .

قلت أننا دخلنا الصالون وأخذنا مقاعدنا ثم ابتدأت المناقشة من جديد  
بين المدموازيل لينا والمدموازيل جان والمسيو جاردية والمسيو كازنوف  
والمسيو يوان الصينى عن سياسة الاوربيين في الشرق الاقصى أما البولوى  
فقد ظل ساكناً ينظر الى سماء الغرفة كأنه يبحث عن أمل له . ثم تغير  
الحديث من السياسة الى الفلسفة فتناقشوا في فلسفة شوبنهاور ورأيت  
جماعة الرجال تحبذ الفيلسوف وتشد أزره وطائفة النساء تحب عليه باللائمة .  
رأيتهم يدافعن عن آرائهن وحريرتهن كما تدافع النمرة عن صغارها . لم

أجد في حركاتهن وسكناتهن ذلك الدلال النسائي ولا تلك الرقة وذلك اللطف . رأيتهن قد ساوين الرجال عزمًا وقوة وبرهانًا كنتم علت كفتن في ميزان البحث والمناقشة وما أجل انتصارهن بمد أن جاهدن جهاد المستميت . فنظرت الى صديقي البولوني وقلت له :

— لقد انتصر حزب النساء .

فالتفت الى وقال :

— آه لو كانت شقيقتي هنا تسمع هذه المناقشة .

فقلت : وما آراؤها ؟

— تدافع عن حرية المرأة وتسمى جهدها في بث الآراء الديمقراطية في بنات جنسها . ستراها بعد ثلاثة أيام لتحكم عليها بنفسك . فقلت له وقد زاد إعجابي بنساء أوروبا .  
— سأتشرف بمعرفة شقيقتك يا صديقي .

وتفرقت جماعة النزلاء فدخلت الى غرفتي وجلست أمام مكتبي وأطلقت لنفسي العنان في التفكير . قارنت بين نساتنا ونسائهم أستغفر الله بل بين رجالنا ونسائهم فرأيت الفرق كبيرًا واليوز شاسعًا .

نساء أوروبا يناقشن الرجال في الادب والسياسة والفلسفة ورجال مصر يتناقشون في أنواع الاوتوميلات وجمال الملابس وإذا قلت بهم الصيغة أمام موضع جدى مزجوه بالنكات المصرية المستطحة التي تطير الموضوع في جوف الفضاء أما نساؤنا ٢٢٠٠٠٠ ؟

فبراير سنة ١٩١٩



## ليلة في الاديون

صورة خطاب أرسلته لأخي الصغير عام ١٩١٢ .

أخي محمود :

وصاني خطابك صباح الأمس بعد أن أفض على مضجعي طول الليل . فقممت من فرائشي في الصباح ونظرت من النافذة راجياً أن ينكشف عني ذلك الهم القاتل الذي كنت أحس به يدب في قلبي ديباً فاذا بالسماء سوداء اللون وإذا بالغيوم تتكاثف في الجو فخشيت أن تسيل المصبرات وتسقي أرض باريس ماءً مجابجا وما كان أحوجني في تلك الساعة الى شيء جميل يطلق عن وثاق ويدخل السرور الى قاي وإذا بي أسمع الخادمة تدق على الباب ففتحته وتناوات خطابك من يدها وقرأته عشراً ووضعت صدرأ وكأني عثرت فيه على من يسكن قلبي وينسل فؤادي مما علق به من الهم والألم . تسألني في خطابك عن التمثيل في باريس فها أنا مجيبك لملي بحبك لهذا الفن ولست أنسى أيام كنا نتخذ من سربيرنا مسرحاً ومن كاتمه ستائراً ومن غرفة نومنا داراً تمثيلية تمثل

فيها أمام من كنا نجمعهم من رفقاتنا الصغار . تلك أيام عذبة جميلة .  
أجل ما أجل أيام طفولتنا التي تسبب بها اليوم أيام شبابنا ولكن ذكرها  
حية لا ينقض منها نوالى السنين والايام .

قلت لى تناولت خطابك صباح أمس ثم ارتديت ملابسى بمد  
تلاوته وشربت فنجانا من اللبن ممزوجاً بالقهوة وخرجت الى الطريق  
أخذاً ممضى الى حديقة الكسمبورج ودعوت الله أن لا تمطر السماء  
وكان الله أجاب دعائى فانشمت ديم السحاب الاسود ولكن الشمس  
ظلت محتجة تحت سحاب آخر أقل سواداً فلما وصلت الى الحديقة  
وجدت نفسى أمام دار الاديون فقرأت اعلانه الكبير فاذا بهم يمثلون  
فى الليل رواية ( السيد ) لبيير كورنيل التى يمثلها الشيخ سلامه حجازى  
فى مصر ويمزجها بألحانه الجميلة وقرأت فى ذيل الاعلان سطراً يبنى أن  
الممثل الكبير ماكس ديخاردان سيقا بين الفصل الثالث والرابع قصيدة  
تيوفيل جوتييه عن لويس الرابع عشر وبيير كورنيل مؤلف الرواية  
فاشترت تذكرة ثم ركبت سيارة الى الجراندي بلغارد .

أنت فى غنى عن أن أسرد لك ما حدث لى منذ اشتريت التذكرة  
الى أن دخلت دار التمثيل ولا يهمك إلا أن أرسم لك صورة تلجأج فى  
نفسى عن تلك الدار التمثيلية وما حدث فيها تلك الليلة .

ليست دار الاديون يا محمود بدار نخبة كدار الاوبرا أو كدار  
الكوميدى فرانسيز ولكنها جميلة لما تراه العين على جدرانها من آثار

القدم وللقدم كما تعلم جمال يؤثر في كل نفس خيالية ، وما الاديون إلا مدرسة يؤمها خريجو مدرسة التمثيل في باريس مع غيرهم من الممثلين فاذا قضوا فيها حيناً من الدهر وظهرت مواهبهم انتقلوا الى دار الكوميدي فرانسيز وحطوا فيها رحالهم . ألم يأتك خبر بول مونييه والبرت لبرت فيس وساره برنارد وما نالوه من الشهرة بين مواطنيهم هؤلاء قد أنفقوا جزءاً من عمرهم في دار الاديون لاجتياز ساحتها فلبوا دعوتها طامعين . ومن مزايا الاديون تلك المكتبة التي سمح لبعضهم باقامتها على جوانبه من الخارج فاذا مررت بتلك الدار وأنت سائر في طريقك وقتت هنية قلب نظرك في صناعات الكتب لتشتري منها ما يروق لتناظره ، فما أجمل هذه الدار التي تجمع بين الكتب والتمثيل .

دخات دار الاديون في تلك الليلة وصعدت على سلمه الكبير ثم وصلت الى كرمي وجلست أنظرتارة للناس وتورأ للمكان . فاذا بالناس لا نسمع منهم ذلك اللفظ الذي يصي أذاننا في دار التمثيل العربي ورأيت جماعة المدرج (أعلا التيارات) لا ينطقون ببنت شفه كأن على رؤوسهم الطير أو كأنهم في حضرة ملك من الملوك . فأين قزقة اللب وابن دخان السجائر المصرية وأين صهيل جماعة المدرج في دار التمثيل العربي . كل هذا لا أثر له في دار الاديون . ترى الرجال قد ارتدوا ، لا لبسهم السوداء أو ما يقرب منها لوناً وترى النساء في حل بهيجة اللون جميلة الشكل . هذا لعمري مظهر من مظاهر المدينة والجمال لاتراه في مصر . بيد أني لا أود تخطيط آمالك ببرد هذه الوقائع فلا يكبرن عليك أمر التمثيل في

بلادنا قد عزم الله لنا أن نسير الى الامام ولنتنظر ما يفعله جورج أبيض عن قريب في دار الاوبرا المصرية فربما يتدل من حال التمثيل فينقلب السر يسراً . أما المكان فهو قرة العين ومسكة النفس يجمع بين الجمال والنظام . نرى جماعة المدرج يرون المسرح كما يراه صاحب المقصورة (البنوار) ويسمعون كلمات الممثل كما يسمعونها . به الصور الجميلة التي تزين السقف والجدران .

ثم دق رئيس المسرح دقانه الثلاثة وارتفع الستار ومثل الفصل الاول . شاهدت يا محمود من دقة التمثيل ما أعجز عن كتابته اما المناظر فقد أراد أنطوان « مدير الاديون » أن يخرجها للناس كما كانت عليه في القرن السابع عشر ليميد للباريسيين صورة من صور التمثيل في ذلك العهد صورة تاريخية جليلة واضحة فانظر الى أى سماء ارتقى الفن في هذا البلد الامين .

أسدلت الستار في ختام الفصل الاول فسرت من مكاني الى صالون الأسترارحة حيث تتمشى النساء وقد تأبطن أذرع الرجال . في هذه الغرفة التي زينت جدرانها بصور كبار المؤلفين والممثلين جلست على كرمي ونظرت الى جماعات النساء والرجال وقلت : ترى روح التسامح تدب في قلوب المصريين فترى الرجال يخاطب النساء في دار واحدة دون أن تهتم بنفوسهم نزمات الصبوة أو قنن الهوى . هنا نرى الزوج يخاطب زوجة صديقه والخطيب يخاطب خطيبته ويتيمم لها وهو يقرأ

في عينها آيات الطهر والحب ودلائل الوفاء . ثم دق الجرس فرجعنا جميعاً الى كرامينا دون أن نسمع لنا جلبة أو صراخ .

وشاهدنا الفصل الثاني والثالث ولكنى لا أكنم عنك انى شعرت عندما ألقى ممثل دور رودريج مونولوجه في الفصل الثالث بفقدان شئ لم أحرم منه في مصر الا وهو سماع هذا المنولوج يغنيه الشيخ سلامه حجازى ولعل هذا أثر المادة في النفوس ، ثم ظهر لنا ديجاردان وممّ بالقاء قصيدة تيوفيل جوتييه التى أنمى فيها باللائمة على لويس الرابع عشر لانحرافه عن كورنيل فى أخريات أيام الشاعر . صور لنا جوتييه كورنيل يسير فى الطريق وفى قدمه حذاء ممزق ليس فى مقدوره أن يستبدله بآخر لضيق ذات يده . وفى ختامها يقول الشاعر ( لقد كبر اسم كورنيل وتضاءل اسم لويس ) فلما بدأ ديجاردان بالقاء القصيدة صرخ رجل من أصحاب المقاصير ( البنوارات ) يالك من ممثل حقير . ولكن الممثل لم يلتفت اليه وأنتم القاء القصيدة فدوى هتاف الجمهور وتهليله فى الدار كأنه الرعد القاصف . ثم قامت الفتنة ورأيت الناس قد ذهبوا من مكائهم وصرخوا ( فليطرد . فليطرد . فليطرد الملكى ) فقامت من مكائى ودانيت الرجل فرأيت ممتع اللون وصمته يقول ( لا أريد . أن أشتّم أب القنون وما كانت صرختى إلا فلتة غضب ) ولكنى رأيت الجمهور قد ازداد صراخه وفى ذلك مالا تحمد معه المغبة وأجبر الرجل على مناداة الدار وفى صدره غصّة . وعاد الجمهور لسكونه وانتهى التمثيل وعدت الى دارى وأنا أفكر فى هذه الروح الديمقراطية التى شاهدها

تجسم أمام عيني في دار الادبون والتي أود من صميم فؤادي أن تنتشر  
في مصر بلادنا المحبوبة .

هذا يا محمود وصف مقتضب لدار الادبون لليلة التي قضيتها فيه ،  
كتبته لك لتقف على بعض من أمور التمثيل في باريس .  
( ٦ مارس ١٩١٩ )

---

## صديق من أمريكا

اليوم أكتب للقارئ ما وقع مع صديقي هـ . . . . و . ذلك الطالب الأمريكي الذي وفد الى باريس ليدرس الطب .

رأيت لأول مرة في بلغارسان ، ميشيل يحد في سيره ثم عرج يسرة الى باب فندق ( السلكت ) بجوار السربون وكنت أسكن ذلك الفندق ثم ركبنا المصعد ( أسنسير ) سويا وتفرست في معارف وجهه فرأيتها تنطق بما يكنه ضميره من صراحة وشهامة واقدام . ونزل المستر هـ . . في الطابق الثاني وصعدت الى الطابق الثالث دون أن تحدث . ثم أصلحت من شأنى في غرفتى ونزلت الى الصالون في الطابق الاول لاستريح قليلا قبل الذهاب الى النزل الذى كنت أتناول فيه طعام الغداء والعشاء فاذا به يدخن سيجارة وقد جلس على متكأ يحوار النافذة فلما رآنى تم واقفا وجاء الى وهو يقول :

— معذرة يا سيدى إذا حادثتك قبل أن أشرف بمرفقك . أنا

طالب جئت من بومستون لباريس لادرس الطب وقد قضيت في هذا البلد شهرا من الزمن دون أن أعثر على رجل يجيدون فيه الطهى . فهل لك أن ترشدنى الى نزل يجمع بين النظافة وجودة الطعام .

فقلت له وقد أدهشتنى صراحتي — حباً وكرامة لو شاء السيد أن يرافق الساعة الى نزل مدام ميلون أكون له من الشاكرين .  
فنظر الى نظرة تعبر عن شكره وقال — أشكرك يا سيدي .  
وسرنا جنباً الى جنب الى نزل مدام ميلون وتحادثنا في الطريق بعد أن تعارفنا وسره كثيراً أن يصادق مصرياً من أبناء النيل وأعجبه طعام النزل فتروى عليه كل يوم وأصبحنا صديقين نسكن فندقاً واحداً ونأكل في نزل واحد .

...

المستر ه . . . . و . أخلاق اختص بها هو ومن يسكن أمريكا اخلاق تجمع بين الاخلاص والصرامة والاقدام والمحافظة على الوقت والتفاني في فعل الغرائب والمجائب . ذهبت معه مرة الى النزل وجلسنا حول المائدة وإذا بربة الدار تقدم لنا رجلاً زويجياً فوقفنا وأخبرنا رؤوسنا وأكرمنا وفادة القادم الجديد وجلس الرجل أمام صديقي ه . . . و . فتغير نظام الجالسين وتحول المستر ه . . . و . عن طرف المائدة واتخذ له مكاناً بيني وبين الأنسة ديجنسكي الفتاة الرومانية ذات الوجه الجميل والقدر المشوق . وتناولنا طعامنا وتحادثنا في شؤون غنائية وكنت أنظر للمستر ه . . . و . راجياً أن تلفته نظرتي الى الأنسة ديجنسكي ليحادثها ولكنه ظل ساكناً لا يفوه ببنت شفة فقلت له دون أن يسمعا أحد — هل لك أن تحادث جارتك .

فالتفت الى وابتم وظل ساكناً الى أن فرغنا من الطعام .



فلما دخلنا الصالون قلت له — لماذا لم تحدث الآنسة ديمنسكى أخشى أن يكون قد آلمها ذلك .

— ولماذا ؟

— لأن النساء يؤلمن أن تنفض عنهن أنظارنا .

— لم أغض عنها نظرى يا صديقى ولقد بحثت عن موضوع يخلق بى وبها أن تحدث فيه فلم أجده . فاحيلتى إذاً .

— الموضوعات كثيرة يا صديقى . حادثها عن الطقس . عن جمال

باريس . عن . . .

— أتريد أن أجيل عن الجدة الى السفسطة ؟ إبنى أفضل السكوت

فى مثل هذا الحال .

وتحدثنا فى شئ آخر بعد أن تلقيت عنه درساً جديداً .

. . .

وفى ذات ليلة كنت طائداً معه من النزول الى الفندق فقال لى :

— هل لك أن تذهب مئى الى الكوميدى فرانسيز .

— معذرة يا صديقى فأنا تمب هذه الليلة .

فودعنى وذهب منفرداً وصعدت الى غرفتى وآويت الى فراشى ونمت نوماً هادئاً لا ترجعه الاحلام وإذا بى أسمع فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل دقاً عنيماً على الباب فقممت من الفراش مذعوراً فأريت المستر هـ . و . يقول

— ما كان يخطر ببالى أنك من محبى النوم .

— وما قصد بذلك ؟

— سمعت وأنا عائد من دار التمثيل أن الطلبة يقيمون في هذه الليلة حفلة في قهوة بلزار احتفالاً بنجاة أخ لهم من الانتحار . فلم أشأ أن أمتأثر بهذه الحفلة دونك . لهذا قرعت بابك وأيقظتك راجياً أن ترتدى ملابسك وتنزل معي .

فأولت الاعتذار فإذا به قد حمل ملابسى وأتاني بها لأرتديها فأطمعته وغادرنا الفندق سوياً لنشاهد حفلة النجاة من الانتحار . اليس هذا من غرائب الاخلاق الامريكية .

وفي صبيحة يوم من الايام قرعت بابه ليرافقنى الى النزل فإذا به لم يرتد ملابس به بعد فقال لى .

— انتظرنى خمس دقائق فقط .

— وإذا لم تنته من ارتداء ملابسك بعد خمس دقائق .

— تذهب للنزل وحيداً .

وغادرته على هذا الوعد ووقفت أمام الفندق انتظر والساعة في يدي فلما مرت الدقائق الخمس فتح هـ . و . نافذة غرفته وأشار الى يده قائلاً .  
— لقد أبطأت . اذهب يا صديقى فالوقت من ذهب .

ورأيت يوماً في النزل يحمل في يده صورة ( كارت بوستال ) عن زنوبج أفريقيا فقال لى مازحاً :

— هؤلاء من القاهرة .

فألتنى جملته وقلت له وأنا أحرق الأرم .

— بل هؤلاء من بوستون .

فأدرك لساعته انى غضبت فأخذنى الى ركن من أركان الصالون وقال لى .

— انه من الواجب أن يعترف المخطئ بمخطئه . لقد أخطأت وإنى أعتذر لك عما بدر منى فهل لك أن تصفح . فأصعبنى اعترافه بمخطئه وهززت يده علامة الصفح .

...

ثم تطاولت المدة ودبت الأيام ودرجت الليالى فرأيت صديقى ه . و . يميل للوحدة والافراد والتفكير فلم أهتمد لسر ذلك وخشيت أن أسأله مخافة أن ينفضيه سؤالى ثم رأيته يطيل النظر الى الآئسة ا . ب ساعة تناولنا الطعام فى المنزل فقلت لقد بدأت الماصفة تهب . سئرى ما سيكون من أمر غرام الاميركى . ومكثت مدة وأنا اتعافل عن حبه وهيامه فاذا بى أراه فى صبيحة يوم من الايام يقرع باب غرفى فتحت له الباب فبادرنى بقوله

— لى معك حديث يا صديقى .

— وما هو ؟

— إبنى أحب .

— محب محبوب ؟؟

- أجل . ومن أجل هذا أغادر باريس اليوم . فهل لك أن تساعدني في إعداد حقائبي ؟
- تقادر باريس من أجل فتاة !
- بل من أجل الواجب يا صديقي . فالآنسة أ . ب تحبني جداً طاهراً وأنا أيضاً أحمل لها في قلبي مثل ذلك الحب ولكن أريد الاحتفاظ بهدى .
- وماذا تقصد بذلك ؟
- لقد عاهدت والدتي أن لا أتزوج إلا فتاة من بنات جنسى والرجل لا يتقضى صده .
- فرجوته أن يؤخر سفره عدة أيام فقال .
- لقد أصبحت نمرة الحب رطباً جنياً . هل لك أن تساعدني في إعداد حقائبي .
- فزلت معه الى غرفته وبعد أن اتهمينا من إعداد الحقائق ذهبنا سوياً الى المحطة وودعته مودعاً معه الاخلاص والشهامة والافدام
-

## خرطوش وسكر

هناك على شاطئ نهر المارن، فوق تلك البقعة الخضراء التي تفصلها عن باريس غابة فنسين أقاموا ضيعة أطلقوا عليها اسم (توجان سيرماون). وفي هذه الضيعة الجميلة التي يحجبها ملتف الفيض وبحفها ذلك النهر الهادئ قضيت شهرين من حياتي الباريسية، شهرين كاملين مراكمًا يمر الحلم المذب برأس النائم، شهرين كدت أنسى فيهما قسى وأكذب حسى، شهرين عاشرت فيهما الطبيعة الساكنة المنعشة بعيداً عن ضوضاء باريس ولباريس الشتاء ولضواحيها الصيف. ما أجل تلك الأيام المذبة وما أجل تلك الغابة التي كنت أرتاد خلالها مع صديقي المصري يقبنا كلبه (خرطوش). وما أجل ذلك القضاء الشاسع وتلك الحقول الخضراء والزهور الياقة والسماء الصافية وما أجل المنزل الصغير الذي كنا نسكنه ونرى من نافذته نهر المارن تحف شاطئه تلك الأشجار الباسقة والربي المخضلة.

كنا نخرج من المنزل بعد الفطور ونسير على غير هدى ثم نعود لتناول الغذاء وفي العصر نعيد الكرة ثم نعود لدارنا الصغيرة وقد دجا جنح الظلام فنجلس في غرفة الاستقبال مع ربة الدار وربه تتجاذب أطراف الحديث فاذا دنا وقت المشاء أكلنا ثم نأوى الى غرفة النوم.

وكان لربة الدار كلب أطلقت عليه اسم (سكر) ، كلب قبيح الشكل مقيت الطلعة لا أعلم لماذا تحبه وتمطف عليه . كنت كلما نظرت اليه كرهت أن أعيد نظري لوجهه ولم أر فيه تلك الشهامة التي يدفع بها عن صاحبه أذى اللصوص ولم يكن من فصيلة معروفة من فصائل الكلاب إذ للكلاب فصائل عديدة يعرفها الخيرون فسبحان ربى لماذا تحبه مدام بار ؟ ربما كان ذلك لوداعته . أما كلبنا خرطوش فكان جميلا وشجاعا وقد أجمع الخيرون على أنه من فصيلة (الينتر) Pointer وتلك الفصيلة مشهورة بما تأتي به من المدهشات فى الصيد والقنص .

وكم من مرة استهوانا السر فكنا نجلس فى الحديقة بمد العشاء نتحدث عن أشياء شتى فاذا سقنا حديثنا الى أنواع الكلاب هزئنا (بسكر) وضحكنا ضحكة تجسم فيها السخرية فكانت تجيئنا ربة الدار .

— علام تضحكون ؟ سكر هذا كلب أمين . طيب الاخلاق لم نسمع عنه أنه أذى طفلا أو تعدى على كلب آخر . إذا رأى أحداً منكم أقبل عليه يصبص بذنبه ويمسح رأسه فى يده . تكفيه منكم إشارة الرضى ليأتى بنفسه على الارض فرحاسم ورواً ، أما خرطوش هذا الذى تحبونه فهو أقرب للشر منه للخير . أنا لا أنكر شجاعته ولكنى لا أحب شرارته التى تسول له ايذاء كل كلب ضعيف يلقاه فى طريقه . حرام عليكم يا ساداتى أن تغضوا أنظاركم عن الكلب الوديع ذى القلب النقى وتقبلوا بكليتهم على الكلب القوى المدغل . فكنا نسمع أقوالها ونحن نبتمس ومررت الايام فى هذه الدار الصغيرة ونحن عائشون فى عيش خصل

مستسلمون للراحة والسكون لا نسمع غير موسيقى الطيور ولا نرى غير جمال الطبيعة فنى ذات يوم رأيت صديقى المصرى مكفهر الوجه فسألته عن السبب فقال .

— أين خرطوش . ألم تره اليوم ؟

— كلا يا صديقى .

— أف لهذا الكلب الشقى . إنه حقاً أظلم من حية لا أدرى أين ذهب ؟

— لعله يجوب فى طرق الغابة .

— وإذا ضل الطريق ؟

فقممت معه الى الباب وصرنا فى طريق الغابة نبحث عن خرطوش حتى كدنا المطاف وتملكنا الانضاء فرجعنا أدراجنا الى المنزل وجلسنا آسفين وإذا بخرطوش قد عاد إلينا فقام صديقى إليه وهوى عليه بسوط كان فى يده وهوى يقول — « وإياك وترك المنزل أيها الكلب الشقى ألا تخشى أن يسرقك سارق ؟ »

واتهت هذه الحادثة وقضينا بقية اليوم كالمادة فلما روق الليل البهيم جلسنا فى الحديقة تتسامر فاذا بخرطوش قد هبَّ الى ناحية الباب يريد الهروب الى الغابة فقام صاحي وراءه ولحق به فى الطريق وتبعته صاحبي فرأيت يهوى بسوطه على جسد الكلب وهوى يقول « تريد إعادة الكرة يا خرطوش ؟ هاك عقابك » وإذا بسكر قد جاء على مهل ليرى ما حدث فلما بصر بصديقه خرطوش يئن تحت السوط اقترب منه

مبصبصاً بذنبه وهاله مصاب صديقه فأخرج لسانه ومسح به دموع  
خرطوش ولكن خرطوش ألمته شفقة صديقه الضعيف فجم عليه  
وصرعه على الارض ، وما زال يدق عنقه الى أن قضى عليه وعبتاً حاولنا  
فصله عن سكر .

لقد مات سكر . مات شهيد طبيته وداعته . مات شهيد غدر  
صاحبه القوي . ذهب ضحية القوة والحق للقوة في كل زمان ومكان .  
وإذا بي أرى ربة الدار تمسح يدها تلك الجنة الهامدة وهي تبكي  
وتقول « لقد كان سكر طيب القلب من فائمة أمره الى خاتمة عمره »  
وفي الصباح دفنا سكر في الحديقة تحت شجرة كبيرة كان من عاداته أن  
ينفياً ظلها في الظهيرة وقشنا على ساق الشجرة هذه الكلمات .

« هنا يرقد سكر الكلب الطيب شهيد المروءة والاخلاص »

.. لقد كنا نكره سكر في حياته فاذا بنا نحبه ونجمله بعد مماته . لقد  
كنا نتغافل عن وداعته وطيبته ونهزأ بذله وضعفه ونقول ليس هذا  
الكلب من فصيلة معروفة فهو عديم الاصل ولكننا نعتقد اليوم بعد  
أن قضى ذلك الشهيد أن الاصل لا دخل له في الطيبة وأن مخلوقات الله  
سواء . وبإليت شعري اليس الحال كذلك بين الناس .

فعلام يكون الحق للقوة وعلام تكون الطيبة والوداعة ضحية الظلم  
ومتى ينشع عن العالم الانساني ذلك السحاب الاسود .

( ١٠ أبريل ١٩١٩ )



## هو وهى

جلس بجوار النافذة ونظر الى السماء القاعة كأنه يرى فيها صورة نفسه ثم أطلق زفرة من بين جوانحه وقام يتمشى فى الغرفة ذهابا وإيابا ثم أمسك بكتاب قرأ على صفحته الاولى هذا العنوان (مبادئ القانون المدنى) وما لبث أن ألقى به على الخوان وهو يقول ساخرأ (مبادئ القانون المدنى. مبادئ القانون المدنى). وكان قد وفد الى باريس منذ أشهر عديدة وسكن فى الطابق الثالث من دار شاهقة فى شارع السربون واقتنع بغرفته الصغيرة وتلك النافذة التى كان يرى منها مهد السربون فقد اليه الطلاب فى كل صباح ، وبينهم الغانيات ذوات العيون الناعسة والقودود المشوقة . جاء الى باريس ليدرس الحقوق وما كان بنفسه ميل لعلوم الشرائع ولكن والده لم يسمح له بمغادرة القاهرة إلا ليلقى بنفسه فى أحضان تلك العلوم . فسافر وفى قلبه غصة ولكنه وطد النفس على الدأب والعمل جامعا بين علوم الحقوق التى كانت تبحش نفسه مالا تستطيع احتماله وبين علوم الآداب التى يرى فيها سكة الأمل وقرعة المين . وأحب الأسرة التى كان يعيش معها حباً جماً وامتزج بهم امتزاج الماء بالراح بعد أن وجد فيهم قرما من أكرم أرومة ولكنه كان اذا فكر فى علوم الحقوق يربد وجهه ويختلج أعضاؤه ويهيم فى سماء التفكير

ولقد كان هذا شأنه في ذلك اليوم . فلما أتى بكتاب مبادئ القانون المدنى على الخوان لبث هنيهة يفكر ثم حدث نفسه قائلاً ( نسيت انى على موعد مع صديقى البير ديباس لنذهب سويا الى دار مدام ماريون حيث تقام حفلة راقصة ) وهب الى خزانة ملابسه وأخرج منها بدلة سوداء وقيصا أبيض اللون وحذاء أسود لامعا وبعد أن ارتدى هذه الملابس سمع دقا على باب غرفته فأذن للطارق بالسخول وإذا به يرى خادمة المنزل تقول له .

— لقد أعده طعام العشاء يا مولاي

— ها أنا قائم

وخرج من غرفته قاصداً غرفة الطعام والتقى فيها برفقائه النزلاء وجلسوا جميعا حول المائدة يأكلون ويتسامرون فلما فرغوا من تناول الطعام أشعلوا لقافات التبغ وقامت المدموازيل مارى الى اليانو وعزفت عليه دوراً ليتهوفين فصفق الجميع اعجابا يبراعها وبوغها ودق باب المنزل ففتحه الخادم وإذا بشاب وضئ الطلعة نحيف القوام طويل القامة أبيض اللون تدل حركاته وسكناته على طيبة قلبه قد دخل عليهم وهو يسموحيا الجميع تحية جميلة ثم التفت لصديقه المصرى وقال .

— لقد آن الوقت يا حسن . هيا بنا

— هيا بنا يا البير

وخرجا من الغرفة فلما وصلا الى الشارع قال البير :

— أتركب عربة أم تسير على الاقدام ؟

— بل نسير على الاقدام وعلام نعدد للكسل والمسافة ينفنا  
وينهم قصيرة .

وسارا في شارع راسين على مهل فقال حسن :

— إني لا أعرف غير مدام ماريون وابنها وابنتها وأنت تعلم اني  
كثير الخجل لهذا أخشى أن أكون عبثاً ثميلاً على من لا يعرفني .

فقهقه البير وقال — أتخشى لقاء النساء ؟ لقد عهدتاك قوى القلب  
ثابت القدم فعلام هذا الحياء . لم تدع مدام ماريون غير أسرة ( همري )  
وما تلك الأسرة إلا مجموعة من النساء الام وبناها الثلاث وصديقة لهن  
جاوزت الأربعين فالحفلة طائلية وستكون فيها بين قوم قليلي العدد  
يحيولنك ويحترمونك فلا تخش بأساً . اليك يا صديقي نصيحة غالية الثمن  
إذا اتبعتها كان لك بين النساء شأن عظيم . لا تركز للنساء كثيراً ، داول  
لهن بين اللين والشدة وأمزج لهن بين الرأفة والقوة ولا تنس الاعتناء  
بشاربك فهو من الرجولة وله في قلوب النساء حظ كبير وقسط وافر  
وابحث عن مجموعة من اجل العذبة والنكت المستلحة تجعلها بضاعة لك  
تبيعها للنساء لتبض الثمن غالياً والثمن في هذا السوق لا يخرج عن حد  
القبيلات العذبة والعناق الطويل الخ ...

فضحك حسن وعلم أن صديقه يمزح معه وكان قد وصلا الى  
تيارو الاديون فوقها هنيهة ينظران للناس تصعد سلم هذه الدار زرافات  
ووحدا نأتما سيرهما في شارع فوجبرار فقال حسن :

لقد قرأت شيئاً عن هذا الشارع في رواية الفرسان الثلاثة  
لديماس الكبير .

— إنى أكرم هذا الرجل وأربأ بك أن تقرأ رواياته فطست من  
السوق أيتها الصديق لتنزل بنفسك الى دركهم .

— إنى أرتأى رأيك يا البير ولم أقرأ هذه الرواية إلا لأعرف  
شيئاً عن شخصية الكاتب فأنا اليوم من شيمة من يضرب برواياته  
عرض الحائط وعلى الاخص بعد أن قرأت شيئاً من روايات ابنه  
اسكندر ديماس الصغير .

— الفرق كبير بين الوالد وابنه فالاول يشوه التاريخ أما الثاني  
فيحلال خبايا النفوس ويتنصر فيما يكتب لنظريات إجتماعية يرى فيها  
الصراط المستقيم لاصلاح ما فسد من الامرة .

— ولكنى أبرر عمل الاول لقره وضيق ذات يده . وكانا قد وصلا  
لدار مدام ماربون فوقاً أمام الباب ودق البير الجرس ففتحه الباب  
وضعدا سلم الدار الى أن وصلا الى الطابق الرابع فدقا الجرس أيضاً  
وأحس حسن بحفتان قلبه ولم يلم لذلك سبباً ثم افتتح الباب وسارا في  
الدهليز قاصدين غرفة الاستقبال .

( ١٥ مايو ١٩١٩ )

## هو وهى

- ٢ -

دخل الصالون مع صاحبه فقابلتهما مدام ماريون وصاحفهما ولدها . ما كس وأقبلت ترحب بهما ابنتها جيزيل . أما الام فامرأة فى الخمسين من عمرها قصيرة القامة ذات وجه كثرت فيه التجاعيد وشردب فيه الشيب وعينين براقتين ينبئان عن نشاط وذكاء . وأما الابن فشاب فى السابعة والعشرين من عمره جميل الوجه قصير القامة كثير الحركات خفيف الروح فهو المثال الحى لما يسمونه ( الباريزيانزم ) وأما الابنة فتتاة أطول من أخيها قامة ولكنها أقل منه جمالا كثيرة الحركات والكلام اذا أصغى لها السامع ساعة يناله منها ما يصدع الرأس . ثم أمسكت مدام ماريون بيده وقدمته للحاضرين قائلة ( أقدم لكم شابا مصريا وقد لى باريس منذ خمسة أشهر طلبا للعلم ، شابا زكى القواد كريم الأخلاق ... ) فقطع عليها حديثها شاكرا وأقدمت اليه الحاضرين وكانوا ثمانية : مدام همرى وهى امرأة تناهز الخامسة والاربعين طويلا القامة بدينة الجسيم يضاء الوجه اذا تفرست فى وجهها تطلعت معارفه بما اتصفت به هذه السيدة من الخصال كشراسة الخلق وعدم المبالاة بالنتائج الوخيمة والاقدام

على كل وسيلة تنيلها غايتها وعدم الاكتراف بالشرف والطهارة ، وابتها الكبرى مارى وهى أشبه الناس بأوها وجهاً وأخلاقاً ، وابتها الوسطى مارجرىت وهى فتاة نحيفة القوام طويلة القامة سوداء الشعر ذات وجه تقرأ فيه آيات الجمال والألم وعينين جيلتين يفعل سحرهما بالقلب ما تفعله الكهرباء بالأجسام ، تراها كثيرة التفكير تنفر من الناس إذا دنا منها أحد فكانها قصيدة من الشعر الوجداني وصبورة للجمال الطاهر رسمتها يد الحزن والآلام ، وابتها الثالثة ايفون كانت دون الحلم ترقص مع الراقصين وتضحك مع الضاحكين وهى لا تعرف شيئاً بمد من أسرار المجتمع الانساني أما صديقتهم مدام لوشيا فامرأة فى الاربعين من عمرها تمشى على آثار صديقتها مدام همرى فى كل ما تفعل وتحنو حذوها سرّاً وعلاية . أما الرجال فثلاثة من بولندا ، الاول مسيورويسكى تزيل مدام ماربون والاثنان الآخرا ميسور كرينسكى ومسيور يفلوفسكى صديقه .

ما أجل هذه الحفلة التى لا يزيد عدد رجالها ونسائها عن اثنى عشر ، حفلة عائلية يتآخى فيها الرجال والنساء وترفع الكلفة وأمثال هذه الحفلات كثير فى باريس تكاد لا تخلو منها دار أو تزل .

جلس حسن مع الجالسين وضحك مع الضاحكين ورقص مع الراقصين ثم جلس ليسترىح قليلاً وكان قد رقص مع المدموازيل جيزيل والمدموازيل مارى والمدموازيل ايفون وأوقفه سوء حظه بين يدى مدام همرى ومام لوشيا فرقص معهما ثم نال منه التعب فجلس فى ركن من

أركان النرفة واذبه يرى مدموازيل مرجريت فى ركن آخر تقلب بين يديها صفحات كتاب صغير فنظر اليها طويلا وود أن يفادر مكانه ليدانها ويحادثها ويعلم تلك الجاذبية التى كانت تدفعه لتلك الفتاة .  
وأها تقرأ ثم تطيل التفكير فلم أنها لم تمسك بالكتاب فى يدها إلا لتفكر أو لتمدد للسكون والوحدة حتى لا يمكر صفاءها من يود الرقص معها وكان الجميع يتهافون على ذلك . أما حسن فقد احترم لإرادتها وظل ساكنا فى مكانه ينظر اليها وقد اكتفى بنظراته الطويلة وود من صميم قواده أن يطول جلوسه ليمتع عينيه بمجالها الطاهر وتلك الصورة الحديثة التى رسمتها يد الألم على وجهها الجميل وإذا بمدام ماريون قد اقتربت منه وقالت .

— يالك من كسلان . ألا ترى الجميع يرقصون .

ثم التفتت الى مرجريت وقالت لها :

( وأنت أيضا ما هذا الكتاب الذى تقرأين ) وانزعت الكتاب من يدها وهى تضحك ثم خاطبت الاثنين قائلة ( الى الرقص . الى الرقص . حالا ) فقام حسن وقامت مرجريت ومشى اليها وهو يتمشى فى مشيته ورقص معها رقصة ( الفالس ) . ثم جلس بجوارها وتحادثا سويا فقال لها .

— يظهر لى أن المدموازيل تحب آداب اللغة الافرنسية . لقد شاهدتها منذ حين تقرأ رواية أنديانا للكاتبة الشهيرة جورج صاند .

— لا تقل يا سيدى إني أحب آداب اللغة الافرنسية بل قل إني أحب منها ما يسير أهوائى . لقد كنت أقرأ أنديانا منذ حين ولقد قرأتها قبل ذلك كثيراً ولقد وجدت فيها ما طوعت لى النفس قراءته وفى ذلك ما يمشى على تلاوتها مراراً .

— وأنا أيضاً أحب تلك الرواية حباً جاً . لقد قرأتها منذ شهرين ولا أخفى عليك انى معجب بأخلاق أنديانة .

— معذرة إذا خالفت رأيك لأننى لا أعجب إلا بأخلاق السير رالف وكنت أود أن تسمى جورج صائد روايتها (السير رالف) . . . .  
وإذا بالمدموازيل مارى قد أقبلت عليها وهى تقول :

— أنأتى جيزيل يا مسيو حسن أنك تملك آلة فتوغرافية ذات عدسة من نوع (زيس) فهل هذا صحيح .

— هذا صحيح يا مدموازيل .

فصفت يديها فرحاً وقالت لأختها :

— ما رأيك يا مرجريت . ما رأيك فى ذلك ؟

فابتسمت مرجريت ولم تجب وفادت مارى أمها قائلة .

— ماما . ماما . إنى أقترح عليك شيئاً . المسيو حسن يملك آلة

فتوغرافية فهل يجوز علينا زيارته غداً أو بعد غد ليصورنا .

فأجابها أمها . .

— يا جيزيل لو صحت عزيته على ذلك . اليوم يوم الاحد وغداً



سنذهب جميعاً لزيارة أسرة تيرى . وبعد غد سأذهب لزيارة أصدقاء آخرين فهل يتكرم علينا المسيو حسن بزيارتنا يوم الثلاثاء .

فاجابها حسن وهو ييسم .

— هذا جل ما أعتناه يا مدام .

فصفت الصغيرة أيمن يديها وطلعت أركان الغرفة وهي ترقص وتقول .

— سيصورنا بعد يومين . سيصورنا بعد يومين .

وعزفت الموسيقى فهب الجميع للرقص وكانت الانسة ماري من نصيب حسن فلهذا صرعا قالت له في أذنه (ما أجمل عينيك) فأدهشته تلك الجملة فنظر إليها نظرة الحائر ولم يجب بحرف واحد فسكتت أيضاً ولكنها كانت تبسم له كلما وقع بصره على عينيها . ثم انتهت تلك الرقصة وتفرقوا في أنحاء الغرفة ليستريحوا ومكثوا هنيهة وهم لا ينطقون ينت شقة وطال سكوتهم فهم البولندي كرنسكى من مكانه واقترح عليهم أن يلعبوا لعبة تكون ختام الحفلة فأقر الجميع لعبة تشبه لعبة ( استغماية ) التي يلعبها الاطفال في مصر وانتخبوا من بينهم ملكا جلس على كرسي وكان الانتخاب من نصيب روميسكى أما كرنسكى فكان من نصيبه أن يجلس بين يدي الملك وهو مضمض العينين ثم يمد يده فيصاغفه الجميع فيسأله الملك ( ماذا تريد أن تفعل بمن صاغفك ) فيجيب بما يريد تأيه دون أن يعرف الشخص الذي صاغفه . فلما صاغفته مدام ماريون سأله الملك سؤاله فأجابه ( يقبل هذا الشخص جدران الغرفة ) وما زال

يصدر كرينسكى أحكامه الى أن أتى دور بفلوفسكى فاذا به يحادث كرينسكى بالبولونية قبل أن يصاحفه ولم يلاحظ ذلك غير حسن ثم صاحفه فقال الملك (ماذا تريد أن تفعل بهذا الشخص ؟) فأجاب كرينسكى (يقبل المدموازيل مرجريت) ففهم حسن سر ذلك وسكت وهو يكتنم غيظه وقام الجميع لتنفيذ الاحكام وقبل بفلوفسكى مرجريت فأزاحت عنه رأسها قليلا فوقعت القبله على شعرها واكفر وجهه حسن ولاحظ صاحبه الير ذلك فأسر له تلك الجمله (يا صديقى المسكين) فابتسم حسن إبتسامه الحزين البائس ونظرت مدام همرى فى ساعتها وقالت لقد آن الرحيل وخرجوا جميعاً بعد أن ودعوا أسرة ماريون فلما وصلوا الى الشارع صاحفهم حسن فقالت له ماري .

— لا تقسى أن تزورنا يوم الثلاثاء .

فأجابها حسن .

— سأكون فى الميعاد يا مدموازيل .

وسارا فى طريقه مع صديقه البير وظلا ساكتين هنيهة ثم قال البير .

— ماذا حل بك أيها الصديق . لماذا لا تكلم ؟

— لقد تملكنى الأتضاء يا صديقى وسأنام الليلة ملء جفونى .

— أراهم أنك ستسهر للصباح .

— ماذا تقول ؟

— أقول أن مدموازيل مرجريت جميلة جداً .

فضحك حسن وقال :

— لا أنكر أن الفتاة جميلة ولا أنكر أنها استلقت نظري ولكنها لم تملك على قلبي .

— من يدري سنرى ماذا يكون من أمركما يوم الثلاثاء .

وما زال يتحدثان الى أن اقترقا عند شارع المدارس وسار حسن الى النزل وهو يفكر ثم صعد الى غرفته وخلع ملابسه واستلقى على سريره وحاول أن ينام فلم يقدّر فحدث نفسه قائلا ( أسرة غريبة . أم لا تركن اليها النفس وابنة تبوح بهواها قبل أن يبوح به من راق في ناظرها وابنة أخرى صغيرة ليست في الثير ولا في النفير . أما الثالثة الوسطى فهي أحجية من الاحاجي بل لغز من الالغاز ) ثم فكر قليلا ( وربما كانت ضحية . . . ) وما زال يردد هذه الكلمة ثم غلبه النعاس فنام .

---

## هو وهى

- ٣ -

أفاق من نومه صبيحة يوم الثلاثاء وأصلح من شأنه وارتدى  
ملابسه وتأبط جعبة كراساته وخرج من النزل بعد أن تناول فنجاناً  
من الشاي وقليلًا من الحلوى وأخذ صمته الى الكلية وكانت قرية من  
داره فسار في شارع السربون وخیال مرغريت أمامه لا يفارقه لحظة  
واحدة يد أنه لم يكن تمسًا ولا حزينًا بعد أن علل نفسه بقرب اللقاء  
فكان يقول لنفسه ( سأراها اليوم وسأحادثها وربما وقفت على سر هذه  
النفس الحزينة ) ووصل الى باب الكلية واجتاز ساحتها ثم دخل غرفة  
الدرس وجلس غير بعيد عن ( المسيو فال ) أستاذ القانون المدنى وممرت  
الساعة بعد الساعة والأستاذة والتلاميذ فى واد وهو فى واد آخر فلم  
يسمع شيئًا ولم يكتب شيئًا ولم يأسف على ذلك . كان يراها أمامه وهى  
جالسة فى ركن الغرفة تقاب صفحات رواية أنديانا ، وكان يراها أمامه  
وهى تمادته ، وكانت يراها أمامه وهى تزنج رأسها الجميل عن فم  
بلاوفسكى ، رأى كل ذلك بين الخيال وكان يبتسم ثم يكفهر وجهه  
ويقول ( لقد قبلها التمس . لقد قبلها التمس ) ثم يهدأ حاله ويقول

(ولكنها أزاحت رأسها عن فمه فوقعت القبة على شعرها . معذورة أنت يا مرجريت . معذورة أنت يا ملاكي الطاهر ) ثم غادر الكلية وسار في طريقه وقال بعد أن نظر في ساعته ( أمامي أربع ساعات ، ما أطول النهار اليوم ) ثم عرج على حانوت تباع فيه زجاجات الروائح الزكية واشترى منه زجاجة ( فيوليت ) ليمطربها جسده وملابسه ثم ذهب الى حلاق في شارع سان ميشيل قص له شعره وحلق له لحيته وكانت قد نبئت قليلا واتبع في ذلك نصيحة صديقه ألبير ديباس ثم رجع الى داره ودخل في غرفته وأغلق الباب بالمفتاح وخلع ملابسه بعد أن بحث في خزانته عن أجل بدلة يمتلكها وارتداها وهو يتنسم ثم عطر وجهه ومنديله وجلس على كرسيه بقرب النافذة ينتظر قدوم الخادمة لتدعوه لتناول طعام الغداء . ونادته الخادمة بعد قليل وتناول غذاءه مع رفقاءه الثلاثة ثم رجع الى غرفته وجلس قليلا على كرسيه ولكنه هب من مكانه ووقف أمام المرأة وأصلح رباط رقبته وأخرج ذيل منديله الحريري من جيبيه لترام الناس ثم نظر في ساعته وقال ( الساعة الثانية . أمامي ساعتان فكيف أقضيهما ) وخرج من غرفته وحادث صديقه البير ديباس في التليفون واتفق معه على أن يقابله في حديقة الكسمبورج في الساعة الرابعة وغادر المنزل بعد أن حمل آلة الفوتوغرافية فأصدا تيار والادبون وكان من عادته أن يطوف حوله مقلبا صفحات الكتب المعروضة خارج هذه الدار التمثيلية وكان يرى في ذلك لذة كبرى لا تنالها غير لذة اهتمامه بشأن التمثيل في باريس . وكان قد قسم وقته ثلاثة أقسام : الدرس ،

والكتب الادبية والتمثيل . أما الآن فقد رأى أن يضيف اليهما قسماً آخر يخص مرجريت تلك الفتاة التي دلفته واختبلته من أول نظرة ولقد ساءل نفسه مراراً لماذا يركن الى هذه الفتاة وينيط بها ثقته دون أن يجتبرها . ألم ير في أمها واختها الكبرى بل وفي تلك المرأة التي كانت معهم ( مدام لوشا ) ما ينفره عن تلك الاسرة ؟ ولكن ...

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل

وما اختاره مضى به وله عقل

ظل يقلب صفحات الكتب وإذا به يسمع صوتاً يناديه فالتفت  
يمتة فرأى المسيو درفنيي الممثل بدار الأديون يتسم له ويقول :

— ماذا تفعل في تلك الساعة يا صاحبي ؟

— أتقى نظرة على هذه الكتب .

وصاحفه مصاحفة الصديق للصديق وكان قد عرفه في قهوة بلزار في أحد الليالي فصادقه وأحبه ومحضه ، وودته وجمها احبها لقن التمثيل ، ووجد حسن في صديقه الممثل رجلاً سليم الطوية طيب السريرة فكان كلما رآه ود أن لا يفارقه . ثم قال له الممثل .

— ما أجلك اليوم يا حسن . ما هذا التأنيق في اللباس وما هذه

الرائحة الزكية التي تنمش القلب . آه ومعك فتوغرافية أيضاً . ما شاء الله ما شاء الله .

— أتمزح أم تقول صدقاً ؟

— لا أنكر إنني أحب المزاح كثيراً وما المزاح إلا صبغة من

الصفات الأفرنسية . ولكنى لم أقل غير الصدق .  
 أتذكر يا صاحبي تأتق لباسك وتلك الرائحة الزكية التى تنبعث  
 منك ؟ أذكر ظنى أنك اليوم على موعد من فتاة . قل الحق يا صديقى .  
 أما لمة هى أم ممثلة أم امرأة متزوجة ؟ الأفرنسية هى أم من طالبات العلم  
 الأجنيات ؟

— لقد خاب ظنك يا صديقى . ألا أراك هذه الليلة فى قهوة بزار ؟  
 — تريد أن تغرب عبرى الحديث . فليكن ما تريد . كلا يا صديقى ليس  
 فى وسعى أن أراك الليلة . وإن شئت قابلتك غداً عند منتصف الليل .  
 وصافح صديقه المصرى واتجه نحو باب الأديون ثم غاب عن نظر  
 حسن . فقال حسن لنفسه ( شاب زكى القواد طيب الاخلاق . ما  
 أسعدنى بمعرفته ) ثم غادر دار الأديون ودخل حديقة الكسومبرج  
 ومشى فى دروبها وهو يفكر وما زال يطوف طرقاتها حتى لاقى صديقه  
 البير ديباس فصاحفه وتحادث معه قليلا ثم نظر فى ساعته وقال ( هيا بنا )  
 وسارا فى شارع فوجيرار ثم عرجا على شارع رين قاصدين دار مدام  
 هيمرى رقم ١٤٤ فلما وصلا أمامها قال البير  
 — لقد وصلنا يا صديقى . أرجو أن تكون هذه المرة أكثر

ثباتا وجلدا

فابتسم حسن وقال

— فلنصعد أيها الصديق وعلى الله الاتكال

وصعدا السلم حتى وصلا الى الطابق الرابع ووقفا أمام الباب قليلا

وتردد حسن في دق الجرس فقال له البير ( ما هذا الجلود أيها الصديق )  
ودق الجرس مرتين وانتظر قليلا وإذا بالبواب قد افتتح وظهرت وراءه  
الصغيرة أيفون فلما رأتها صفتت يديها .

— لقد صدق ظني يا أماء . هذا هو المسيو حسن والمسيو البير  
والمدام فتوغرافيه معهما . سيصورنا اليوم فما أسعد حظنا .

ودخلا معها الصالون وصالحا مدام هيمري والمدموازيل ماري  
ومرجريت ومدام لوشا ومدام ماريون وإبتها جيزيل ثم التفتا للرجال  
وصالحا ما كس وكريفسكي وبفلوفسكي ورديسكي وكانوا قد قدموا  
للتصوير وجلس كل في مكانه وقال بفلوفسكي .

— أخشى يا مسيو حسن أن يمر الوقت دون أن نشر .

ألا يحسن بنا أن نبادر للتصوير ؟

فهب ما كس من مكانه وقال .

— وهذا رأيي أيضا .

فقال حسن ..

— هيا بنا أيها السادة الى الشرفة .

وقاموا جميعا وأخذوا مكانهم في الشرفة وصورهم حسن صور  
متعددة ولما انتهى من عمله قالت مدام ماريون .

— لقد صورنا المسيو حسن ولكنه لم يصور نفسه معنا

فيا لسوء الحظ .

فقالت ماري :



— ألم تبق في جعبة التصوير صورة أخرى ؟  
فأجاب البير .

— بل صورتان يا مدموازيل .

فقال مدام لوشا .

— فليكونا من نصيب المسيو حسن .

وقالت مدام هيمرى .

— وهن يا ترى يتكرم منكم بالتصوير .

فقال كرينسكى : ( أنا ) وقال بفوفسكى ( بل أنا ) وصاح ما كس  
( أنا . أنا ) وصح الاقتراع وكان التصوير من نصيب ما كس جلسوا  
جميعاً في الشرفة مرة أخرى وجلس معهم حسن وصورهم ما كس  
صورتين ثم دخلوا الصالون ليتناولوا الشاي فلما جلسوا حول المائدة ،  
رأى حسن البولندى بفوفسكى يتهافت على الجلوس بجوار مارجريت  
فألمه ذلك واستهال الامرولسوء حظه وجد البولندى قد فاز بأمنيته  
وجلس بجوار مارجريت . فاضطرم صدره وتفتت كبده وقال لنفسه  
( ما هذه المرأة أيتها الأتس ويجلس بجانبها اليوم . ما الذى يريد هذا  
الشيطان من هذا الملاك ) وأدبرت كثرؤوس الشاي والحلوى فأكلوا  
هينئاً وشربوا مريئاً ورأى حسن مزاحه البولندى يسر شيئاً لارجريت  
جزعت له الفتاة واريد وجهها الجميل وأدارت وجهها عنه اشمئزازاً وأثمة  
فعلم حسن أن البولندى خاطبها في شيء تمس كرامتها فغاظه ذلك  
وأسخطه وكاد يزفر من الغضب ولكنه كتم غيظه وخفف من حيرته

فسكنت ثورته وقرت فورته وحادث جاره ما كس في شؤون شتى لينسى ما حدث واذا بدمام لوشا قد وضعت يدها على تمثال صغير لالهة الجمال (فيثوس) وقالت :

— ما أجل هذا التمثال .

فضحك بفلوفسكى وقال .

— بمثل هذا الجمال تذوق المرأة لذة الحياة .

فنظرت اليه مرجريت نظرة غريبة وقالت .

— وكيف ؟

فأجابها البولوندى .

— تسيطر على قلوب الرجال تفعل بها ما تشاء .

فضحكت مارى وقالت .

— لقد أصبت فيما قلت يا سيدى .

ولكن مرجريت قطعت على أختها الحديث وقالت .

— ليسمح لى المسيو بفلوفسكى بأن أقول أنه أخطأ فيما قال أو إنه

نسى شيئاً هاماً بدونه لا تقوم للجمال قائمة الا وهو جمال الروح . فزهرة

الجميلة التى تراها فى البستان تظل يانعة تمخطف الابصار اذا لم تمسها يد

الانسان بسوء أما إذا قطعتها تلك اليد فانها تذبل وتموت بعد أن

يتلاشى جمالها وذلك شأن المرأة أيضاً فانها تمشى جميلة لعفتها ولمهارتها

فاذا دنس الرجل طهارتها مات جمالها واندرست محاسنها وتحولت من

حالتها الاول التى تسيطر فيه على قلب رجل واحد الى الحال الثانى الذى

تسيطر فيه على قلوب الرجال لتفعل بها ما تشاء ولكنه ، ازال بين النساء من يدافعن عن شرفهن ويجاهدن في سبيل ذلك جهاد المستميت فهن والحمد لله أكثر من الزهور قوة ولهن من سبيل الدفاع ما يحملهن في مأمن من غدر الرجال .

ثم سكنت المدموازيل مرجريت وهي تنظر المسيو بفلوفسكى وتبسمت بعد أن انتقمت لنفسها من هذا الرجل بهذا الحديث الطويل وفهم حسن معنى حديثها وعرف السر الذي دفعها لذكره فصره ذلك وأتاج صدره واستطاره الفرح قال .

— لك الله يا مدموازيل . لقد نطقت بفصل الخطاب .

أما مدام لوشا ومام هيمرى فقد وقع عليهما هذا الحديث وقوع الصاعقة أما المدموازيل مارى فلم تأبه لما قالته أختها بل قامت من مكانها وغادرت المائدة وقام الجماعة في أثرها وتفرقوا في أمحاء الصالون وود حسن أن يقترب من مرجريت ليحادثها ولكنه وجد المدموازيل مارى قد حالت بينه وبين جيبته ثم قادته من يده الى ركن من أركان الغرفة وقالت له مازحة .

— يا لك من شيطان ما كر .

— أنت قاسية فى حكمك يا سيدتى .

— ربما كان الامر كذلك ولكنك أشد منى قسوة .

— أنا ؟

— نعم أنت . أراك تنفر من نفور الفأر من القط فما الذى  
يخيفك منى ؟

— أوكد لك يا مدموازيل . . . .

— لا أحب كثرة الكلام ولا أريد أن تكون كصديقتنا جيزيل  
فنوفراقاً لا ينقطع عن الحديث . إن أردت أن تبرهن لى على صداقتك  
أوشدت الأنفصاح عن حبك . . . ( وابتسمت بعد أن تناولت يده  
وهزتها فى يدها ) فاحضر غداً فى الساعة الرابعة بجوار نافورة ميديسيس  
فى حديقة اللكسمبورج . ستكون جميعاً هناك وبعاً حادثتك فى شئون  
شقى تهمك . أتمدنى بالحضور .

فصكر حسن هنية وقال لنفسه ( وما ضرنى لو ذهبت لأرى  
مرجريت ) ثم قال للمارى .

— سأكون هناك فى الميعاد يا مدموازيل .

ونادت مدام هيرى ابنتها مارى فلبت نداءها وغادرت حسناً فى  
مكانه وقد سره ذهابها . فلما خلا بنفسه اقترب من مدموازيل  
مرجريت وقال :

— الطقس جميل اليوم يا مدموازيل .

— أجل . ولكنى أحب الغيام كثيراً وأرى بين نفسى وبين  
الظلام اتصالاً كبيراً .

— يظهر لى أن المدموازيل حزينة .

— ربما كان الامر كذلك . ولقد بحثت كثيراً عن سر حزنى فلم

أمتد اشئ فأنا من جماعة المشائمين الذين لا يرون في الحياة إلا شقاء يتبعه شقاء .

— لملك قرأت كتب شو بنهور .

— لم أقرأ منها حرفاً واحداً . وإن كانت آراؤه كما تقول فأنا أول

من يسير على آثاره

— أو على آثار المعري .

— ومن هو المعري ؟

— فيلسوف العرب وإنى أذكر له بيتاً من الشعر يتضمن لباب

فلسفته ألا وهو .

( هذا جناء أبي عليٍّ وما جنيت على أحد )

وترجم لها البيت بمداون قلاه بالعربية فسرهما معناه وقالت له

وهي تبسم .

— ليتنى كنت أعرف العربية لأقرأ كتاب هذا الفيلسوف .

— عندي نسخة إفرنسية مترجمة عن العربية سأحضرها

لك لتقرأينها .

فشكرته ونحاذنا قليلاً وإذا بدمام لوشا قد اقتربت . منهما وهي تقول .

— ماذا تفعلان هنا ؟

فاجاب حسن

— نتحدث على الفلسفة

— عن الفلسفة ! هذا كثير : وهل يروق لكما أن تتحدثا عن  
الفلسفة واتما في هذه الدار . وهل اتقل السربون الى دار مدام هيمرى  
حتى تتناقشان في آراء فلسفية تصدح الرأس !  
: فضحك الجميع ثم مكثوا قليلا يتحدثون ويضحكون وأن وقت  
الانصراف فاستأذن المدعوون وخرجوا وتفرقوا عند رأس الشارع وسار  
حسن وصديقه البير في شارع فوجيرار فقال البير .  
— لقد لاحظت كل شيء يا صديقى ولا مرة بعد اليوم في  
غرامك

فضحك حسن وقال

— ربما كان الأمر كذلك

ووصلا إلى تياترو الأديون فصعد حسن على سلمه وعرج على  
مكتبته واشترى ديوان المعرى فقال له صديقه  
— لمن تشترى هذا الكتاب ؟  
— لنفسى

فابتسم البير وقال

— أو لنفسك الثانية

واستأذن من صديقه وغادره أمام تلك الدار التمثيلية فلما خلى حسن  
بنفسه وقف هنيهة يفكر ثم قال (يا لله لم أعتد بعد لسر هذه الفتاة بل  
لسر تلك الاسرة الغريبة ) وإذا به يسمع صديقه الممثل درفينى يقول له

— لقد عدت يا صديقي . لعلك كنت سعيد الحظ  
— لم أوفق كل التوفيق ف.....  
— لا تبدى مسألتك فلها مسألة عويصة . الى اللقاء  
وعم بمخادرتك فاستوقفه حسن وقال له .  
— ما هذا الاسراع ؟

— سنبدي الليلة في منتصف الساعة الثامنة لطول الرواية ونحن  
الآن في الساعة السابعة فأماي نصف ساعة تكفي لصبح وجهي وارتداء  
ملابسي التمثيلية . الى اللقاء يا صديقي . أرجو أن ألقاك قداً عند منتصف  
الليل في قهوة بلزار وأرجو أن تكون في المرة القادمة أسعد حظاً  
وأكثر توفيقاً

وغادره ودخل دار التمثيل فوقف حسن هنيهة ثم ذهب الى شباك  
التذاكر واشترى تذكرة وقد ألهمه ما رآه في ذلك اليوم عن تناول  
طعام العشاء

---

(ملحوظة) لم يكتب المؤلف من مذكراته غير ما نشرناه هنا

—  
تم الكتاب  
—

انتهى كتاب وميض الروح وهو الجزء الأول من مؤلفات  
المرحوم محمد بك تيمور ويليه الجزء الثانى وعنوانه :  
حياتنا التمثيلية

---

حقوق طبع . مؤلفات المرحوم محمد بك تيمور  
محفوظة للناسر محمود تيمور

---

كل نسخة غير ممضاة بامضاء الناسر تمد مسروقة



# فهرسة الكتاب

# الفهرسة

صفحة	
٣	المقدمة
٤	اهداء الكتاب
٦	الى اخى
٩	محمد تيمور . رسالة عن تاريخ حياته وشرح أعماله
١١	تاريخ حياته
١٢	الطور الأول . حياته الاولى فى مصر
١٥	الطور الثانى . حياته فى أوروبا
١٧	الطور الثالث . الرجوع الى مصر : طور العمل
٣٢	مؤلفاته
٣٢	قطعه التنظيميه
٣٥	قرع
٣٦	قطعه الوجدانية
٣٦	قطعه الاجتماعية والأدبية
٣٨	قطعه القصصية
٣٨	ما تراه الميون
٣٩	الشباب الضائع

صفحة	
٤٠	خواطر
٤١	مذكرات باريس
٤٤	ما كتبه عن التمثيل
٤٥	منولوجاته التمثيلية
٤٨	تقدم على الممثلين
٥٠	محاكمة المؤلفين الروائيين
٥١	مقالات مختلفة عن التمثيل
٥٣	رواياته التمثيلية
٥٤	مقدمة عن الثلاث روايات
٥٧	العصفور في القفص
٦٤	عبد الستار افندى
٧٥	الهاوية
٨٨	خاتمة

## الكتاب الاول . ديوان تيمور ٨٩

٩٠	اهداء الديوان
٩١	مقدمة الديوان
٩٢	شعار صاحب الديوان
٩٣	شاب يحضر
٩٣	الغريب الفقير

صفحة	
٩٤	ضحكات طفل
٩٤	الليل
٩٥	دمعة عين
٩٦	القيط
٩٧	الزرجسة اليانعة فوق قبر الشاعر
٩٧	القلب
٩٨	شجرة على شفا الموت
٩٩	المهرم الاكبر
١٠٠	البلبل الصامت
١٠١	نفس الشاعر
١٠٢	الشاعر الغضبان
١٠٤	النجم الآفل
١٠٤	ظلام النفس
١٠٥	الذكرى
١٠٦	أمس واليوم
١٠٧	الليل أقبل
١٠٨	الصباح أقبل
١٠٩	سلطان الليل
١١١	الفجر الاول لحمد على
١١٢	النهاية

صفحة	
١١٥	خوفو
١١٧	حكم الحب
١١٨	خواطر الوحدة
١٢٠	الدار الحزينة
١٢١	الضحايا
١٢٢	يا لومنى قوى
١٢٢	صبراً يا فؤادى
١٢٣	ويك قلبى
١٢٤	الشفق
١٢٥	الطائر السجين
١٢٦	عرش الحداد
١٢٦	لستعطاف
١٢٧	صورة من صور الليل
١٢٨	زفرات الشباب
١٢٩	اعتذار
١٣١	الجرح الاول
١٣٢	كما تشائين
١٣٢	عشتا تبكى
١٣٣	ليلة
١٣٣	مولود المصوم

صفحة	
١٣٤	أنا وهي
١٣٥	حياة المخاطر
١٣٦	أنتِ
١٣٧	ليلي طويل
١٣٧	حياتي
١٣٨	أرجوحة اللاعب
١٣٨	هديتي
١٣٨	الريح
١٣٨	أحن إلى الاوجاع
١٣٩	الظبي النافر
١٣٩	أخاف
١٤٠	أنا وأنت
١٤٠	أمام
١٤١	نفثة معدود
١٤٢	يا قصر الحاجر
١٤٣	دمع الشفق

---

## ١٤٥ الكتاب الثاني . الوجدان

١٤٧ عودة الموجة

١٤٩ متى أنساها

	صفحة
الماضى	١٥١
الشاعر والليل	١٥٣
حب البقاء	١٥٦
حديث زهرة	١٥٨
المهرم الاكبر	١٦٣
<hr/>	
الكتاب الثالث . الادب والاجتماع	١٦٥
الخوف من الحياة	١٦٧
الافكار القديمة والحديثة	١٧١
المجمع اللغوى	١٧٣
شخصيتنا	١٧٦
أمراؤنا	١٧٨
العام الجديد	١٨٠
نظرات فى تاريخ مصر	١٨٣
الوطن	١٨٦
مدرسة القضاء الشرعى	١٨٨
بول آدم	١٩١
المواكب لجبران خليل جبران	١٩٣
شوقى	٢٠٢
الفرد رول	٢٠٧

صفحة	
٢٠٨	أدمون وروستان
٢١٠	شأو بريان
<hr/>	
٢١٥٠	الكتاب الرابع . ما تراة العيون
٢١٧	في القطار
٢٢٤	عطقة ال . . . منزل رقم ٢٢
٢٣٠	بيت الكرم
٢٣٨	حفلة طرب
٢٤٣	صفارة العيد
٢٥٠	ربي لمن خلقت هذا النعيم !
٢٥٦	كان طفلا فصار شابا
٢٦٢	الماشق المفتون بلرب والنياشين
٢٧١	قصة الشباب الضائع
<hr/>	
٣٤٩	الكتاب الخامس . خواطر
٣٥١	ريان يا فجّل
٣٥٤	للقراء مجانا
٣٥٨	درس في كُتّاب
٣٦١	عرس وماتم
٣٦٣	رمضان في قهوة ماتايا



صفحة

ولكن المرأة لم تخلق لهذا النعيم في مصر	٣٦٦
ابن قهوة وابن بالتراب	٣٦٨
سر من أسرار تأخر المصريين	٣٧٠
سارق وسارق	٣٧٣
هنا وهناك	٣٧٦

---

الكتاب السادس . مذكرات باريس ٣٧٩

اليوم الاول	٣٨١
حول المرأة	٣٨٥
ليلة في الأدب	٣٨٩
صديق من أمريكا	٣٩٥
خرطوش وسكر	٤٠١
هو وهي	٤٠٥

---

# فهرسة الصور

---

صفحة	
١	صورة رمزية تمثل آمال الحياة المحطمة والمسل الخالد للادب والفن
٥	الصغير محمد تيمور . الطفل الذي لم يره أبوه
٧	المرحوم محمد بك تيمور في المقعد الثالث من عمره
٢٣	المرحوم محمد بك تيمور وابنته ربرى
٢٥	المرحوم محمد بك تيمور طالب حقوق بباريس

محمد تيمور





نحت الطبع ويظهر قريباً

كتاب

# حَيَاتُنَا التَّمثِيلِيَّةُ

الجزء الثاني من مؤلفات الفقير

يحتوى هذا الجزء على كل ما كتبه القعيد عن التمثيل مثل  
منولوجاته التمثيلية ومقالاته الانتقادية ومحاكمته للمؤلفين الروائيين الخ  
مضافاً الى ذلك رواية

## عَبْدُ السَّيِّئَاتِ اِفْنَدَى

وهى رواية كوميدى ذات أربعة فصول  
مثلها الممثل المشهور عزيز افندى عيّد

---

نُحْتِ الطبع ويطهر قرياً

كتاب

# المسرح المصرى

وهو الجزء الثالث من المؤلفات

ويحتوى على الروايات الآتية

## العصفور فى القفص

وهى رواية كوميدى ذات أربعة فصول

مثلها جوق الأستاذ رشدى

## العشرة الطيبة

وهى رواية كوميدى أوبريت ذات أربعة فصول

مثلها جوق نجيب افندى الريحانى

# الهاوية

وهي رواية كوميدى درام ذات نمونة فصول  
تمثلها شركة ترقية التمثيل العربى (آل عكاشة)

---

تطلب مجاناً مجموعة

## مراثى الخوف محمد نايك تميم

من العائلة رأساً

وهي مجموعة ما قبل من المراثى فى خلفى التأين وما نشرته المصحف

---











